برنامج العقيدة (المستوى الرابع)

@mton_aqeda4

شرح تطهير الاعتقاد

من أدران الإلحاد

للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله

من الدرس (١) إلى الدرس (٤)

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين – .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علماً ، واجعل ما نتعلمه حجةً لنا لا علينا يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملاً متقبلاً .

ثم هذه رسالة عظيمةُ القدر ، رفيعةُ الشأن ، عليّةُ المكانة ، لإمامٍ عالم ، وهو الإمام الصنعاني –رحمه الله تعالى– ، سماها (تطهيرُ الاعتقاد عن أدرانِ الإلحاد) والأدران هي الأقذار والأوساخ ، والإلحادُ : هو الميل والانحراف ، والعدول عن الحق والهدى ، والملحد هو المائل عن الحق ، العادل عن الهدى والصواب ، إلى الضلال والكفر والباطل ، والطهارةُ هنا أعظم طهارة ينبغي أن يُعنى بها المؤمن ؛ لأن الطهارة نوعان طهارةٌ حسية وطهارةٌ معنوية ، قال جل وعلا { وثيابك فطهِّر } قيل في معنى طهر ثيابك : أي طهر أعمالك كلها من الشرك بالله ، ومن الكفر ، ومن كل ناقضٍ مبطل ، وقيل إن المراد بالطهارة في الآية الطهارة الحسية ؛ بمعنى تنظيف الثياب من الأقذار ومن الأوساخ والنجاسات ، وأعظم الطهارة ؛ طهارة القلب وزكاؤه بالإيمان بالله ، وتوحيده سبحانه وتعالى وإخلاص الدين له والبراءة من الشرك كله دقيقه وجليله ، والشاهد أن هذه الرسالة عظيمة في بابها ، باب الطهارة من الشرك والكفر بالله –تبارك تعالى– والإلحاد ، وفيها تقريرٌ للتوحيد ، وذكرٌ لبراهينه وحججه ، ودحضٌ لباطل المبطلين ، وتلبيس أهل الزيغ ، والشرك بالله سبحانه وتعالى ، وقد أجاد فيها مؤلفها –رحمه الله– وأفاد ، ولهذا أثنى عليها أهل العلم ثناءً عاطراً ، وعقدت مجالس عديدة لأهل العلم في تدريس هذه الرسالة العظيمة النافعة لهذا الإمام –رحمه الله تعالى– ونشرع مستعينين بالله –تبارك وتعالى– طالبين مده وعونه وتوفيقه ، وأن ينفعنا –سبحانه وتعالى– بما حوته هذه الرسالة من علمٍ وفائدةٍ وخير .

قال المصنف –رحمه الله– :

[بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو المستعان ، الحمد لله الذي لا يَقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد من اتخاذ الأنداد فلا يتخذون له ندا ، ولا يدعون مع الله أحدا ، ولا يتكلون إلا عليه ، ولا يفزعون في كل حال إلا إليه ، ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ولا يتوصلون إليه بالشفعاء: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه).]

الشرح :

هذا الحمد والثناء الذي بدأ به المصنف- رحمه الله- معدودٌ في براعة الاستهلال ؛ لأن من حين يبدأ تشعر بموضوع الكتاب، ومضمون الرسالة ، فهي رسالة مؤلفة في بابٍ عظيم وهو تقرير التوحيد ، وإخلاص الدين لله – تبارك وتعالى- والبراءة من الشرك ، ولهذا استهلها -رحمه الله – تعالى بحمدٍ وثناءٍ على الله سبحانه يُشعر بمقصود الرسالة ومضمونها ، ولهذا بدأ بقوله -رحمه الله- [**الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد؛ حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد**] أي أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي ولا يُنجي ، لا يكفي في حصول التوحيد ، ولا يُنجي من عذاب الله -تبارك وتعالى- يوم الوعيد فليس فيه الكفاية ولا فيه النجاة ، ولهذا فإن المكلف إذا جاء به وحده ، ولم يضم إليه لازمه وهو توحيد العبادة ، لم يقبله الله منه ؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- لا يقبل توحيد الربوبية إلا إذا ضُمّ إليه لازمه وهو توحيد العبادة ، ولهذا قيل أن توحيد الربوبية بوّابه ومدخل لتوحيد العبادة ، بمعنى أن من عرف الله سبحانه وتعالى بأنه وحده المتفرد بالخلق والرَّزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير كان من لازم هذه المعرفة أن يفرده -تبارك وتعالى- بالعبادة فلا يعبد أحداً سواه كما قال الله سبحانه { وأنا ربكم فاعبدون } أي كما أني تفردت وحدي بالربوبية والخلق والرَّزق والإيجاد فاعبدون أي فأفردون وحدي بالعبادة ، وقال سبحانه { يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون* الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً أنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون* } أي لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله -سبحانه وتعالى- ، تعلمون تفرده سبحانه وحده بخلقكم لكم وإيجادكم ، ومن كان مقراً بربوبية الله سبحانه وتعالى غير مخلصٍ العبادة له -جل وعلا- فإنه يعدُّ مشركاً بالله كما قال سبحانه { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } قال أهل العلم في كتب التفسير من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان في معنى الآية ، قال وما يؤمن أكثرهم بالله رباً خالقاً رازقاً إلا وهم مشركون به غيره في العبادة ، فلم ينفعهم ذاك الإقرار ولم يُفدهم ؛ لأن توحيد الربوبية لا يكونُ نافعاً مفيداً للعبد إلا إذا ضَمَّ إليه توحيد العبادة ،وإلا لا يُفيده ، لا يفيده أن يبقى حياةً مقراً بأن الرب الله ، وأن الخالق الله ، وأن الرازق الله ، وأن المنعم المتصرف المحي المميت المدبر الله ، هذا لا يُفيده إذا لم يَضمّ إليه لازم ذلك وهو أن يفرده- سبحانه وتعالى- بالعبادة ، وأن يخلص له – سبحانه وتعالى- الدين ، فلا يعبد إلا الله ، ولا يسأل إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يصرف أي شيء من أنواع العبادة إلا لله-سبحانه وتعالى- ، فهذا لازم ذاك الإقرار ، فمن لم يأتِ باللازم لم يفده إقراره ولهذا استهل المصنف -رحمه الله تعالى- هذه الرسالة المباركة بهذا الاستهلال العظيم حامداً الله -جل وعلا- مثنياً عليه به .

قال[**الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد**] فإن أفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد ؛ قَبِلَ منهم توحيد الربوبية وإلا لم يكن مقبولاً ، ثم أيضاً في استهلاله -رحمه الله- أخذ يبين معنى إفراد الله – سبحانه وتعالى- بالعبادة كل الإفراد ما المراد به ؟ قال شارحاً وموضحاً ومبيناً : [**فلا يتخذون له نداً**] ، كما قال الله سبحانه {فلا تجعلوا مع الله أنداداً] فلا يتخذ له نداً ، والند هو الشريك ، ومعنى { فلا تجعلوا مع الله أنداداً وأنتم تعلمون } أي لا تجعلوا مع الله سبحانه شركاء في العبادة ، فالند الشريك ، فمن اتخذ مع الله -سبحانه- نداً يصرف له شيئاً من حقوق الله -سبحانه وتعالى- على عباده كان بذلك مشركاً بالله ولا ينفعه

إقراره بربوبية الله إن كان مقراً بها ، قال [**فلا يتخذون له نداً ، ولا يدعون معه أحداً**] ونصّ –رحمه الله– على الدعاء وبدأ به ؛ لأنه أعظم أنواع العبادة ، كما قال نبينا – عليه الصلاة والسلام– ((الدعاء هو العبادة ، وتلا قول الله–سبحانه وتعالى– { ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين })) فالدعاء عبادة وإفراد الله –سبحانه وتعالى – به وإخلاصُ هذه العبادة له توحيد ، { هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين } فهو عبادة لا يجوز صرفها إلا لله ، ومن صرفها لغير الله أشرك ، ووقع في أشد الضلال { ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين } وقال –جل وعلا– { والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبؤك مثل خبير } قال [**ولا يتوكلون إلا عليه**] والتوكل عبادة قلبية ، من أعظم العبادات وأجلها ، وهي عبادةٌ تصحب المسلم في كل أموره الدينية والدنيوية ، فهو في طاعاته وعباداته ، وفي عموم مصالحه متوكلٌ على الله –سبحانه وتعالى– ، مفوضٌ أمره إليه –سبحانه– ، والتوكل هو ثقة القلب ، واعتماده وتفويضه والتجاؤه في كل أموره ، في طلب المرغوب ، وأيضاً في السلامة من المرهوب ، يفوض أمره إلى الله ، ويعتمد بقلبه في جلب النعماء ودفع الضر والبلاء على الله –سبحانه وتعالى–، وفي القرآن يقول الله– سبحانه وتعالى– في مواضع منه { وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين } وهذا من أساليب الحصر أي عليه وحده ، فلا تتوكلوا إلا عليه ، قال [**ولا يتوكلون إلا عليه**] يقول الله –جل وعلا– { وتوكل على الحي الذي لا يموت } هذه الآية فيها فائدة عظيمة جداً في باب التوكل وفي باب العبادة عموماً { وتوكل على الحي الذي لا يموت } أي ليكن توكلك عليه وحده ، { الحي الذي لا يموت } أما الحي الذي سيموت أو الحي الذي قد مات ، أو الجماد الذي لا حياة له ، فكل هؤلاء ليس منهم من يصلح أن يُتوكل عليه ، أو يُلتجأ إليه ، أو تُصرف له العبادة من دعاءٍ أو رجاءٍ أو خوفٍ أورغبٍ أورهب ، وغير ذلك ، كل ذلكم لا يصلح إلا للحي الذي لا يموت وهو الله – سبحانه وتعالى– قال [**ولا يفزعون في كل حالٍ إلا إليه**] أي في كل نائبة أو مصيبة أو بلية أو نحو ذلك ، لا يفزعون أي لا يلتجأون إلا إلى الله سبحانه ، فإليه الملجأ وإليه المفزع وإليه المفر ، { ففروا إلى الله } قال – عليه الصلاة والسلام– في دعاء النوم (لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك) فليس هناك مفر ، ولا ملجأ ولا مفزع للعباد ، إلا إلى الله –سبحانه وتعالى– ، هو وحده الذي يغيث الملهوف ويجبر الكسير ، ويكشف الضر لا شريك له ، { أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أأله مع الله قليلاً ما تذكرون } قال [**ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى**] أي عملاً بقوله –جل وعلا– { ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون } وقال –جل وعلا– { قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّا مّا تدعوا فله الأسماء الحسنى } فلا يدعونه إلا بأسمائه الحسنى ، لا يدعونه إلا بأسمائه الحسنى ، وهذه أعظم الوسائل الذي يُتوسل بها المؤمنون إلى الله –جل وعلا– طالبون منه –جل وعلا– توفيقه وتسديده وعونه ، لا يدعونه إلا بأسمائه الحسنى ، مثل يا ألله يا غفور يا رحيم يا ودود يا شكور ، إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى الثابتة في كتابه وفي سنة نبيه– صلى الله عليه وسلم– وهم في كل حاجةٍ يسألونها يذكرون من أسماء الله متوسلين إلى الله –سبحانه– به ما يناسب حاجتهم ، فإن كانوا يطلبون مغفرةً توسلوا إليه باسمه الغفور ، توبةً التواب ، رزقاً الرزاق ، رحمةً الرحيم ، إلى غير ذلك ، كما هو واضح في أدعية الأنبياء المذكورة في القرآن ،

والأدعية المأثورة عن نبينا – صلى الله عليه وسلم– في سنته الصحيحة الثابتة عنـه–صلوات الله وسلامه عليه– فلا يدعونه إلا بأسمائه لا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ، ومن الإلحاد في أسماء الله – تبارك وتعالى– أن يسمى بغير ما سمى – جل وعلا – به نفسه ، أو سماه به رسوله – صلى الله عليه وسلم– ولهذا قال أهل العلم : (باب الأسماء والصفات توقيفي) أي يُتوقف في إثبات ذلك على النص ، كلام الله – سبحانه وتعالى– وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم– ومما يستدل به لذلك قول الله : { ولله الأسماء الحسنى } فقوله الأسماء ، أل التعريف هنا للعهد : أي الأسماء المعهودة المعلومة في كتابه – سبحانه– وفي سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولهذا فإن أهل الحق والهدى لا يدعونه بغير أسمائه الحسنى ، وقوله { الحسنى } هذا وصفٌ لأسماء الله البالغة في الحسن تمامه وكماله ، فهي في غاية الحسن وكمال الحسن ؛ لأنها دالةٌ على ثبوت صفات كمالٍ لله– سبحانه وتعالى– وكل اسم من أسماء الله–جل وعلا– دالٌ على ثبوت صفة كمالٍ له ، إذ إن الاسم إن لم يكن دالاً على صفة أو كان دالاً على صفة والصفة ليست صفةَ كمالٍ لا يكون موصوفاً بالحُسْن ، فالحُسْن فيها دليلاً على كمالها في دلالتها على ثبوت صفات الكمال لله ونعوت الجلال له سبحانه وتعالى ، ولهذا فإن كل اسم من أسماء الله تبارك وتعالى شأنه كذلك ، دالٌ على ثبوت صفة كمالٍ لله –عز وجل– ، قال [**ولا يتوصلون إليه بالشفعاء**] لا يتوصلون إليه : أي لا يطلبون الزلفى عنده والقربة منه –سبحانه وتعالى– في الشفعاء والوسطاء ، يجعلون بينهم وبين الله سبحانه مقربينهم إلى الله لا يفعلون ذلك بل هذا فعل المشركين ، كما قال سبحانه وتعالى عنهم : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } وقال { ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } فأهل الحق والهدى لا يتوصلون إليه بالشفعاء ، أي لا يجعلون بينهم وبينه وسائط ، يقربونهم منه ويدنونه منه سبحانه ، لا يفعلون ذلك لأن هذا عين الشرك ، بل يلتجئون إليه مباشرة بدون واسطة في أي حاجة وأي ملمة وأي أمر وأي قربة يلتجأون إلى الله– سبحانه– مباشرة ، ولا يجعلون بينهم وبين الله واسطة لا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الأولياء ولا من غيرهم ، يلجأون إلى الله –سبحانه وتعالى– مباشرة ، ولهذا الأنبياء –عليهم صلوات الله عليه وسلامه – هم واسطة بين الله وبين عباده في إبلاغ دينه ، وليسوا واسطة بينهم وبين الله في عبادته ، فالله يُلجأ إليه مباشرة ، يُتوكل عليه مباشرة ، يُدعى مباشرة ، دون أن تجعل الوسائط ، فالأنبياء وسائط بين الله وبين عباده في إبلاغ الدين ، وليسوا وسائط في العبادة ، ولهذا في سورة البقرة آيات كثيرة يبدأها الله–سبحانه وتعالى– بقول { يسألونك عن المحيض } { يسألونك عن الأهلة } { يسألونك عن الخمر والميسر } { يسألونك عن الشهر الحرام } أسئلة كثيرة كلها يأتي الجواب قل كذا ، لأنه– عليه الصلاة والسلام– واسطة في إبلاغ الدين ، لكن لما ذكر الدعاء والعبادة قال تعالى { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان } حتى إن(قل) ارتفعت هنا ، قال :{ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان } أينما كان وفي كل مكان يدعو أجيبه لا يحتاج الأمر إلى وسطاء وشفعاء يدعى –سبحانه وتعالى– من خلالهم أو بواسطتهم هذا من أبطل الباطل ، وأضل الضلال ، ولهذا فإن أهل الحق والهدى لا يُتوصلون إليه بالشفعاء أي في عبادتهم له –سبحانه وتعالى– ، قال { **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** } هذا فيه تنبيه أن الشفاعة ملك لله { قل لله الشفاعة جميعا } فهي ملكٌ له ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، ولا يشفع أحدٌ عنده إلا من رضي –سبحانه

وتعالى- قوله وعمله ، كما قال جل وعلا { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } وهذان ضابطان في باب الشفاعة لا تكون الشفاعة إلا عن إذن للشافع ، وعن رضا عن المشفوع له ، فهو- سبحانه- لا يرضى إلا عن أهل التوحيد .

قال -رحمه الله- [**فأروني ماذا خلق الذين من دونه** ، **وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رباً معبوداً** ، **وأشهد أن محمداً عبده ورسوله** ، **الذي أمره أن يقول** { **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله** } **وكفى بالله شهيداً** ، **صلى الله عليه وعلى آله والتباعين له في السلامة من العيوب** ، **وتطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب**]

الشرح

ثم قال رحمه الله تعالى [**وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رباً معبوداً**]

وهذا فيه الشهادة لله بالوحدانية والتفرد ، وأنه -سبحانه وتعالى- المعبود بحقٍ ولا معبود بحقٍ سواه ، قال [**وأشهد أن لا إله إلا الله**] ومعنى لا إله إلا الله أي لا معبود بحقٍ إلا الله

، وهي كلمة التوحيد مشتملة على ركني النفي والإثبات ولا توحيد إلا بهما ، النفي في أولها والإثبات في آخرها ، لا إله إلا الله ، (لا إله) نفيٌ عام للعبودية عن كل ما سوى الله ، إلا الله إثبات للعبودية بكل معانيها لله -سبحانه وتعالى- وحده ، ولهذا لا يكون الإنسان موحداً إلا إذا نفى وأثبت ، أما إن نفى ولم يثبت أو أثبت ولم ينف لا يكون موحداً ، فالتوحيد نفيٌ و إثبات ولا توحيد إلا بهما ، لا إله إلا الله نفيٌ عام للعبودية عن كل ما سوى الله ، واثبات العبودية بكل معانيها لله وحده ، وقائل لا إله إلا الله لا يصرف شيءٌ من العبادة إلا لله ، فلا يدعو إلا الله ، ولا يستغيث إلا بالله ، ولا يلتجأ إلا لله ، ولا يصرف شيء من العبادة إلا لله ، هذا هو معنى لا إله إلا الله ، ولهذا لمّا قال النبي- عليه الصلاة والسلام – للمشركين وهم أهل لسانٍ عربي وأهل فهم لمعاني اللغة ، لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ماذا قالوا ؟ { أجعل الإلهة إلها واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب } وفي الآية الأخرى { إنهم كانوا إذا قيل لهام لا إله إلا الله يستكبرون* ويقولون أإنا لتاركوا ألهتنا لشاعرٍ مجنون } يفهمون أن لا إله إلا الله تعني نبذ الإلهة وترك عبادة كل ما سوى الله ، والإقبال على الله وحده -تبارك وتعالى- بالذل والخضوع وأنواع العبادة ، هذا هو معناها ، وقوله [**وحده لا شريك له**] هذا تأكيدٌ لركني كلمة التوحيد ، وهو ثابتٌ في الذكر المأثور عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- في أدبار الصلوات وغيرها ، فقوله [**وحده لا شريك له**] فيه تأكيدٌ لركني كلمة التوحيد الإثبات والنفي ، فقوله [**وحده**] تأكيدٌ للإثبات ، تأكيدٌ لقولك إلا الله ، وقوله [**لا شريك له**] تأكيدٌ للنفي ، تأكيد لقولك إلا الله ، فلما نفيت وأثبت في قولك لا إله إلا الله أكدت هذين الأمرين بقولك وحده لا شريك له ، والإتيان بهذا التأكيد بعد التقرير والإثبات للتوحيد فيه الاهتمام بمقام التوحيد والتأكيد عليه وبيان أهميته ومكانته العظمى ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقولك (وحده) تأكيد للإثبات ، وقولك(لا شريك له) تأكيد للنفي ، وفي الذكر المأثور عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- أدبار الصلوات المكتوبات ، [لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله

الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، يشرع لك أن تهلل أدبار الصلوات المكتوبة ثلاث تهليلات وكل تهليلة من هذه التهليلات متبوعة بتثبيت التوحيد وتقريره والتأكيد عليه ، التهليله الأولى تقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وعرفنا أن هذا تأكيد لركني التوحيد ، التهليلة الثانية تقول (لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه) وهذا تقرير لمعنى التوحيد الذي هو مدلول كلمة لا إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، والتهليلة الثالثة تقول (مخلصين له الدين) وهذا هو مقتضى كلمة التوحيد أن تخلص الدين لله –سبحانه وتعالى– فأصبح هذا الذكر الذي يُشرع للمسلم أن يداوم عليه أدبار الصلوات ، أشبه ما يكون بالمدارسة والمذاكرة والتقرير للتوحيد يومياً خمس مرات يأتي بكلمة التوحيد أدبار الصلوات ثلاث مرات ثم يأتي بعدها بتأكيد معناها ، وتقرير مدلولها وبيان ما تقتضيه من إخلاص العبادة ، والذل لله –سبحانه وتعالى– ، قال : [**وحده لا شريك له ربا ومعبوداً**] أي نقر له سبحانه بالربوبية ونخلص له العبودية والذل فلا نعبد إلا الله ولا نصرف شيء من العبادة إلا له ، قال [**وأشهد أن محمدا عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم**-] وهنا ذكر الشهادة لنبينا –صلى الله عليه وسلم– بالرسالة عقب الشهادة لله بالوحدانية ، والشهادة لنبينا –صلى الله عليه وسلم– بالرسالة قرينة الشهادة لله بالوحدانية ، والله –سبحانه وتعالى– لا يقبل الشهادة له بالوحدانية إلا إذا شهد لنبيه –صلى الله عليه وسلم– بالرسالة ؛ لأنه كما هو مطلوبٌ للعباد أن يخلصوا الدين له ، فإنه مطلوب منهم في الوقت نفسه ألا يعبدوه إلا بما شرع ، ومن لم يشهد للنبي –صلى الله عليه وسلم– بالرسالة ويقوم بما تقتضيه هذه الشهادة ؛ لم يتحقق منه العبودية لله –سبحانه وتعالى– كما شرع وكما أمر –جل وعلا– عباده بذلك ، قال [**وأشهد أن محمدا عبده ورسوله**] قوله عبده ؛ لأنه –عليه الصلاة والسلام– عبدٌ من عباد الله ، بل هو أعظم الناس تحقيقاً للعبودية ، وتميماً لها ، وفي الشهادة له –عليه الصلاة والسلام– أنه عبدٌ لله فيه أن العبد لا يعبد ، العبادة للرب العظيم والخالق الجليل –سبحانه وتعالى– ، وفي الشهادة له –عليه الصلاة والسلام– بالرسالة دليلٌ على وجوب طاعته ، وامتثال أوامره ، والاقتداء بما جاء به –صلوات الله وسلامه عليه– { وما أرسلنا من رسولٍ إلا ليطاع بإذن الله } وفي الجمع بينهما الشهادة بالعبودية والرسالة تحقيقٌ للوسطية وسلامة من الإفراط والتفريط ، ففي الشهادة له بالعبودية خروجٌ من الغلو ، وفي الشهادة له بالرسالة خروجٌ من الجفاء إذا حقق العبد ما تقتضيه هذه الشهادة ، [**الذي أمره أن يقول قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله**] وهذا فيه أنه –عليه الصلاة والسلام– عبد لا يُعبد ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، الأمور كلها بمشيئة الله فهو –عليه الصلاة والسلام– لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فمن باب أولى أن لا يملك ذلك لغيره–صلوات الله وسلامه عليه– ، ولهذا قال –عليه الصلاة والسلام– في أمر الشفاعة قال ((لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة وإنها نائلة إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئا)) ، لاحظ ذكر الضابطين في باب الشفاعة ((وإنها نائلةٌ إن شاء الله)) قال تعالى " { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } ، قال ((وإنها نائلةٌ إن شاء الله من لا يشرك به شيئاً)) هذا فيه { ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } ، فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله ، ولا تكون إلا لمن رضي – سبحانه وتعالى– قوله وعمله ، قال [**وكفى بالله شهيداً**] والشهيد اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة في كتابة وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام– ، وهو من الأسماء الدالة على إحاطة علم الله – سبحانه وتعالى– بالعباد ، وكمال اطلاعه عليهم ، وعلى أعمالهم أقوالهم ، وحفظه –

سبحانه وتعالى- وكتابته لما يعملون وما يقولون ، قال **[بالله شهيدا. صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب وتطهير القلوب من اعتقاد كل شيء يشوب.]** ذكر هنا الصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم- وعلى الآل ولم يذكر هنا الصحابة ، لم يذكر الصحابة ولعل مراده بالآل هنا أي أهل دينه ، فيدخل الصحابة ، و أهل البيت وغيرهم ، وفي خاتمة هذا الكتاب جمع –رحمه الله- في الصلاة على الصحب والآل ، قال في آخر الكتاب **[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا،]** جمع في آخر الكتاب بين الصلاة على نبينا- صلى الله عليه وسلم- وعلى الصحب والآل ، فهنا في أول الكتاب إما تكون سقطت من المصنف سهواً ، أو من الناسخ هذا احتمال ، أو يكون –رحمه الله – أراد بالآل أي أتباع دينه أوهل دينه – عليه الصلاة والسلام- **[والتابعين له في السلامة من العيوب وتطهير القلوب]** وهذا هو الإتباع بإحسان ، الإتباع في السلامة من العيوب وتطهير القلوب ، وهذا فيه أن المتبع حقاً هو الذي يجتهد في تطهير قلبه وتنقية نفسه **[من اعتقاد كل شيء يشوب.]** أي يشوب القلب الصافي ، والاعتقاد ينبغي أن يصان وينزه عن الشوائب التي تشينه وتعيبه وتفسده وتبطله يجب عليه أن يصون توحيده عن كل شائبة ليبقى توحيده تاماً وإخلاصه لله –سبحانه وتعالى- كاملاً ، وإيمانه نقياً ، هذا هو حقيقة الاتباع **[والتابعين له في السلامة من العيوب وتطهير القلوب من اعتقاد كل شيء يشوب.]**

قال –رحمه الله – :

[وبعد:-فهذا (تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد) وجب علي تأليفه وتعين علي ترصيفه لما رأيته معلمته يقيناً من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام.وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات وهو من أهل الفجور، لا يحضر للمسلمين مسجدا ولا يرى لله راكعا أو ساجدا، ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب.فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره. فاعلم أن ههنا أصولا هي قواعد للدين، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين]

الشرح :

ثم قال –رحمه الله- **[وبعد]** يؤتى بها عند إرادة الشروع في المقصود ، بعد الفراغ من الثناء والحمد ، والدعاء والصلاة على النبي- صلى الله عليه وسلم- عندما يراد الشروع بالمقصود يؤتى بها **[وبعد]** ومعناها : أي مهما يكن من شيء بعد فإن الأمر كذا وكذا ، يشرع في بيان المقصود ، قال **[وبعد:-فهذا (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد)]** نص على اسم هذه الرسالة في أول شروعه في المقصود مما يدل على أن عنوان الرسالة دالٌ على مضمونها تمام الدلالة ، ولهذا اكتفى في دخوله في المضمون بذكر عنوان الرسالة ، قال **[وبعد:-فهذا**

[**تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد**] أي هذا مؤلفٌ صُنف في تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، هذا مقصود المصنَف ، (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) قال [**وجب علي تأليفه وتعين علي ترصيفه**] لماذا ؟ لأن الله – سبحانه وتعالى– أخذ الميثاق على أهل العلم { لتبيننه للناس ولا تكتمونه } أوجب عليهم ذلك ، وخاصة عندما يشيع الانحراف وتشرئب أعناق البدع ، ويحصل التطاول على دين الله ، وتثار الشبهات ، فيتوجب في مثل هذا المقام وفي مثل هذه الحال على أهل العلم بيان الحق وإيضاحه للناس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، قال [**وجب علي تأليفه وتعين علي ترصيفه**] لماذا ؟ قال : [**لما رأيته معلمته يقيناً من اتخاذ العباد الأنداد**] [لما رأيته] أي لما رآه –رحمه الله تعالى– بنفسه وشاهده بعينه ، [وعلمته يقيناً] مما ينقل الناقلون من الأمكنة والبقاع ، ولهذا عدد مناطق ، قال [من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن] التي هي بلده [والشام ومصر ونجد وتهامة وجميع ديار الإسلام] يقول هذا أمر شاع وانتشر في شتى البقاع يتخذ العباد الأنداد أي مع الله الشركاء يصرفون لهم العبادة التي هي حقٌ لله – سبحانه وتعالى– فيراهم الرائي ملتجئين إلى غير الله مستغيثين به منزلين بهم حاجتهم ، وطالبين كشف الضر والكربات ، مقدمين الذبائح والنذور ، طالبين المدد والعون والشفاء ، بل بعضهم يخاطب مخلوقاً ميتاً بقوله ((إن لم تأخذ بيدي من يأخذ بيدي)) ((إن لم تغثني من الذي يغثني)) ((إن لم تجرني من الذي يجرني)) ((أنا نازلٌ ببابك ، ومنيخٌ عن أعتابك ، طالبٌ رجائك ، طالبٌ كذا)) ويناجي مخلوقٌ مثله ، { إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم } العبد لا يعبد ، العبادة لله – سبحانه وتعالى– والالتجاء إلى الله وحده سبحانه ، فالمصنف –رحمه الله يتألم لواقع مرير، عايشه وشاهده ورآه وبلغه في مختلف المناطق فيقول لما كان الحال في هذه الصفة وجب عليّ ، ولهذا هذا الكتاب ألفه –رحمه الله– غيرةً دينية ، ونصيحة لعباد الله ، وإحقاقا للحق ، وإبطالا للباطل ، قال : [**وهو الاعتقاد في القبور**] الآن يشرح ما شاهده وما علمه وبلغه من واقع كثيرٍ من الناس قال [**وهو الاعتقاد في القبور**] قوله[**وهو الاعتقاد في القبور**] هذا شرح لقوله [**اتخاذ العباد الأنداد**] يبين ذلك بقوله [**وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء**] أي يذهب هؤلاء إلى القبور مستغيثين بأهلها ، ملتجئين إلى المقبورين يقدمون القرابين والنذور وينزلون بهم الحاجات ، المرأة التي لا تلد تذهب إلى القبر ، وتطلب ولداً من المقبور ، والمريض يذهب ويطلب الشفاء من المقبور ، والمريض يذهب ويطلب الغنى من المقبور ، والضال يطلب الهداية من المقبور إلى غير ذلك من الشرك الصراح والكفر البيّن ، والأمر الآخر قال: [**وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور**] لكنه يتظاهر بأنه عنده علم بالمغيبات وأنه يكاشف ويطلع على ما في الصدور ولهذا يوجد حتى في زماننا هذا من يذهب إلى بعض الأحياء ، بعض الأشخاص الأحياء ويجلس أمامه بذلٍ وخضوعٍ وانكسار ثم ينصرف ، وهو يعتقد أن هذا الشخص الذي أمامه اطلع على ما في قلبه وعلم ما في صدره وألقى فيه حلاً لإشكاله ومداواةٌ لمصيبته ، وهذا يقع قال : [**وفي الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات وهو من أهل الفجور ،لا يحضر للمسلمين مسجدا ولا يرى لله راكعا أو ساجدا، ولا يعرف السنة ولا الكتاب ولا يهاب البعث ولا الحساب.**] ثم يعتقدون في شخصٍ هذه صفته وهذا حاله لا يشهد الجمعة ولا الجماعات ولا يراه الناس راكعاً ولا ساجداً ، لا يعرف السنة ولا الكتاب ، أجنبي عن هذا كله ، ولو خوّف بالبعث والحساب لا يهاب ولا يخاف ، ومع هذه الحال يلجأ إليه بعض الناس مستغيثين به ، طالبين منه ، راجين منه ، لأنه يموه عليهم بأن عنده علم بالمغيبات وأن عنده شيء من

المكاشفات ، وأنـه من أولياء الله الصالحين ، وكم وكم حصل من إضلال وإفساد للناس بأديانهم وعقائدهم تحت مسمى الولاية ، { وما كانوا أولياؤه إن أولياؤه إلا المتقون } { ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون } هؤلاء هم أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ، أهل الإيمان أي العبادة والطاعة لله – سبحانه وتعالى– والعبادة ، وأهل التقوى الذين يتقون المحرمات ، ويجتنبون ما يسخط الله – سبحانه وتعالى– هؤلاء هم أولياء الله ، أما أشخاص لا يرون في المساجد ولا يشهدون الجمع ولا الجماعات ولا يؤدون المفروضات ، ويعلم عنهم انتهاك الحرمات والوقوع في أنواع الآثام ثم يعتقد فيهم ، بسبب التمويه على الناس بهذا الباب ، باب العلم بالمغيبات والمكاشفات ، قال [**فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره**] فالله – عز وجلّ– أوجب على أهل العلم إنكار الباطل وإظهار الحق ، ولهذا قال: [**فوجب علي أن أنكر ما أوجب الله إنكاره**،] وأعظم ما أوجب الله إنكاره الشرك بالله لأنه أعظم الآثام وأكبر الجرائم وأظلم الظلم { إن الشرك لظلمٌ عظيم } { الكافرون هم الظالمون } وقوله: [**ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره**] وأعظم شيءٍ أوجب الله إظهاره هو التوحيد لأن التوحيد أعظم الأوامر ، والشرك أخطر النواهي ، ثم قال – رحمه الله– :[**فاعلم أن ههنا أصولا هي قواعد للدين، ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين**] بدأ – رحمه الله– بتقرير أصول عظيمة ونافعة جداً ينبغي على كل مسلم وعلى كل طالب علم أن يقف عندها مستفيداً ، جمعها أحسن جمعٍ ورتبها أحسن ترتيب .

قال –رحمه الله– :

[**الأصل الأول** : **أنه قد علم من ضرورة الدين أن كل ما في القران فهو حق لا باطل فيه** ، **وصدق لا كذب فيه وهدى لا ضلالة فيه وعلم لا جهالة فيه ويقين لا شك فيه**. **فهذا الأصل أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالإقرار به**. **وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه**].

الشرح :

هذا هو الأصل الأول من الأصول التي يجب أن تكون ثابتة في قلب كل مؤمن ، [**أنه قد علم من ضرورة الدين أن كل ما في القران فهو حق لا باطل**] يقول تعالى { إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إن غفورٌ شكور * والذين أوحينا إليك من الكتاب هو الحق } فكتاب الله – سبحانه وتعالى– كتاب حق لا باطل فيه ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد ، فهو كتاب حقٍ لا باطل فيه ، يجب على كل مسلم أن يعتقد هذه العقيدة ، وأن يكون هذا الإيمان راسخاً في قلبه أنه كتاب حقٍ لا باطل فيه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، لا باطل فيه مطلقاً كل ما فيه حق ، وكل ما فيه [**وصدق لا كذب فيه**]، { ومن أصدق من الله قيلا } [**حق لا باطل فيه** ، **وصدق لا كذب فيه وهدى لا ضلالة فيه**] { إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } فهو كتاب هداية ، [**وعلم لا جهالة فيه**] كل ما في القرآن علم ، ليس ف القرآن جهالة ، [**ويقين لا شك فيه**] هذه

كلها أوصاف لكتاب الله – سبحانه وتعالى – كتاب حقٍ وصدقٍ وهدى وعلمٍ ويقين ، [**فهذا الأصل أصلٌ لا يتم اسلام أحدٍ ولا إيمانه إلا بالإقرار به**]أن يقر بهذا الأصل العظيم أن القرآن كتاب حقٍ وصدقٍ وعلمٍ وهدى ويقين ، ومبرئ من أضداد ذلك كلها [**وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه**] أي بين أهل العلم ويضم إلى ذلك السنة النبوية ، والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فهي أيضاً حقٌ وصدقٌ وهدى وعلمٌ ويقين ، والأخذ بها أخذٌ بالقرآن { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم } { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول } { وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } { واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة } فالقرآن والسنة كلاهما حقٌ وهدى وصدقٌ وعلمٌ ويقين ، فهذا أصل يجب أن يكون ثابتاً في قلب المؤمن راسخاً لا يشك فيه ولا يرتاب .

قال –رحمه الله – :[**الأصل الثاني أن رسل الله وأنبياءه ـ من أولهم إلى آخرهم ـ بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة. وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (أن لا تعبدوا إلا الله) (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون)، وهذه الذي تضمنه قول "لا إله إلا الله". فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان. ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه. وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه**]

الشرح :

:[**الأصل الثاني أن رسل الله وأنبياءه ـ من أولهم إلى آخرهم ـ بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة**.]

هذا أصل يجب أن يعتقده كل مسلم أن الأنبياء من أولهم إلى آخرهم **بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة**.]بأن يخلصوا الدين لله – سبحانه وتعالى– كما قال سبحانه { واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالنذر } أي الرسل { وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه} لأي غرض ولأي هدف ؟ { وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله } هذه مهمة جميع المرسلين ألا تعبدوا إلا الله ، وقال تعالى { ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } وقال تعالى { وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } وقال –جل وعلاّ– { واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهةً يعبدون } فالرسل مهمتهم واحدة ، وكلهم من أولهم إلى آخرهم دعاةٌ إلى توحيد الله وإفراده سبحانه وحده بالعبادة ، وهذا معنى قول نبينا – عليه الصلاة والسلام– في الحديث الصحيح [[نحن الأنبياء أبناء علاّت ، ديننا واحد وأبناؤنا شتى]] ديننا واحد أي عقيدتنا واحدة ، كلنا دعاة إلى توحيد الله ، كلنا دعاة إلى اخلاص العبادة لله وإفراده سبحانه وحده

بها ((ديننا واحد)) أي عقيدتنا واحدة ((وأمهاتنا شتى)) أي شرائعنا مختلفة ، { لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجا } الشريعة تختلف ، التكاليف والأوامر والنواهي تختلف ، لكن العقيدة واحدة ، ولهذا قال العلماء ((التوحيد والاعتقاد عموماً لا يدخله النسخ)) العقيدة هي العقيدة ، والتوحيد هو التوحيد ، من أول ما خلق الله – سبحانه– الخلق هو واحد ، لا يدخله النسخ ، النسخ يدخل في ماذا ؟ في الشرائع وتفاصيل الأعمال ، أما العقيدة واحدة ، والتوحيد واحد ، لدى جميع النبيين من أولهم إلى آخرهم ، [**أن رسل الله وأنبياءه ـ من أولهم إلى آخرهم ـ بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة. وكل رسول أول ما يقرع به أسماع قومه قوله (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)**] أي أول كلمة يسمعها الأقوام من أنبيائهم هي هذه الكلمة ، لا يبدءونهم بشيء آخر قبل ذلك ، أول ما يبدءون الدعوة بالدعوة إلى إصلاح الأصل ، ثم إذا صلح الأصل أقيم البناء لاحظ هذا في سيرة النبي – عليه الصلاة والسلام– لما بُعث هل بُدئ بالصلاة ؟ هل بُدئ بالصيام ؟ هل بُدئ بالزكاة ؟ هل بُدئ بالحج ؟ أو ما بُدئ بالتوحيد ، وأول ما بدأ – عليه الصلاة والسلام– بد في دعوة الأقوام الدعوة إلى التوحيد بل مكث على ذلك ثلاث عشرة سنة وهو يدعو إلى التوحيد { اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره } {قولوا لا إله إلا الله تفلحوا } إصلاح للأصل ، إذا صلح الأصل يقام بعد إذن البناء ، وهذا نحن نعرفه جيداً في أمور الدنيا ، الإنسان إذا أراد أن يبني بيتاً لا يأتي بالطين واللبن ويضع بعضه فوق بعض بدون أساس ، لأنه إذا وضعه بدون أساس انهار ، فأول ما يبدأ يضع الأساس ويتقن الأساس ويضبط الأساس ، ثم إذا وضع الأساس يبدأ بالبناء حتى لو أخذ منه الأساس فترة طويلة لا إشكال المهم يكون الأساس متقن ثم يوضع البناء على الأساس ، أما أن يستعجل الإنسان ويضع البناء على غير أساس فالبناء ينهار ، ولهذا التوحيد كالأساس للبنيان وكالأصول للأشجار يدل لذلك قول الله سبحانه { ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء} كيف يمتد فرعٌ على غير أصلٌ ثابت ؟ وكيف يقام بناءٍ على غير أساس ؟ ولهذا كان الأنبياء أول ما يبدءون أقوامهم في الدعوة ؛ الدعوة إلى التوحيد (**اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره**) (**أن لا تعبدوا إلا الله**) (**أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون**)، هذا أول ما يبدءون أقوامهم به ، وأول ما يسمع الأقوام من الأنبياء في دعوتهم هي هذه الكلمة ، [**وهذه الذي تضمنه قول "لا إله إلا الله**] ، يعني هذه الكلمات التي تساق في ذكر دعوة الأنبياء إلى أقوامهم هي معنى لا إله إلا الله ، لأن لا إله إلا الله معناها (**اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره**) (**أن لا تعبدوا إلا الله**) (**أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون**)، هذا هو معنى لا إله إلا الله ، قال : [**فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها**] دعوهم إلى قول هذه الكلمة نطقاً باللسان واعتقاد معناها بالقلب ، بحيث يكون قائلها معتقداً ما دلت عليه مؤمناً بما دلت عليه من التوحيد والإخلاص ، وهذا فيه أن قول لا إله إلا الله قولاً مجرداً باللسان لا يكفي ، بل لابد من الاعتقاد قال : [**فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرد قولها باللسان**] والمشركون الذين خاطبهم النبي – عليه الصلاة والسلام– بهذه الكلمة ((قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)) علموا أن المراد قولها باللسان نطقاً وبالقلب اعتقاداً ، علموا ذلك ن ولهذا قالوا { أجعل الإلهة إلهاً واحداً } وامتنعوا من قول هذه الكلمة واستكبروا { إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أإنا لتاركوا ألهتنا لشاعرٍ مجنون } قال : [**ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة**،] هذا هو معناها

أن يفرد سبحانه بالإلهية والعبادة ، الإلهية أوصاف الكمال والعظمة والجلال التي استحق بها -سبحانه وتعالى- أن يُعبد وأن يُذل له ويُخضع ، والعبادة من صلاةٍ وصيامٍ وذلٍ وخضوعٍ وانكسار بأن يفرد سبحانه وتعالى في ذلك كله ، وقد جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى اسم الجلالة الله قال ((هو ذو الأُلوهية والعبودية على خلقه أجمعين)) والألوهية هي أوصاف الكمال والجلال والعظمة التي بها استحق سبحانه أن يؤله وأن يُخضع له ويُذل والعبودية أي أنواع العبادة بأن تصرف له -سبحانه وتعالى- وحده ولا يُجعل معه شريكاً في شيء منها ، قال : [**والنفي لما يعبد**] معناها إفراد الله بالإلوهية والعبادة والنفي لما يعبد من دونه [**والبراءة منه**] لابد من الأمرين ، لابد من الإفراد ولابد من النفي ، الإفراد يدل عليه قولنا إلا الله ، والنفي يدل عليه قولنا لا إله ، فلا إله إلا الله كما علمنا فيها نفيٌ واثبات ، ولا يكون العبد من أهل لا إله إلا الله إلا إذا حقق ما دلت عليه من النفي والإثبات ، وهذا هو معنى قول المصنف : [**ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه والبراءة منه.**] بهذا يكون العبد موحداً وبهذا يكون من أهل هذه الكلمة العظيمة ،. [**وهذا الأصل لا مرية فيما تضمنه، ولا شك فيه وفي أنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه**] لا يكون الإنسان من أهل التوحيد ومن أهل الإيمان ومن أهل الإسلام إلا إذا أفرد الله – سبحانه وتعالى- بالإلهية والعبادة ونفى العبادة وتبرأ من عبادة كل من سوى الله -سبحانه وتعالى- فالعبد لا يكون من أهل التوحيد إلا بتحقيق هذا الأصل العظيم ، هذا الأصل الثاني من الأصول التي بدأ المصنف -رحمه الله تعالى- بها ونتكفي بهذا القدر ، والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

****

الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

مرَّ معنا في أول الرسالة قول المصنف – رحمه الله تعالى – قال : ((**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أمره أن يقول** : " **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله** " ، **وكفى بالله شهيداً** ، **صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له في السلامة من العيوب**)) الخ

الواو في قوله : (**والتابعين له**) ليست موجودة في نسختين خطيتين مرفقتين بالطبعة التي بأيديكم وهي النسخة الأولى والنسخة الثالثة , والكلام بحذف الواو يستقيم تماماً وهو الأولى – حذفها أولى – بحيث يكون الكلام : (**صلى الله عليه وعلى آله التابعين**) بدون الواو , لتكون التابعين صفة للآل , وتكون الصلاة شاملة لكل من كان متبعاً للنبي – عليه الصلاة والسلام – على المعنى الذي سبق بيانه وهو أن المراد بالآل : أهل الدين المتبعين للنبي الكريم – عليه الصلاة والسلام– .

وجاء في نسخة هندية للكتاب في جامعة دار السلام في الهند أثبت اللفظ هكذا : " صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه التابعين " , بزيادة : " وصحبه " .

وهذه فائدة أتحفنا بها أحد الأخوة الأفاضل – جزاه الله خيراً – .

قال المصنف – رحمه الله – :

((**الأصل الثالث** ؛ **أن التوحيد قسمان** ؛ **القسم الأول** : **توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها** ، **ومعناه** : **أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب الرازق لهم** ، **وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل هم مقرون به كما سيأتي في الأصل الرابع**))

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : (**الأصل الثالث**) ؛ أي من الأصول التي صدر – رحمه الله تعالى – بها هذه الرسالة القيمة , قال : (**أن التوحيد قسمان** ؛ **توحيد الربوبية**) ثم ذكر القسم الثاني : توحيد العبادة , وهو – رحمه الله – يشير بهذا التقسيم إلى أن التوحيد له جانبان ؛ جانب علمي وجانب عملي وكل منهما مقصود للخلق , فالله – جل وعلا – خلق الخلق ليعلموا وخلقهم ليعبدوا ؛ للعلم والعبادة , فمقصود الخلق يتناول الجانبان ؛ العلمي والعملي يدل للأول قول الله تبارك وتعالى : " الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً " .

فالآية فيها أن نعلم أن مقصود الخلق أن نعلم أن الله على كل شيء قدير , وأنه – تبارك وتعالى – قد أحاط بكل شيء علماً , وهذا النوع من التوحيد توحيد علمي ويسمى أيضاً توحيد المعرفة والإثبات .

والنوع الثاني : التوحيد العملي , وهذا يدل له قول الله – سبحانه – : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " , فهذه الآية فيها أنه خلق الخلق ليعبدوه , والأولى أنه خلق ليعلموا , وكل من العلم والعمل مقصود للخلق , فالله خلق الخلق ليعرفوه وخلقهم – سبحانه وتعالى – ليعبدوه , ولا تكفي المعرفة في حصول التوحيد ؛ معرفة الله وأنه هو الخالق , الرازق , المتصرف , المدبر هذه المعرفة وحدها لا تكفي , وسيأتي بيان ذلك وتقريره عند المصنف – رحمه الله تعالى – , فقوله – رحمه الله – : (**التوحيد قسمان**) ؛ هذا مراده بذلك , وسيأتي عند المصنف – رحمه الله تعالى – الإشارة إلى توحيد الأسماء والصفات في موضع لاحق عنده في الكتاب .

قال : (**القسم الأول** : **توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها**) ؛ توحيد الربوبية – كما عرفنا – توحيد علمي والمطلوب من العباد فيه العلم والمعرفة والإثبات , ومعنى أن يوحدوا الله في ربوبيته : أي أن يقروا له

بالوحدانية في الربوبية , بأنه لا رب إلا الله , ولا خالق إلا الله , ولا رازق إلا الله , ولا متصرف في هذا الكون خفضاً ورفعاً , قبضاً وبسطاً , عطاءً ومنعاً إلا الله – سبحانه وتعالى – , توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ؛ كلها داخلة في توحيد الربوبية , لأن توحيد الربوبية يتناول جميع معاني الربوبية من الملك والخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير إلى غير ذلك ولهذا قال المصنف : (**ونحوها**) ؛ أي من الأمور التي يطلب من العباد إثباتها والإقرار بها والإيمان بها .

قال : (**ومعناه** : **أن اللّه وحده هو الخالق للعالم**) , (**ومعناه**) ؛ أي معنى هذا التوحيد الإقرار بأن الله وحده هو الخالق للعالم , أي لا خالق له سواه , " هل من خالق غير الله يرزقكم "

(**وهو الرب الرازق لهم**) ؛ أي لا شريك له في شيء من ذلك , فتوحيد الله في الربوبية هو إثبات أن الله وحده هو الخالق الرازق الملك المتصرف المدبر لا شريك له , ويعرّف هذا التوحيد بأنه توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير .

قال : (**وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون فيه للّه شريكًا**) , (**وهذا لا ينكره المشركون**) وسيأتي سوق المصنف – رحمه الله تعالى – لبعض الأدلة في فصل مستقل تدل دلالة واضحة على أن المشركين لا ينكرون هذا النوع من التوحيد ؛ لا ينكرون أن الخالق : الله , وأن الرازق : الله , وأن المحيي المميت : الله , لا ينكرون ذلك , في القرآن آيات كثيرة فيها أنهم إن سئلوا : من خلقهم ؟ , من خلق السماوات والأرض ؟ , من خلق الجبال ؟ , من الذي يدبر الأمر ؟ كل ذلك يقولون : الله , مقرين بتفرده – سبحانه وتعالى – وحده بذلك , ولا ينسبون شيئاً من ذلك للأصنام التي يعبدونها , وإذا قيل لهم : كيف مع هذا الإقرار تعبدون الأصنام ؟ يقولون :

" ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " , لم يقولوا : ما نعبدهم إلا لكونهم هم الخالقون , أو لكونها تخلق أو لكونها ترزق أو لكونها تحيي لم يقولوا ذلك لأنهم لا يثبتون شيئاً من ذلك للأصنام , قالوا : " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " , أي نحن لا نعبدهم لكوننا نعتقد فيها أنها تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت , هذا كله يعتقدون أنه من خصائص الله .

وسيأتي – كما أشرت– سوق المصنف – رحمه الله تعالى – لجملة من آي القرآن المقررة لذلك .

قال : (**وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون للّه فيه شريكًا**) , **(لا يجعلون للّه فيه شريكًا**) ؛ أي لا يجعلون الأصنام شريكاً لله في ذلك , بل يجعلون الأصنام شريكاً لله في العبادة فيعبدونها مع الله , لكن لا يثبتون لها خصائص الله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير ونحو ذلك.

قال : (**بل هم مقرون به**) ؛ أي مقرون بتوحيد الربوبية والله – سبحانه وتعالى – وصفهم بأنهم يؤمنون بذلك كما في قوله – سبحانه وتعالى – : " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " , ما معنى يؤمن بالله ؟ " وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون " ؟ المراد بالإيمان هنا : الإيمان بأن الله الخالق , الرازق , المنعم , المتصرف , ومعنى قوله : " إلا وهم مشركون " : أي مشركون به غيره في العبادة يدعونه مع الله ويستغيثون به من دون الله ويصرفون له من العبادة ما هو حق الله – سبحانه وتعالى – .

قال : (**كما سيأتي في الأصل الرابع**) ؛ أي أن المصنف في الأصل الرابع يأتي عنده تقرير ذلك وسوق الأدلة عليه .

قال – رحمه الله – :

(**والقسم الثاني** : **توحيد العبادة** ؛ **ومعناها** : **إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا لله فيه الشركاء** ، **ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى**)

<u>الشرح :</u>

قال : (**والقسم الثاني** : **توحيد العبادة**) , ويسمى توحيد الألوهية , ويسمى توحيد الإرادة والطلب , ويسمى توحيد القصد , ويسمى توحيد النية , ويسمى التوحيد العملي , هذه أسماء لمسمى واحد وهو توحيد العبادة وكل اسم من هذه الأسماء يلحظ فيه اعتبار في تسمية هذا النوع من التوحيد , قال : ((**توحيد العبادة**)) , والمراد بالتوحيد : الإفراد , لأن التوحيد مصدر للفعل وحّد يوحد توحيداً وهو أصل يدل على الإفراد , فتوحيد العبادة : أي إفراد الله بالعبادة , وما سبق ؛ توحيد الربوبية : إفراد الله بالربوبية , فالتوحيد هو الإفراد .

قال : ((**توحيد العبادة** ؛ **ومعناها** : **إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها**)) سواء منها القلبية ؛ كالحياء والرجاء والخوف والمحبة والإنابة والتوكل , أو العبادات التي تكون باللسان ؛ كالدعاء والذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلاوة القرآن ونحو ذلك أو العبادات التي تكون بالجوارح من صلاة وصيام وصدقة ونحو ذلك , فيُفرد – جل وعلا – بذلك كله ولا يجعل معه شريك في شيء من ذلك (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) , (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) , (ألا تعبدوا إلا الله) , (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) , (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) والآيات في تقرير هذا المعنى كثيرة جداً , (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) , (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) و الآيات في هذا المعنى كثيرة .

قال : ((**بجميع أنواع العبادات الآتي بيانها فهذا هو الذي جعلوا فيه لله الشركاء**)) , ((**هذا**)) ؛ أي هذا النوع من التوحيد ((**هو الذي جعلوا**)) ؛ أي المشركون ((**فيه شركاء**)) ؛ أي مع الله – سبحانه وتعالى – , فصرفوا لهم من هذه الحقوق فدعوهم من دون الله , ذبحوا لهم من دون الله , قدموا لهم النذور والقرابين من دون الله وصرفوا لهم أنوعاً كثيرة من العبادة فكانوا بذلك مشركين وشركهم في العبادة , أما النوع الأول فكانوا مقرين بأن الله لا شريك له في شيء من ذلك , ولهذا من عجيب أمرهم أنهم يقولون في التلبية –عندما يحجون البيت – يقولون : " لبيك اللهم لبيك , لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك " , يعني الشريك الذي ندعوه معك وندعوه من دونك هو لك أي مملوك لك , أنت تملكه وهو لا يملك شيئاً , فالأصنام يعتقدون فيها أنها ليست مالكة ولا خالقة ولا رازقة ولا مدبرة ليس لها ملك لشيء من ذلك وأن كل ذلك ملك لله , فتوحيد الربوبية مقرون به أما توحيد العبادة فقد جعلوا مع الله – سبحانه وتعالى – الشركاء .

قال : ((**ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى**)) , وهذه فائدة مهمة , قال : ((**ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى**)) ؛ أي وصف هؤلاء بالشرك فيه دلالة بأنهم مقرون بالله , لأن الشرك التسوية ؛ تسوية غير الله بالله , والتسوية دلت النصوص على أنها إنما كانت منهم في جانب العبادة , في التوحيد العملي دون التوحيد العلمي , فلفظ الشريك الذي هو وصف لهم – أو وصف الشرك الذي هو وصف لهم – يدل على أنهم مقرين بالله – سبحانه وتعالى – أي به رباً خالقاً معبوداً , مقرين به أنه معبود يستحق أن يعبد لكن لا يقرون بالإفراد – إفراده –

سبحانه وتعالى – بالعبادة – , ولهذا هم يعبدونه مع الأصنام ويدعونه مع الأصنام ويذبحون له مع الأصنام لكن لا يفردونه بالعبادة , وقد جاء في المسند بسند جيد أن النبي – عليه الصلاة والسلام – سأل أحد المشركين ؛ قال له : " كم إلهاً تعبد ؟ , قال : سبعة ؛ ستة في الأرض وواحد في السماء " إذاً هم يعبدون الله لكنهم لا يفردونه – سبحانه وتعالى – بالعبادة بل يعبدون معه ستة وسبعة وعشرة ومئة , يعبدون معه أصناماً لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً ولا عطاء ولا منعاً فضلاً من أن تملك شيئاً من ذلك لغيرها .

فقوله : ((**ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله تعالى**)) ؛ أي بإقرار هؤلاء القوم بالله رباً خالقاً رازقاً متصرفاً معبوداً , لكنهم يفردونه بالجانب العلمي والجانب العملي يجعلون معه الشركاء .

قال –رحمه الله– :

((**فالرسل - عليهم السلام – بعثوا لتقرير الأول** ، **فدعاء المشركين إليه عند قولهم في خطاب المشركين** : " **أفي الله شك** " ، " **هل من خالق غير الله** " ، **ونهيهم عن شرك العبادة ولذا قال تعالى** : (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله**) ؛ **أي قائلين لأممهم** : (**أن اعبدوا الله**) ، **فأفاد بقوله** : (**في كل أمة**) **أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل ولم تبعث إليهم إلا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وأنه رب السماوات والأرض فإنهم مقرون بهذا** ، **ولهذا لم ترد الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو** : (**هل من خالق غير الله**) (**أفمن يخلق كمن لا يخلق**) ، (**أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**) ، (**أغير الله أتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض**) ، (**فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) ، (**أروني ماذا خلقوا من الأرض**) ، **استفهام تقرير لهم لأنهم به مقرون**))

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : ((**فالرسل - عليهم السلام – بعثوا لتقرير الأول**)) ؛ أي توحيد الربوبية , لم يبعثوا للدعوة إليه لأن من بعثوا فيهم مقرون بهذا التوحيد مؤمنون به لا ينكرونه , فالرسل بعثوا لتقرير الأول , يعني لإقرار هذا النوع من التوحيد وليس للدعوة إليه ابتداء لأن الأقوام الذين بعث فيهم الأنبياء يقرون بهذا التوحيد , فبعث الأنبياء لتقريره , (**ودعاء المشركين إلى الثاني**) هكذا العبارة : (**فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثاني**) ؛ الثاني توحيد العبادة , والمشركون جعلوا مع الله – سبحانه وتعالى – شركاء في هذا النوع من التوحيد , فالأنبياء بعثوا لتقرير الأول – الذي هو توحيد الربوبية – ودعاء المشركين إلى الثاني الذي هو توحيد العبادة , لأن الخلل الذي عند المشركين في النوع الثاني والأول يقرون به كما مرّ وكما سيأتي سوق الأدلة على ذلك .

قال : ((**ودعاء المشركين إلى الثاني** ، **مثل قولهم - أي الرسل – في خطاب المشركين** : (**أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى**) ، (**هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو**)) فهذا الذي بعث به الأنبياء ؛ بعثوا لتقرير الأول الذي هو توحيد

الربوبية , والدعوة إلى الثاني الذي هو توحيد العبادة وهو الذي فيه الخلل وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم .

قال : ((**ونهيهم عن شرك العبادة**)) لم يقل : ونهيهم عن شرك الربوبية لأنهم مقرون لله – سبحانه وتعالى – بالربوبية والإنفراد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة , ولذا قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) مهمة محددة , (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فالرسل من أولهم إلى آخرهم بعثوا لهذا الهدف وهو الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – وإفراده بالعبادة وإبطال الشرك , ومثل هذه الآية قوله : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلا أنا فاعبدون) , وقوله – جل وعلا – : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله) .

قال – رحمه الله – في بيان معنى الآية : ((**أي قائلين لأممهم** : **أن اعبدوا الله**)) هذه هي المهمة التي بعثوا لأجلها وأرسلوا للدعوة إليها . ((**فأفاد بقوله** : (**في كل أمة**) : **أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل وتبعث إلا لطلب توحيد العبادة**)) , (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً) لأجل ماذا ؟ (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) , ((**لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم**)) ؛ أي أن الرسل لم يبعثوا للتعريف بأن خالق العالم الله بل – كما سبق – من بعث فيهم الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – يقرون بأن الخالق للعالم : الله , والذي يرزق العالم هو الله , والذي يحيي ويميت هو الله , يقرون بذلك , فالأنبياء لم يبعثوا أممهم إلا للتعريف بأن الخالق لهذا العالم هو الله , وهذه المعاني تأتي في دعوة الأنبياء من باب الإقرار لشيء موجود في هؤلاء , ويقصد أيضاً من هذا الإقرار التوصل منه إلى لازمه , أي كما أنكم تقرون بأنه وحده هو الخالق , الرازق , المتصرف المدبر فأفردوه وحده بالعبادة ولا تجعلوا معه الشركاء .

قال :

((**لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وأنه رب السماوات والأرض فإنهم مقرون بهذا**))

((**فإنهم**)) ؛ أي المشركين , ((**مقرون بهذا**)) ؛ أي بهذا النوع من التوحيد .

قال : ((**ولهذا لم ترد الآيات فيه - أي في توحيد الربوبية – في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو** : (**هل من خالق غير الله**) ، (**أفمن يخلق كمن لا يخلق**) ، (**أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**) ، (**أغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض**) ، (**هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه**) ، (**أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات**)) هذه كلها استفهامات , لكن ما نوع هذا الاستفهام ؟ قال : ((**استفهام تقرير لهم لأنهم به مقرون**)) ليسوا له منكرون ولا جاحدون , بل مقرون , فتأتي هذه الاستفهامات للتقرير وللتوصل من ذلك إلى الدعوة إلى الثاني وهو أن يفرد الرب – جل وعلا – بالعبادة .

قال –رحمه الله–

((**وبهذا يعرف أن المشركين لم يتخذوا الأوثان والأصنام ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لأجل أنهم أشركوهم في خلق السماوات والأرض وفي خلق أنفسهم بل**

اتخذوهم لأنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما قالوه ، فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله ، قال الله تعالى : (**قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**) **فجعل الله اتخاذهم للشفعاء شركًا ونزّه نفسه عنه لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في شفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئاً** ؟!))

الشرح :

قال : ((**وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم يعبدوها ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله تعالى لأجل أنهم أشركوهم في خلق السماوات والأرض وفي خلق أنفسهم**)) , يعني بهذا الذي ساقه المصنف – رحمه الله – تعرف أن المشركين الذين اتخذوا الأصنام والأوثان لم يتخذوها لكونهم أشركوهم مع الله في الخلق أو في الرزق أو في الإحياء أو في الإماتة , وعندما يسألون عن الخالق للسماوات والخالق للناس والخالق للأرض والجبال يقرون لله – سبحانه وتعالى – بذلك ولا يجعلون مع الله شريك فيه , فالرسل لم يُبعثوا في الأقوام للدعوة لذلك , وكذلك الأقوام – الذين هم المشركون – لم يتخذوا هذه الأصنام معبودة لأنهم أشركوهم مع الله في خلق السماوات وفي خلق أنفسهم , إذاً لماذا أشركوهم مع الله في العبادة وهم يقرون بأن الأصنام لا تملك شيئاً من خلق أو رزق أو إحياء أو إماتة ؟ لماذا أشركوهم ؟ قال : ((**بل اتخذوهم لأنهم يقربونهم إلى الله زلفى**)) أي بزعمهم , بل اتخذوهم زعماً منهم أن هذه الأصنام تقربهم من الله ؛ أي تدنيهم من الله وتكون شفيعاً وواسطة بينهم وبين الله – سبحانه وتعالى – ((**كما قالوه**)) ؛ أي كما أقروا هم بذلك وصرحوا به , ((**فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم**)) ؛ هذا نظير قوله – رحمه الله – : ((**ولفظ الشريك يشعر بالإقرار بالله**)) , نفس كلمات الكفر – كلمات الشرك – التي تصدر من هؤلاء فيها إثبات إقرارهم بالله مثل التلبية التي أشرت إليها قبل قليل – تلبية هؤلاء – فيها الإقرار بالله خالقاً , رازقاً , مالكاً , ((**فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله**)) , ((**وأنهم**)) ؛ أي هذه الأصنام والأوثان ((**شفعاء عند الله**)) ؛ أي يعبدونها لتكون شافعاً لهم عند الله وواسطة بينهم وبين الله – سبحانه وتعالى – تقربهم من الله قال الله تعالى : (ويعبدون من دون ما لا يضرهم ولا ينفعهم) لماذا ؟ (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) , (ويعبدون من دون ما لا يضرهم ولا ينفعهم) هل لكون هذا الذي عبدوه من دون الله خالقاً – يعتقدون به خالقاً – ؟ أو رازقاً ؟ أو منعماً ؟ لا , وإنما ليقربهم من الله – سبحانه و تعالى – وليكون شافعاً لهم عند الله , (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل) أي منكراً عليهم مبيناً قبح فعالهم (أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) أي تنزه وتقدس عن هذا الشرك , ((**فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركًا ونزّه نفسه عنه**)) .

((**فجعل الله اتخاذهم للشفعاء شركًا**)) ؛ الشفعاء : أي الوسائط التي بزعمهم تقربهم من الله وتدنيهم منه – سبحانه وتعالى – سمى الله ذلك شركاً ((**ونزّه نفسه عنه**)) لأنه ختم الآية بقوله : (سبحانه وتعالى عما

يشركون) ,لأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالشفاعة ملك له – سبحانه وتعالى – (قل لله الشفاعة جميعاً) , ((**فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم في الشفاعة ولا هم أهل لها ولا يغنون عنهم من الله شيئاً ؟!**)) , فالشفاعة ملك لله ولا تكون إلا بإذن الله ولا تكون أيضاً إلا لمن رضي الله – سبحانه وتعالى – قوله وعمله , والله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد .

قال – رحمه الله – :

((**الأصل الرابع ؛ أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرين أن الله خلقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) ، وأنه الذي خلق السماوات والأرض (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) ، وبأنه الرازق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) ، (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)**))

<u>الشرح :</u>

ثم ذكر – رحمه الله – الأصل الرابع وهو أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله خالقهم ؛ أي أنهم إذا سئلوا : من الذي خلقكم وأوجدكم من العدم بعد أن لم تكونوا شيئاً مذكوراً ؟ أهي الأصنام التي تعبدون ؟ يقولون : لا , الأصنام ليست هي التي خلقتنا وأوجدتنا من العدم , الذي خلقنا هو الله , قال الله تعالى : (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) , أي يقرون بأن المتفرد بخلقهم وايجادهم من العدم هوالله رب العالمين لا شريك له , ((**وأنه** – أي ويقرون – **الذي خلق السماوات والأرض**)) فإذا سئلوا : من الخالق للسماوت ومن الخالق للأرض يقولون : الله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) .

((**وبأنه الرزاق الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وأنه الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة**)) , كل ذلكم إذا سئلوا من المتفرد به يقولون : الله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) , (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) , فهذه الآيات – ولها نظائر عديدة في كتاب الله – سبحانه وتعالى – فيها أن المشركين مقرون بتفرد الله – سبحانه وتعالى – بالخلق والرزق والإحياء والتدبير والتصرف , لا يجعلون الأصنام شريكاً لله – سبحانه وتعالى – في ذلك .

ثم قال –رحمه الله–

((**وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوة ونطقه بالكلمة الشنعاء ، يقول الله في حقه حاكياً عن موسى – عليه السلام – قال** : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر** ﴾ ، **وقال إبليس** : ﴿ **إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ ، **وقال** : ﴿ **رب بما أغويتني** ﴾ ، **وقال** : ﴿ **رب فأنظرني** ﴾ ، **فكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السماوات والأرض وربهن ورب ما فيهن ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم** : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ **وبقولهم** : ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له** ﴾ ، **والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه**))

الشرح :

قال : ((**وهذا فرعون مع غلوه في كفره ودعواه أقبح دعوة**)) أي حيث قال : (أنا رب العالمين) , (ما علمت لكم من إله غيري) , ((**ونطقه بالكلمة الشنعاء ، يقول الله في حقه حاكياً عن موسى – عليه السلام – قال** : ﴿ **لقد علمت** ﴾ **أي يا فرعون في قرارة نفسك** ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر** ﴾)) يقول أنت تعرف , لكن هذا الجحد الذي يبذله فرعون والدعاوى الباطلة هذه مبنية على الاستكبار والعلو والطغيان (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) فهي مبينة على ذلك ؛على الظلم والعدوان والجحود والاستكبار والتعالي أما في قرارة نفسه يقر (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات) في الآية الأخرى قال : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ؛ يعني هم في قرارة أنفسهم على يقين (استيقنتها أنفسهم) , لاحظ , لم يقل : علموا أو عرفوا , قال : (استيقنتها) ؛ عندهم يقين بأن الله – عز وجل – هو الرازق وحده , المالك , المتصرف , المدبر .

((**وقال إبليس** : ﴿ **إني أخاف الله رب العالمين** ﴾ .)) يقر بأن رب العالمين هو الله , ((**وقال** : ﴿ **رب بما أغويتني** ﴾ ، **وقال** : ﴿ **رب فأنظرني** ﴾.)) فإبليس يقر بوجود الله وبأنه الخالق , الرازق, المنعم , المتصرف , قال : ((**وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السماوات والأرض وربهن ورب ما فيهن ورازقهم ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم** : ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق**)) ؛ أي هل يسوى بين من يخلق ومن لا يخلق ؟! , ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ , أي كيف تسوون الخالق العظيم المدبر للأمرالذي بيده أزمة الأمور بأحجار ليست تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً فضلاً من أن تملك شيئاً من ذلك لغيره , ولهذا لما استظهر بعض المشركين هذا المعنى تركوا الشرك ؛ تركوا الشرك لما استظهروا أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً فضلاً من أن تملك لغيرها , تركوا الشرك لأن هذا دليل على بطلان الشرك , وفي القرآن إلزام لهم بذلك ليتخلوا عن الشرك ويقبلوا على عبادة الله – سبحلنه وتعالى – وحده لا شريك له , ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري – رحمه الله – في كتابه التفسير أن أحد المشركين قصد صنماً من الأصنام ؛ أتاه من مسافة بعيدة , فلما وصل إلى الصنم وجد ثعلباً فوق رأس الصنم ويبول , والبول ينزل من رأس الصنم إلى أسفل قدميه , وهو قصده من مسافة بعيدة ليدعوه وليسأله فلما رأى هذا المنظر قال :

أربٌ يبول الثُّعلبان برأسه؟ لقد هان من بالت عليه الثعالب

ورجع , فالشاهد – مثلما قال المصنف – رحمه الله – : ((**ولهذا احتج عليهم الرسل**)) ؛ أي بذلك , ((**احتج عليهم الرسل بقولهم** : (**أفمن يخلق كمن لا يخلق**)) ؛ أي هل يُسوى التراب برب الأرباب ؟! برب العالمين ؟! بخالق الخلق أجمعين ؟!

(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) ؛ أي لا يملكون شيئاً لأنفسهم فضلاً عن غيرهم

قال : ((**وبقولهم** : (**إن الذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له**)) , (يا أيها الناس ضُرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له) والذباب من أحقر الحيوان وأخسه , لو اجتمع هؤلاء لهم على خلق ذباب واحد ما استطاعوا , فكيف يُسوى من لا يستطيع على خلق ذباب واحد بالخالق العظيم الذي خلق جميع المخلوقات وأوجد جميع الكائنات وتفرد فيها تصرفاً وتدبيراً ورزقاً وإحياءً وإماتة وعطاءً ومنعاً ؟!

قال : ((**والمشركون مقرون بذلك ولا ينكرونه**)) ، ((**والمشركون مقرون بذلك**)) ؛ أي بتفرد الله بالربوبية ولا ينكرونه .

قال – رحمه الله – :

((**الأصل الخامس** ؛ **أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل** ، **ولم تستعمل إلا في الخضوع للّه تعالى** ، **لأنه- تعالى – مُولي أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع - كما في الكشاف** - ، **ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد للّه الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهي قول** : **لا إله إلا اللّه** ، **والمراد اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد قولها باللسان** ، **ومعناها إفراد اللّه بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه** ، **وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان العربي فقالوا** : (**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**)))

<u>الشرح :</u>

هذا الأصل الخامس من الأصول التي قررها المصنف – رحمه الله تعالى – , قال : ((**أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل**)) , والعبادة أصلها اللغوي هو الذل , يُقال : طريق معبد ؛ أي مذلل , ويُقال : ناقة ذلول أو ناقة معبدة ؛ أي ناقة ذلول مذللة , فأصل العبادة في اللغة : الذل , يقول المصنف : ((**أن العبادة أقصى باب الخضوع والتذلل** ، **ولم تستعمل إلا في الخضوع للّه**)) لأن الذل والخضوع لا يكون إلا لله – سبحانه وتعالى – , لا يكون إلا لمن خلق هذه المخلوقات وأوجد هذه الكائنات وخلق الناس وأوجدهم من العدم (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً إن خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً ورب العالمين خلقه وكوّنه في مراحل من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم خرج طفلاً صغيراً , ثم كبر وترعرع وصار إنساناً سوياً له سمع وبصر ويد وقدم ويتحرك , وكل ذلك منّ الله عليه , ثم

يتوجه أكثر الناس إلى غير خالقهم وإلى غير رازقهم وإلى غير موجدهم , يتوجهون إلى أحجار وإلى أشجار وإلى قباب وإلى أضرحة بها يستنجدون وإليها يلجأون وعليها يعتمدون ومنها الشفاء يطلبون وإليها يتوجهون وبها ينزلون الحاجات والرغبات تعالى الله عما يشركون , ووالله إنها لحالة عجيبة لهذا الإنسان (فأنى تسحرون), (قليلاً ما تذكرون) , (أفلا تعقلون) , تأتي في القرآن آيات مرّ معنا بعضها , أين العقول ؟ هل هي عقول مسحورة ؟ تائهة ؟ ضالة ؟ الله يخلقها ويوجدها وإذا سئلوا : من خلقكم ؟ يقولون : الله , ثم يتوجهون إلى أصنام أوقباب أو أضرحة أو غير ذلك ويصرفون لها العبادة ويلتجؤون إليها بالذل والخضوع حتى إن كثيراً من هؤلاء إذا وقف أمام معبوده حصل له من الذل والخضوع والانكسار والخشية والرغبة والرهبة ما لا يكون منه إذا وقف بين يدي ربه – سبحانه وتعالى –

قال : ((**ولم تستعمل إلا في الخضوع للّه تعالى ، لأنه- تعالى – مُولي أعظم النعم**)) ؛ أي المعطي , والمان والمتفضل بأعظم النعم (هل من خالق غير الله يرزقكم) , (وما بكم من نعمة فمن الله) , (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) , (وآتاكم من كل ما سألتموه إن الإنسان لظلوم كفار) فالله – سبحانه وتعالى – مُولي النعم والمتفضل بالمنن وما بالعباد من نعمة إلا منه هو المتفضل – سبحانه وتعالى – بذلك كله لأنه مُولي أعظم النعم ((**فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع**)) ؛ أي كما أنه تفرد بالإنعام والإمداد والإكرام والعطاء فليفرد وحده بالخضوع والذل لا يُجعل معه – سبحانه وتعالى – شريكاً في شيء من ذلك

((**فكان لذلك حقيقاً بأقصى غاية الذل**)) ، ((**حقيقاً**))؛ أي جديراً , ((**بأقصى غاية الذل**)) ؛ أن يكون ذل العبد وخضوعه وانكساره له وحده – سبحانه وتعالى – .

قال : ((**ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد للّه**)) ، ((**أساسها**)) ؛ أي الذي عليه تُبنى , فإن لم تكن العبادة قائمة على توحيد الله تعالى بطلت العبادة وكانت حابطة (ولقد أُوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله) أي وحده (فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) وهم مع ذلك يتجهون لغيره ويلتجأون إلى غيره (سبحانه وتعالى عما يشركون) .

قال : ((**ثم إن رأس العبادة وأساسها التوحيد للّه الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهي قول** : **لا إله إلا اللّه**)) ولا إله إلا الله هي كلمة التوحيد وعرفنا أن لا إله إلا الله دلت على التوحيد بركنيه ؛ النفي والإثبات , والتوحيد لا يكون إلا بنفي وإثبات أو بأي أسلوب آخر من أساليب الحصر التي تدل بالقوة ما تدل عليه كلمة النفي والإثبات (إنما إلهكم الله) أي لا إله لكم غيره , (إياك نعبد) ؛ أي نعبدك ولا نعبد غيرك ونحو ذلك من أساليب الحصر, قال : ((**وهي قول** : **لا إله إلا اللّه** ، **والمراد - من لا إله إلا اللّه - اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها لا مجرد قولها باللسان**)) فليس المطلوب أن تُقال قولاً مجرداً باللسان بل المطلوب أن يُعرف معناها وأن يُعلم بمدلولها و أن يُعمل بما تقتضيه من الإفراد لله – سبحانه وتعالى – بالعبادة , أما أن يقول القائل : لا إله إلا الله ثم يمد يديه ويقول : مدد يا فلان , إن لم تدركني من الذي يدركني ؟ هذا ليس من أهل لا إله إلا الله مجرد قولها لها , فلا إله إلا الله ليست نافعة لقائلها إلا إذا علم معناها وعمل بما تقتضيه , ولهذا لا بد فيها من العلم ولا بد فيها من الصدق ولا بد فيها من العمل , بالعلم يخرج من طريقة النصارى وبالعمل يخرج من طريقة

اليهود وبالصدق يخرج من طريقة المنافقين ؛ علم وعمل وصدق بذلك يكون من أهل لا إله إلا الله , أما أن يقول : لا إله إلا الله ولا يعرف معناها فضلاً عن أن يعمل بمقتضاها لا يكون بذلك من أهلها بمجرد قوله لها.

قال : ((**ومعناها إفراد الله بالعبادة والإلهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه**)) ؛ **أي لابد من الأمرين ؛ النفي والإثبات ، إفراد الله بالعبادة والبراءة والنفي لكل ما يعبد من دونه كما هو واضح في كلمة التوحيد : لا إله إلا الله ؛ نفي وإثبات** . ((**وقد علم الكفار هذا المعنى**)) ؛ أي علموا أن قول لا إله إلا الله يعني أن يفرد الله وحده بالعبادة , وأن تُنفى العبادة عن الأصنام وأن يُتبرأ من عبادة الأصنام , يعرفون هذا المعنى , لماذا ؟ قال : ((**لأنهم أهل اللسان العربي**)) ؛ يعني يعرفون اللغة ودلالاتها , ((**فقالوا** : (**أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب**)) ؛ أي أنهم عندما قال لهم النبي – عليه الصلاة والسلام – : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا , فهموا المراد فقالوا : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) , وفي الآية الأخرى قال تعالى : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله) أي قولوا لا إله إلا الله (يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا ألهتنا لشاعر مجنون) ؛ أي عرفوا أن لا إله إلا الله تعني ذلك ؛ تعني إخلاص العبادة لله والبراءة من الشرك ولهذا امتنعوا واستكبروا وتواصوا بينهم (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) ويقولون متفاخرين في مجالسهم متباهين في مجالسهم : (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) ؛ يعني : لولا أننا تحلينا بالصبر وإلا كدنا أن نترك الآلهة , كل ذلك قالوه لما قال لهم : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا , فهم يعرفون معنى هذه الكلمة , بينما يوجد من الناس من يقول هذه الكلمة ولكن لا يدري ما معناها , ولهذا يقولها بلسانه وينقضها بفعاله , يقولها بلسانه قولاً مجرداً وينقضها بفعاله ؛ يسأل غير الله ويذبح لغير الله ويطلب المدد والعون من غير الله ويصرف أنواعاً من العبادة لغير الله وهو يقول لا إله إلا الله لأنه لا يعرف معناها فضلاً على أن يعمل بمقتضاها , بل بعضهم إذا قيل له : ما معنى لا إله إلا الله ؟ قال : أي لا خالق إلا الله , هل لو كان معنى لا إله إلا الله : لا خالق إلا الله هل يأباها المشركون ويمتنعون من قبولها ؟ وهم مقرون بأنه لا خالق إلا الله ؟ إذاً كلمة لا إله إلا الله إذا كان معناها لا خالق إلا الله لا تصادم عقيدة عندهم , فما يحتاج الأمر إلى امتناع واستكبار وإباء , فالشاهد أن المشركين يعرفون أن معنى هذه الكلمة وما تدل عليه ولهذا لما أمرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقولوها امتنعوا وقالوا : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) .

ونكتفي بهذا القدر والله تعالى أعلم ,

وصلى الله وسلم على رسول الله .

****

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ..

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علماً واجعل ما نتعلمه حجة لنا لا علينا ، اللهم إن نسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً ..

قال المصنف – رحمه الله – :

((**فصل** : **إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعاً** :

اعتقادية وهي أساسها وذلك أن تعتقد أن الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر وبيده النفع والضر وأنه الذي لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنه لا معبود بحق غيره ، وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية))

<u>الشرح :</u>

لما أنهى المصنف – رحمه الله تعالى – ذِكر الأصول الخمسة التي بدأ بها وهي :

الأصل الأول : أن كل ما في القرآن فهو حق لا باطل فيه .

والأصل الثاني : أن الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – بعثوا للدعاء إلى عبادة الله – سبحانه – وإخلاص الدين له .

والأصل الثالث : أن التوحيد قسمان : توحيد علمي بالإقرار بربوبية الله – جل وعلا – وتوحيد عملي بإفراده – سبحانه وتعالى – بالعبادة وإخلاص الدين له .

ثم الأصل الرابع : أن المشركين الذين بُعث فيهم الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – كانوا مقرين بأن الخالق الله.

ثم الأصل الخامس : في بيان حقيقة العبادة وأنها أقصى باب الخضوع والتذلل وهي حق لله – سبحانه وتعالى – لا يجوز صرفها لغيره ، يفرد بها ولا يصرف شيء منها لأحد سواه .

لما أنهى هذه الأصول وهي من الأهمية بمكان بل أهميتها عظيمة .

قال : (**فصل إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله جعل العبادة له أنواعاً**)

قوله : (**إذا عرفت هذه الأصول فاعلم**)

فيه التنبيه أن هذه الأصول بمثابة الأساس الذي يبنى عليه غيره ، فهي أصول بمعنى أنها أسس عظيمة يبنى عليها الدين وتقام عليها العبادة ، والأصل والأساس إذا اختل ، اختل ما بني عليه فالحاجة إلى معرفة هذه الأصول وضبطها وتحقيقها حاجة ماسة لأنها أساس يبنى عليه ما بعده وإذا وجد فيها الخلل دخل الخلل إلى جوانب الدين العديدة وفروعه المتنوعة .

قال : (**إذا عرفت هذه الأصول فاعلم أن الله جعل العبادة له أنواعاً**)

جعل العبادة أي التعبد والتذلل والتقرب إليه – سبحانه وتعالى – جعله أنواعاً ، لم يجعل العبادة نوعاً واحداً وإنما جعلها أنواعاً ، وجعل للقلب منها حظاً ونصيباً وللسان منها حظاً ونصيباً وللجوارح منها حظاً ونصيباً ، فهناك عبوديات للقلب وهناك عبوديات للسان وهناك عبوديات للجوارح وكل منها مطلوب منه أن يقوم بعبوديته : القلب بعبوديته واللسان بعبوديته والجوارح بعبوديته كلها مطالبة بالقيام بالعبوديات المتعلقة بها – فالعبادة أنواع – .

ثم أيضاً : العبادة أنواع من حيث أن منها فرائض وواجبات ومنها رغائب ومستحبات ، وفي الحديث القدسي : " ما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه " والمؤلف – رحمه الله تعالى – لما ذكر الأصول المتقدمة بيّن بعد ذلك أن العبادة أنواع قال: (**اعتقادية وهي أساسها**) وهي أساس العبادة الذي عليه بناؤها وقيامها لأن العبادة مهما كثرت وتنوعت وتعددت واجتهد العبد في القيام بها لا تكون مقبولة إلا إذا كانت قائمة على هذا الأساس والاعتقاد الصحيح الحق الذي أمر الله – سبحانه وتعالى – عباده به .

والاعتقاد للعبادات بمثابة الأصول للأشجار كما قال الله تعالى : " ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء " الأصل الاعتقاد والفرع العمل وأنواع العبادات فإذا وجدت الأعمال وتعددت وتنوعت ولم يوجد الاعتقاد لا تقبل ولا ينتفع بها العامل " من عمل صالحاً فلنفسه من ذكر أو أنثى وهو مؤمن " لا بد من هذا الأساس " ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن " لا بد من هذا الأساس ويقول – جل وعلا – : " وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله " فعدم وجود الإيمان مبطل للأعمال ومحبط لها ،" ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الأخرة من الخاسرين " .

قال : (**اعتقادية وهي أساسها**) ، (**أساسها**) : أي العبادة التي عليه تبنى ، ذكر – رحمه الله – الاعتقاد في أنواع العبادة باعتباره أساساً تبنى عليه العبادة ويقام عليه الدين .

ثم بين الاعتقاد بملخص مفيد : قال : (**وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر**)

(**أن يعتقد أنه**) أي المعبود الذي يُتجه إليه بالعبادة وتصرف له الطاعة ويفرد بالذل والخضوع (**يعتقد أنه الرب**) أي المتفرد بالربوبية والخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير لهذا الكون (**الواحد الأحد**) وهما اسمان لله – جل وعز – دالان على وحدانيته وتفرده بصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال وأنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه الذي يجب أن يفرد وحده بالعبادة ويفرد وحده بالذل والخضوع (**الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر**) كما قال الله تعالى : " ألا له الخلق والأمر" فالخلق لله لأن جميع المخلوقات خلقه وهو الذي – سبحانه وتعالى – تَفَرَّد بإيجادها من العدم ، وله الأمر بنوعيه:

الأمر الكوني القدري : " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون " .

والأمر الشرعي الديني فهو الذي له الحكم في عباده يشرع ما يشاء – سبحانه وتعالى – " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله " فهو – سبحانه وتعالى – الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر ، متفرد بذلك لا شريك له .

قال : (**وبيده النفع والضر**) فهو – سبحانه وتعالى – النافع الضار ، المعطي المانع ، القابض الباسط ، الخافض الرافع ، المعز المذّل ، الهادي المضل ، الذي بيده – سبحانه وتعالى – أزِّمة الأمور .

(**وأنه الذي لا شريك له**) والشريك المساوي ، والشرك التسوية ، والله – سبحانه وتعالى – لا شريك له ، لا في ربوبيته ولا في أسمائه وصفاته ولا في العبادة .

قال : " ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه " لأن الشفاعة ملك له ، " قل لله الشفاعة جميعاً " ، " ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه " ، " من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " ، " ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " ، " وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى "

(**وأنه لا معبود بحق غيره**) فهو المعبود بحق ، " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل " قال – جل وعلا – : " له دعوة الحق " فهو – سبحانه وتعالى– المعبود بحق ولا معبود بحق سواه وكل عبادة تصرف لغيره فهي باطل .

قال : (**وغير ذلك من لوازم الإلهية**) مشيراً بهذا إلى أنه لم يبسط هنا الاعتقاد وإنما ذكر طرفاً يسيراً منه .

قال – رحمه الله – :

(**ومنها لفظية وهي النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولاماله وكان كإبليس فإنه يعتقد التوحيد بل ويقر به كما أسلفناه عنه إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر ومن نطق بها ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه إلى الله وحكمه حكم المنافقين**) .

الشرح :

ثم قال – رحمه الله تعالى – : (**ومنها**) أي العبادة (**لفظية**) أي باللسان قال : (**وهي النطق بكلمة التوحيد**)

ذكر هنا عبادة لفظية هي للدين بمثابة الأساس وهي كلمة التوحيد وإلا فإن العبادات اللفظية كثيرة مثل : تلاوة القرآن وأنواع الأذكار والدعوات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله – جل وعلا – ، هذه كلها عبادات تكون باللسان لكنه ذكر أساس العبادات عموماً وهو النطق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله ، " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " .

قال: (**فمن اعتقد ما ذُكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله**) .

(**من اعتقد ما ذكر**) أي قبل قليل من الاعتقاد الحق الذي ينبغي أن ينطوي عليه القلب ، قلب المؤمن ، (**من اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه وماله**) لأن الدم والمال يحقن بإعلان الإسلام وإظهاره ، والإسلام يظهر بالنطق بالشهادتين وأول ما يؤمر به المكلف النطق بالشهدتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال لمعاذ – رضي الله عنه – : " إنك تأتي قوماً أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " .

فهذا أول ما يطلب من المكلف وأول ما يبدأ به ، ينطق بالشهادتين فإذا نطق بالشهادتين حقن دمه وماله ، فإن لم ينطق بها لم يحقن دمه وماله ، إن امتنع من الشهادتين لم يحق دمه وماله ، " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " .

قال : (**وكان كإبليس**) أي الذي يمتنع من النطق بالشهادتين ويمتنع من شعائر الدين ويزعم أنه على اعتقاد صحيح في قرارة قلبه يقول شأنه يكون (**كإبليس فإنه يعتقد التوحيد**) أي يعتقد أن الرب هو الله وأنه الخالق

الرازق وأنه الذي يجب أن يطاع وأن تصرف له العبادة لكنه استكبر لما أمره الله – سبحانه وتعالى – بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين ، فكان كفره كفر إباء واستكبار ، لم يطع أمر الله – سبحانه وتعالى – علواً واستكباراً .

قال : (**وكان كإبليس فإنه يعتقد التوحيد بل ويقر به كما أسلفناه عنه**) ساق بعض الآيات التي تفيد هذا المعنى : " رب بما أغويتني " ، " قال فبعزتك " ونحوها من الآيات التي تدل على أنه في قرارة نفسه يقر لكنه أبى من قبول العمل وامتثال الطاعة استكباراً وقال : " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين "

قال : (**إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر**) فدل ذلك على أن الإقرار بأن الله – عز وجل – هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون المتصرف فيه الذي يجب أن يطاع ، هذا الإقرار وحده لا يكفي بل لا بد أن ينطق بالشهادتين حتى لو أقر في قلبه بأن الدين الإسلامي هو الدين الصحيح وهو الدين الحق والدين الذي لا يقبل دين سواه ولكن أبى أن ينطق الشهادتين يكون كافراً لا ينفعه ذلك الإقرار .

عم النبي أبو طالب يقول :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية ديناً

إذاً ما الذي يمنعك وقد علمت هذا العلم أن دين محمد من خير أديان البرية ، ما الذي يمنعك أن تقبله ؟! وأن تُقبل عليه وأن تكون من أهله ؟! قال مجيباً في البيت الذي يليه :

لولا الملامة أو حذار مسبة   لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

يقول : أنا في نفسي مقر بأن خير الأديان لكنني لم أقبل على هذا الدين خوف الملامة وخوف المسبة ، خوف أن يلومني الناس ويقولون غيرت دين الآباء والأجداد وأن أسب بذلك وإلا أنا مقتنع أنه خير أديان البرية فإقرار الإنسان بأن الرب هو الله وأنه هو الخالق المدبر وأنه المعبود بحق وأن دينه هو الدين الحق دون أن ينطق بالشهادتين لا ينفعه ويكون شأنه كشأن إبليس ، فإنه أقر ولكنه امتنع ولم يمتثل قال : (**إلا أنه لم يمتثل أمر الله بالسجود فكفر**) .

قال : (**ومن نطق بها ولم يعتقد**) .

(**ومن نطق بها**) أي بالشهادتين (**ولم يعتقد**) أي في قلبه وإنما أعلن ظاهراً النطق بالشهادتين هذا يحقن دمه وماله لأن الناس ليس لهم إلا الظاهر أما الباطن فبين العبد وبين الله ، لا يعلم الناس ما في الصدور فلهم الظاهر

فمن النطق بالشهدتين حقن دمه وماله : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله " قد يشهد بها صادقاً وقد يشهد بها منافقاً لكنه يحقن دمه بهذه الشهادة .

قال : (**ومن نطق بها ولم يعتقد بها حقن ماله ودمه وحسابه على الله وحكمه حكم المنافقين**) المنافقون ينطقون الشهادتين ويعملون أعمال الإسلام الظاهرة لكن في الباطن اعتقادهم فاسد وقلوبهم لا تنطوي على عقيدة صحيحة بل تنطوي على الكفر بالله – سبحانه وتعالى – والتكذيب بشرعه وعدم التصديق لأنبيائه ورسله لكن يظهرون الإسلام خوفاً ومهابة أو رغبة وطمعاً أو غير ذلك من المقاصد ، فإذن الدين يقوم على اعتقاد صحيح مكانه القلب ويقوم أيضاً على إعلان التوحيد الذي يكون باللسان ، والاعتقاد بدون إعلان التوحيد لا ينفع وكذلك إعلان التوحيد بدون الاعتقاد لا ينفع بل لا بد من قيام الدين على هذا الأساس أن يعتقد الاعتقاد الصحيح ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن يجتهد في القيام بما تقتضيه الشهادتين مما سيأتي بيان شيء منه عند المصنف – رحمه الله تعالى – .

ثم قال – رحمه الله تعالى – :

(**وبدنية كالقيام والركوع والسجود في الصلاة ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف**) .

<u>الشرح :</u>

قال : (**وبدنية**) أي ومن العبادات عبادات بدنية (**كالقيام والركوع والسجود في الصلاة**) هذه كلها عبادات بدنية يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه ، يتقرب إليه بقيامه ويتقرب إليه بركوعه ويتقرب إليه بسجوده ، فهذه عبادات بدنية يتقرب بها إلى الله ويتقرب إليه – سبحانه وتعالى – بالصيام وبالحج وبغير ذلك من الطاعات ، قال : (**كالقيام والركوع والسجود في الصلاة ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف**) هذه كلها عبادات يقوم بها العبد ببدنه متقرباً بها إلى ربه وسيده ومولاه – جل وعلا – .

قال – رحمه الله – : (**ومالية كإخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به ، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأبدان والأموال والأفعال والأقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها**)

<u>الشرح :</u>

قال : (**ومالية**) أي : وعبادات مالية (**كإخراج جزء من المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به**) وكثيراً ما يأتي في القرآن ذكر الإنفاق في سبيل الله مضموماً إلى الصلاة في آيات كثيرة ولهذا يقال عن الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله ، والزكاة عبادة مالية يخرج الغني جزء يسيراً من ماله كتبه الله – سبحانه وتعالى – عليه وفرضه عليه للفقير

قال – عليه الصلاة والسلام – لمعاذ – رضي الله عنه – : " فإنهم أجابوك لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم " فعبادة مالية أي بجزء من ماله ينفقه ويخرجه متقرباً بذلك إلى الله – سبحانه وتعالى – .

قال : (**وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة**) .

(**أنواع الواجبات والمندوبات في الأموال**) ، الأموال فيها واجبات وهي الزكاة المفروضة وفيها مستحبات وهي أنواع الصدقات التي يحث العباد على القيام بها .

(**والأبدان**) أيضاً منها فرائض أوجبها الله – سبحانه وتعالى – على عباده كالصلاة ومنها نوافل ، والصلاة منها ما هو فرض ومنها ما هو نفل ، والصيام منه ما هو فرض ومنه ما هو نفل ، الحج مرة واحدة في العمر فرض وما زاد فهو نفل تطوع .

(**والأفعال**) التي يقوم بها العبد تعبداً وتقرباً لله – سبحانه وتعالى – (**والأقوال**) الأقوال منها ما هو فرض وكلمة التوحيد ومنها ما هو نفل .

وكذلك العبادات القلبية ولم ينص عليها هنا ، العبادات القلبية .

قال : (**وأنواع الواجبات والمندوبات في الأموال والأبدان والأفعال والأقوال**) والقلوب، القلوب مطلوب أن تتعبد وهناك عبوديات مفروضة على القلب وهناك من النوافل والرغائب والمستحبات وهي من كمال العبد .

قال : (**لكن هذه أمهاتها**)

(**هذه**) الإشارة في قوله (**هذه**) إلى قوله : (**اعتقادية**) وذكر تقريراً موجزاً لها و (**لفظية**) وهي النطق بكلمة التوحيد ، (**وبدنية كالقيام و الركوع والسجود في الصلاة ومنها الصوم وأفعال الحج والطواف**) ، (**ومالية و هي الزكاة**) فهذه أمهاتها .

والدليل على أن هذه أمهات العبادات قول النبي – عليه الصلاة والسلام – : " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام "

كذلك قوله في حديث جبريل : قال :" أخبرني عن الإسلام قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت الحرام "

فهذه أمهات العبادات .

قال – رحمه الله – :

(**وإذا تقررت هذه الأمور فاعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه إذ هم مقرون بذلك كما قررناه وكررناه** .

لذا قالوا : " **أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا** " **أي لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا** ، **فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله تعالى ولم ينكروا الله ولا قالوا إنه لا يُعبد بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا كونه يفرد بالعبادة فعبدوا مع الله تعالى غيره وأشركوا معه سواه واتخذوا معه أنداداً كما قال سبحانه** : " **فلا تجعلوا لله أنداداً وأنت تعلمون** " ؛ **أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له** .

وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج : **لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك** ، **وقد كان يسمعهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عند قولهم لا شريك لك** ،**و يقول** : **قد** ، **قد** ؛ **أي أفردوه – جل جلاله – بالعبادة لو تركوا قولهم** : **إلا شريكاً هو لك** .

فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به تعالى كما قال : " **أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** " ، " **ادعوا شركاءكم من دون الله إن كنتم صادقين** " ، " **قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون** " **فنفس اتخاذ الشرك إقرار بالله ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لها والتقرب بالنذور والنحر لها إلا لاعتقادهم أنها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم لديه**) .

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : (**وإذا تقررت هذه الأمور**) أي صارت معلومة متقررة ثابتة عند العبد أو عندك أيها العبد (**فاعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة**) ومرّ معنا ذكر بعض الأدلة على ذلك كقوله تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " وقوله تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " والآيات في هذا المعنى كثيرة .

(**لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه**) الرسل لم يبعثوا إلى أقوامهم لإثبات أن الله خلقهم (**ونحوه**) أي أنه الذي يرزقهم ويحييهم ويميتهم ويدبر شؤونهم ، لم يبعث الأنبياء إلى الأقوام من أجل ذلك ؛ من أجل بيان أن الله – سبحانه وتعالى – خلقهم ، لماذا ؟

قال : (**إذ هم مقرون بذلك**)

(**إذ هم**) أي الأقوام (**مقرون بذلك**) وسبق أن ساق المصنف – رحمه الله – أدلة من القرآن واضحة الدلالة على أن الأقوام مقرون بذلك ، مقرون بأن الذي خلقهم هو الله ، الذي رزقهم هو الله ، الذي خلق السموات والأرض هو الله ، الذي يدبر الأمر هو الله الذي يجير ولا يجار عليه ، يجير من استجار به – سبحانه وتعالى – ولا يجار عليه لو أراد الله – سبحانه وتعالى – بعبد ضر لا يستطيع أحد أن يجيره أو يكشفه عنه ، يقرون بذلك " أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض " ماذا يقولون ؟ " الله " فيقرون بذلك ، فإذن الأنبياء لم يبعثوا إلى أقوامهم ليخبروهم أن الذي خلقهم هو الله وأن الذي يرزقهم الله وأن الذي يدبر شؤونهم الله لأنهم مقرون بذلك (**كما قررناه وكررناه**)

قوله : (**كما قررناه وكررناه**) فيه التنبيه إلى أن هذا أمر يحتاج فعلاً إلى أن يقرر ويكرر ليثبت ويرسخ ولذا قالوا أي الأقوام " أجئتنا لنعبد الله وحده " ماذا تفيد هذه الكلمة التي قالها هؤلاء " أجئتنا لنعبد الله وحده " تفيد أن الأنبياء قالوا لهم : اعبدوا الله وحده ، قالوا لهم : اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، قالوا لهم : اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

قالوا لهم : قولوا لا إله إلا الله .

ولهذا كان الرد من الأقوام : أجئتنا لنعبد الله وحده ، " أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب " يستكبرون ويقولون " أئنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " فإذن الأنبياء دعوهم إلى عبادة الله وإفراده – سبحانه وتعالى – بالعبادة لم يبعثوا ليقولوا لهم أقروا بأن الخالق الله ، وأن الرازق الله وأن المدبر الله لأن هذا الشيء هم مقرون به ، ولكن بعثوا للدعوة إلى إخلاص الدين لله ، فكان الجواب : " أجئتنا لنعبد الله وحده " مثلها ما جاء في قوله : " واذكر أخ عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت القرون من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير مبين قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا "

" أجئتنا لتأفكنا " أي : لتصرفنا وتبعدنا عن آلهتنا عن عبادة آلهتنا .

فالأنبياء بعثوا للدعوة إلى الله وإفراده – سبحانه وتعالى – بالعبادة .

وقد مرّ معنا عند المصنف – رحمه الله – قوله أن أول ما يقرع سمع الأقوام من أنبيائهم لا إله إلا الله والدعوة إلى توحيد الله – سبحانه وتعالى – وإفراده بالعبادة ولذا قالوا : " أجئتنا لنعبد الله وحده " أي لنفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا وهذا عندهم شيء عجاب وأمر غريب ويتنافى ما نشأوا عليه وتربوا عليه وتلقوه من الآباء والأجداد فامتنعوا ولم يقبلوا إلا من كتب الله – سبحانه وتعالى – له الهداية منهم .

قالوا أي نفرده بالعبادة ونخصه بها من دون آلهتنا

(**فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله تعالى ولم ينكروا الله**) لم ينكروا الله لم يقولوا نحن لا نؤمن بوجود الله ، ولم ينكروا ربوبية الله وتفرده بالخلق ، ولم يقولوا نحن لا نؤمن بأنه هو الذي رزقنا ، أنكروا فقط إفراده بالعبادة .

قال : (**ولم ينكروا الله ولا قالوا إنه لا يُعبد بل أقروا بأنه يعبد**)

بل لفظة الشرك التي هي وصف لهم تدل على أنهم يقرون بأن الله يعبد لكن يجحدون بأنه يفرد بالعبادة ، أما كونه يعبد يقرون بذلك يقرون بأنه يعبد ولهذا يعبدونه ويعبدون معه الأصنام ، يحجون له وللأصنام ، ينذرون له وللأصنام يذبحون له وللأصنام يعبدونه ويعبدون الأصنام ، يدعونه ويدعون الأصنام ، يستغيثونه ويستغيثون بالأصنام فهم يعبدونه ولا ينكرون أنه يعبد ومرّ معنا قول ذلك المشرك الذي سأله النبي – عليه الصلاة والسلام – كم إلهاً تعبد قال : سبعة ، ستة في الأرض وواحد في السماء قال : أيهم الذي تجعل لرغبك ورهبك ؟ – يعني إذا اشتدت بك الأمور وعانيت الهلاك وأصبحت في الضرورة والشدة من الذي تلجأ إليه في مثل هذه الحال ؟ – قال الذي في السماء ، قال : " اعبد الذي في السماء واترك الذي في الأرض" فالمشركون يعبدون الله ويعبدون معه غيره لا ينكرون أنه هو الرب ولا ينكرون أنه يعبد لكنهم ينكرون إفراده بالعبادة وإخلاص الدين له الذي هو مدلول : لا إله إلا الله .

قال : (**بل أقروا بأنه يعبد وأنكروا كونه يفرد بالعبادة**)

انتبه لقوله : (**وأنكروا كونه يفرد بالعبادة**) وأقرأ مستدلاً على ذلك بلآية التي ساقها المصنف قبل قليل " أجئتنا لنعبد الله وحده " هذا الذي أنكروه وأنكروا كونه يفرد بالعبادة فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه واتخذوا معه أنداداً ، كما قال الله : " فلا تجعلوا لله أنداداً " أي شركاء في العبادة " وأنتم تعلمون " أي تعلمون أنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله .

قال – رحمه الله – : (**أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له**) أي تقرون بأنه الخالق الرازق المدبر الذي لا ند له ولا شريك له في ذلك .

(**وكانوا يقولون في تلبيتهم للحج لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك**)

هذه التلبية وكانوا يرددونها عندما يحجون تدل على أن القوم كانوا يحجون ولكنهم يشركون ويتخذون الأنداد ويعتقدون في الأنداد المتخذة أنها ملك لله ولهذا يعلنون ذلك في تلبيتهم يقولون : (**تملكه**) يعني الصنم الذي نعبده تملكه وهو ملك لك ، (**وما ملك**) الصنم ليس بيده ملك ، لا يملك شيئاً ، أنت الذي تملك الصنم والصنم لا يملك شيئاً (**تملكه وما ملك**) .

قال : (**يقولون** : **لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك**) .

قولهم : (**لبيك لا شريك لك**) لو وقفوا هنا هذا التوحيد لكن نقضوا التوحيد بقولهم إلا شريكاً يعني قول : لبيك لا شريك لك هذا هو التوحيد لكنهم نقضوا بقولهم (**إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك**) ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يسمعهم عند قولهم : (**لا شريك لك**) فيقول : (**قد** ، **قد**) يعني عندما يقولون لبيك لا شريك لك يقول : قد ، قد ؛ يعني يكفي ، حسبكم لأنه إذا وقف عند هذا الحد هذا هو التوحيد .

(**يقول** : **قد** ، **قد أي أفردوه –جل جلاله – لو تركوا قولهم إلا شريكاً هو لك**) يعني لو وقفوا هنا : لبيك لا شريك لك اكتفوا بهذا في التلبية أفردوه لكنهم لم يكتفوا زادوا إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك أي أفردوه – جل جلاله – لو تركوا قولهم إلا شريكاً هو لك .

قال : (**فنفس شركهم بالله إقرار به تعالى**)

إقرار به بأنه الخالق الرازق المدبر وإقرار به بأنه معبود ولهذا يعبدونه لكنهم يجحدون الإفراد ، إفراد الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة الذي هو مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله .

كما قال تعالى : " أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون "

" شركاؤكم " ما معنى شركاؤكم ؟

أي الذين جعلتموهم شركاء لله ، جعلتموهم شركاء لله في حقوقه – سبحانه وتعالى – على عباده أين هم ؟

" أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون " يستدل بهذه الآية على أن الشرك الذي هو وصف لهم ونعت لهم دليل على إقرارهم بالله لأنهم جعلوهم شركاء لله فإذن هم يقرون بالله لم ينكروا الله ولم ينكروا أنه الخالق الرازق ولم ينكروا أنه يعبد كل هذا لم ينكروه لكنهم لم يفردوه بالعبادة جعلوا معه الشركاء ولهذا يوم القيامة يقال أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون .

ثم ساق آية لكن عنده فيها خطأ وهي : " وادعوا شركاءكم من دون الله إن كنتم صادقين "

" ادعوا شركاءكم " هذه آية ، لكن الزيادة ليست آية ولعل المصنف – رحمه الله – كتبها من حفظه .

وأورد أيضاً قوله : " قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون " الشاهد قوله : " أين شركاءكم " ، " ادعوا شركاءكم " فهذه اللفظة تدل على أنهم يقرون بالله ولهذا قال : (**فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله**) وهذا واضح لأن الذي يسوي بالله غيره هو يقر بالله ، يقر بأنه الخالق يقر بوجوده ، يقر بأنه معبود لكنه لم يفرده بالعبادة ، قال : (**فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله**) .

(**ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم لديه**)

(**تقربهم إلى الله زلفى**) كما في قوله : " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " (**وتشفع لهم لديه**) كما في قوله : " ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " فهم كانوا يعبدون الأصنام من أجل أن تقربهم إلى الله ومن أجل أن تشفع لهم عند الله لم يعبدوها لاعتقاد منهم أنها تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت أو تهدي أو تضل كل هذا يقولون لا تملك شيئاً من ذلك ، ومر معنا قولهم في التلبية " تملكه وما ملك " لا يملك شيئاً .

قال – رحمه الله – :

(**فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ما سواه وتبين أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل وأن التقرب إليهم باطل وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده وهذا هو توحيد العبادة** .

وقد كانوا مقرين كما عرفت في الأصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو أن الله هو الخالق وحده والرزاق وحده) .

الشرح :

قال (**فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة كل ما سواه وتبين أن هذا الاعتقاد الذي يعتقد دونه في الأنداد باطل**)

(**هذا الاعتقاد**) إشارة إلى ما تقدم (**لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم عنده**) هذا الاعتقاد في الأصنام والأنداد اعتقاد باطل وهو الشرك برب العالمين .

قال : (**و تبين – أي الأنبياء – أن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل وأن التقرب إليهم باطل**) ، التقرب إلى الأصنام بالنذور بالذبائح بالقرابين وبالدعاء غير ذلك كل أولئكم باطل لأن هذا حق لله ولا يجوز إشراك غيره – سبحانه وتعالى – به : " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ".

قال : (**وأن ذلك لا يكون إلا لله وحده**) أي التقرب والتذلل والخضوع وعموم أنواع العبادة كل ذلكم لا يكون إلا لله وحده فهي حق الله – سبحانه وتعالى – على عباده وفي حديث معاذ قال : أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ، قلت : الله ورسوله أعلم قال : حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً " هذا حق الله على العباد ، أن يفرد وحده بالعبادة وألا يجعل معه شريك في شيء منها .

قال : (**وهذا هو توحيد العبادة وقد كانوا - أي المشركين - مقرين كما عرفت في الأصل الرابع بتوحيد الربوبية وهو أن الله هو الخالق وحده والرزاق وحده**)

كانوا مقرنين بذلك ولا يجعلون مع الله شريكاً في الخلق ولا في الربوبية ، لكنهم لم يفردوا الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة .

قال – رحمه الله – :

(**ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح – عليه السلام – إلى آخرهم وهو محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل** : " **ألا تعبدوا إلا الله** " ، " **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ") .

الشرح :

قال : (**ومن هذا تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح – عليه السلام – إلى آخرهم وهو محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – هو توحيد العبادة ولذا تقول لهم الرسل** : " **ألا تعبدوا إلا الله** " ، " **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ") .

(**من هذا تعرف**) أي من هذا التقرير الذي مضى بيانه (**تعرف أن التوحيد الذي دعتهم إليه الرسل من أولهم وهو نوح – عليه السلام – إلى آخرهم وهو محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – هو توحيد العبادة**) فالأنبياء من أولهم إلى أخرهم بعثوا للدعوة إلى إفراد الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة (**ولذا تقول لهم الرسل** : " **ألا تعبدوا إلا الله** " ، " **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** ")، " أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " ، " أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون " ، " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " ، " ألا تعبدوا إلا الله " ، والقرآن مليء بالآيات التي فيها تقرير هذا الأمر .

قال – رحمه الله – :

(**وقد كان المشركون منهم من يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد وهي في الأصل صور رجال صالحين كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسلياً بها فلما طال عليهم الأمد عبدوهم ، ثم زاد الأمد طولاً فعبدوا الأحجار ومنهم من يعبد المسيح ومنهم من يعبد الكواكب ويهتف بها عند الشدائد فبعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم إلى عبادة الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية ؛ ربوبية السموات والأرض وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة لا إله إلا الله معتقدين لمعناها عاملين بمقتضاها وأنهم لا يدعون مع الله أحداً**)

<u>الشرح :</u>

قال : (**وقد كان المشركون منهم يعبد الملائكة ويناديهم عند الشدائد ومنهم من يعبد أحجاراً ويهتف بها عند الشدائد وهي في الأصل – أي هذه الأحجار – صور رجال صالحين كانوا يحبونهم ويعتقدون فيهم فلما هلكوا صوروا صورهم تسلياً بها**) .

هذا بداية الشرك واتخاذ الأصنام كما جاء في تفسير قول الله – تبارك وتعالى – : " وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا " قال ابن عباس : هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا جاء الشيطان إلى أقوامهم وقال : اجعلوا لهم تماثيل وأحجاراً تنحت على هيئتهم وعلى صورتهم لأن هؤلاء رجال صالحون

اجتهدوا في العبادة ونالوا محبة الناس ، قال : اجعلوا لهم تماثيل أحجاراً تنحتونها على صورتهم بحيث كلما ترون هذه التماثيل التي على صور أولئك تذكرونهم ويكون في ذلك تسلية لكم وذكريات ، كل مرة ترون الأصنام تذكرون هؤلاء الصالحين أما فقط تدفنونهم وتنسونهم هذا ما يليق ولا يصلح ، ضعوا لهم تماثيل على صورتهم من باب الذكرى حتى ما تنسون هؤلاء الصالحين تبقى ذكرياتهم عالقة في الأذهان كل مرة ترون هذه الصور تذكرونهم فراقت لهم الفكرة وجعلوا هذه التماثيل بهذا القصد تسلية وذكرى لهؤلاء الصالحين .

ثم جاء للجيل الذي بعدهم لأن الشيطان في الإغواء يعمل بخطوات ولو بعيدة ربما يضع في البيت بدايات يقصد بها الجيل الآتي أو الذي بعده ، وهو في الإضلال نَفَسه طويل يعمل ويخطط ويمكر ويدبر ليس فقط لإضلال من أمامه أو من عنده بل لأجيال لم تأتِ بعد ، يخطط لهدم أديانهم وعقائدهم وعباداتهم ولهذا يجب أن ينتبه بعض الناس هنا قد يفعل بعض البدايات الخاطئة ويقول الحمد لله أنا فاهم الأمر ولا تضرني ، إن كنت تظن هذا الظن فما الذي يدريك أنها تهدم عقائد أجيال من أبنائك وأحفادك وتكون أنت الذي بدأت لهم بداية الشر وأوقدت فتيلة الفساد وجنيت عليهم أعظم جناية وتكون استجبت لمكر الشيطان في إضلال أجيال قادمة من أبنائك وأحفادك فالشيطان قد يأتي بالأمر أو يطرح الفكرة ويكون يقصد بها أجيالاً ولو بعيدة .

فجاء للأجيال التي بعد وكان نسي العلم وقال إن آباءكم وأجدادكم لم يضعوا هذه التماثيل إلا لأنهم إذا استغاثوا بها أغيثوا وإذا استنزلوا بها المطر نزل وإذا وإذا ..

فبدأوا يعبدونهم من دون الله ويصرفون لهم أنواع العبادات ، في البداية صوروا صوراً تسلية وذكرى (**فلما طال عليهم الأمد عبدوها**).

(**لما طال عليهم الأمد**) يعني لما طال عليهم الزمان وابتعدوا عن العلم عبدوهم من دون الله (**ثم زاد الأمد طولاً فعبدوا الأحجار**) يعني لم يقتصروا على تلك التماثيل بل بدأت تكثر الأحجار التي تعبد وأصبح الواحد عندما يرى في طريقه حجراً جميلاً يعجبه منظره يحمله معه معبوداً له ، ما أن يرى في طريقه حجراً جميل المنظر إلا يحمله معه ويعبده ويدعوه ويتمسح به وإذا كان عنده ذبيحة نبحها له متقرباً إليه ، عقول ضائعة تائهة إلى أبعد حد .

ومن غرائب هؤلاء ما ذكر عن بعضهم أنهم كانوا في طريق ومعهم حجر يعبدونه كلما نزلوا ، فنزلوا مرة في مكان ففقدوا الحجر ، الحجر الذي يعبدونه فقدوه فنادى منادٍ في هؤلاء يا قوم إنا فقدنا ربكم فالتمسوه ابحثوا عن الرب ، الرب ضائع !!

إنا فقدنا ربكم فالتمسوه ، ابحثوا عنه ، يقول فتفرقنا في الأودية والأشجار نبحث عن الرب ، يقول وبين نحن كذلك وإذا منادٍ ينادي يا قوم إنا وجدنا ربكم أو شبهه .

يعني وجدوا حجراً يشبه الحجر الأول الذي كان معهم فحملوه وقالوا إنا وجدنا ربكم أو شبهه وجاؤو يتهافتون عليه ويعبدونه ، فطال الأمد فعبدوا الأحجار ، عبدوا الأطعمة ، التمر يأتي الواحد بالتمر ويصنعه على هيئة صنم ويعبده وإذا جاع أكل معبوده أصبحوا بهذه الحال البئيسة التائهة بإغواء الشيطان وإضلاله وصده لهم عن دين الله وتوحيده .

وتبعث إليهم الرسل لدعوتهم للتوحيد الحق" ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " أين الجنون ؟ " أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " الجنون والضياع والخبل وفساد العقول في عبادة أحجار وأشجار وأشياء لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً يخضع لها هؤلاء ويذلون ويبكون عندها وتسيل الدموع ويرجون ويطمعون هذا الخبل وهذا هوالضياع يقولون : " أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون " ويقولون " إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها " يعني هذا الاعتقاد الذي هو في غاية الفساد يتواصى بعضهم مع بعض بالصبر عليه والثبات عليه والمحافظة عليه وعدم التغيير ومن خرج عن هذا الاعتقاد قالوا : صابئ وقالوا ضال وقالوا مجنون إلى غير ذلك من الألقاب التي تصدر منهم .

قال : (**ومنهم من يعبد المسيح عيسى ابن مريم ومنهم من يعبد الكواكب يهتف بها عند الشدائد**) الذين عبدوا غير الله تنوعت عندهم المعبودات منهم من عبد الملائكة ومنهم من عبد الأنبياء ومنهم من عبد الأولياء ومنهم من عبد الأحجار ومنهم من عبد الأشجار ومنهم من عبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر والجبال تنوعت معبوداتهم ، وكل ذلكم شرك أياً كان ذلك المتخَذ معبوداً من دون الله " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً " أي كائناً من كان لا ملك ولا نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر ولا غير ذلك العبادة حق لله – سبحانه وتعالى .

قال : (**فبعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم إلى عبادة الله وحده بأن يفردوه بالعبادة كما أفردوه بالربوبية بربوبيته للسموات والأرض**)

ثم بُعث – عليه الصلاة والسلام – لدعوتهم إلى ذلك كما أفردوه بالربوبية أن يفردوه بالعبادة شاهد ذلك قوله : " فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون " أي لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق لكم غير الله قال : (**وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة لا إله إلا الله معتقدين لمعناها عاميلن بمقتضاها وألا يدعوا مع الله أحداً**) .

أي بهذا بعث الأنبياء .

قال – رحمه الله – :

(**وقال تعالى** : " **له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء** " **وقال** : " **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** " **أي من شرط الصدق في الإيمان بالله ألا يتوكلوا إلا عليه وأن يفردوه بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغاثة وأمر الله عباده أن يقولوا** " **إياك نعبد** " **ولا يصدق قائل هذه إلا إذا أفرد العبادة لله** ، **وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة إذ معناها** : **نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد وهو معنى قوله تعالى** : " **فإياي فاعبدون** " ، " **وإياي فاتقون** "

لِما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر أي لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غير ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره . كما في الكشاف) .

<u>الشرح :</u>

قال : (**وقال تعالى** : " **له – أي – الله سبحانه وتعالى – دعوة الحق** ") أي هو وحده – سبحانه وتعالى – الذي يدعى ويلتجأ إليه ويستغاث به ويطلب منه ويتوكل عليه .

" له دعوة الحق والذين يدعون من دونه " أي أيّا كان هذا الدون " والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء " لأنهم لا يملكون ، " لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال "

(**وقال تعالى** : " **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** " **أي من شرط الصدق في الإيمان بالله ألا يُتوكل إلا عليه وأن يفرده بالتوكل كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار**)

عندي والاستغفار وعندكم والاستغاثة . والتوكل عبادة قلبية وهي اعتماد القلب على الله وتفويضه إليه وثقته به سبحانه .

(**وأمر الله عباده أن يقولوا** " **إياك نعبد** ") في فاتحة الكتاب وتقديم العامل على المعمول يفيد الحصر كما سيأتي عند المصنف أي نعبدك ولا نعبد غيرك هذا معنى " إياك نعبد " وهو عهد وميثاق من العبد يلتزمه " إياك نعبد " أي أعبدك يا الله ولا أعبد غيرك ، " وإياك نستعين " أي أستعين بك ياالله ولا أستعين بغيرك ، ثم تجد الناس من يقرأ هذه الآيات وبعد قراءته لها يقول مدد يا فلان أدركني يا فلان ، أين عهدك مع الله " إياك نعبد وإياك نستعين " ؟! وأنت تلتجئ إلى غيره طالباً منه المدد ، طالباً أن يدركك قال : (**ولا يصدق قائل هذا**) يعني قائل " إياك نعبد " كذلك قائل لا إله إلا الله (**لا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد الله بالعبادة**) وإلا كان فعله ناقض لقوله (**لا يصدق**

قائل هذا إلا إذا أفرد الله بالعبادة وإلا كان كاذباً) أي كاذباً في قوله " إياك نعبد " لأنه لم يحقق العبودية لله مخلصاً (**وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة**) .

قال الوالد – حفظه الله – متعقباً : تعبير المصنف بهذا فيه نظر – يعني بقوله : منهياً عن أن يقول هذه الكلمة – قال : تعبير المصنف بهذا فيه نظر لأنه لا ينهى عن قول هذه الكلمة وإنما ينهى أن يضاف إليها عبادة غير الله معه .

لا ينهى عن كلمة التوحيد أو عن قوله : " إياك نعبد " وإنما ينهى عن الشرك الذي ينقض هذه الكلمة ، لا يقال له لا تقل " إياك نعبد " وإنما يقال له لا تشرك بالله ، لا تجعل مع الله الأنداد والشركاء ، فإن هذا ينقض قولك " إياك نعبد " وينقض قولك لا إله إلا الله .

قال المصنف : (**إذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد**) هذا معنى " إياك نعبد" (**وهو معنى قوله** : " **فإياي فاعبدون** " " **وإياي فاتقون** ") هذا كله من أساليب الحصر (**لما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر**)

قوله : " إياك نعبد " أصلها نعبدك يا الله ، فقدم المعمول على العامل فأفاد الحصر " فإياي فاعبدون " أي اعبدوا الله فقدم العامل على المعمول فأفاد الحصر ، قال : " فإياي فاعبدون " قال (**لما عرف من علم البيان أن تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر**) أي لا تعبدوا إلا الله ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا إلا الله ولا تتقوا غيره .

قال – رحمه الله – :

(**فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده والاستعانة ، والاستغاثة بالله وحده واللجوء إلى الله تعالى والنذر والنحر له تعالى وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللاً لله تعالى والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير لا يكون إلا لله**)

الشرح :

هنا يوضح – رحمه الله – ويبين أن التوحيد لا يكون إلا بإفراد الله – سبحانه وتعالى – بالعبادات كلها فمثلاً لو أن شخصاً أفرد الله بالصلاة وبالصيام وبالحج وبغير ذلك من أنواع العبادات لكنه دعا مع الله غيره ماذا يكون الآن ؟

دعا مع الله غيره ، يعني يصلي لله وحده ويصوم لله وحده ويذبح لله وحده لكنه في الدعاء يدعو مع الله غيره ويصرف شيئاً من دعائه لغير الله ، ماذا يكون هذا الرجل وماذا تكون حاله انتقل من التوحيد إلى الشرك لأنه بمجرد صرف أي عبادة من العبادات لغير الله ينتقل الإنسان من التوحيد إلى الشرك " ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك " ، " ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون " سمى من يدعو غيره كافراً مشركاً بالله ، فهنا يبين – رحمه الله – أن التوحيد لا يكون إلا بإفراد الله بجميع أنواع العبادات ، بأن يكون الدعاء كله لله النداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله الاستعانة والاستغاثة بالله اللجوء والنذر والنحر كل ذلك لله " قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له " (**وجميع أنواع العبادات من الخضوع والقيام تذللاً لله والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير**)

(**التجرد عن الثياب**) عن المخيط بلبس اللإنسان إزاراً ورداءً أبيضين هذا التقرب لله ، حلق الرأس تقرب لله – سبحانه وتعالى – أو تقصيره كل هذه عبادات لا يكون العبد موحداً إلا إذا أفرد الله – سبحانه وتعالى – بكل عباداته.

قال – رحمه الله – :

(**ومن فعل ذلك لمخلوق حيّ أو ميت أو جماد أو غيره فقد أشرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق مشركاً بالله وإن أقر بالله وعبده فإن إقرار المشركين بالله تعالى وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم غنيمة فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل الله عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره**) .

<u>الشرح :</u>

ثم قال في ختام هذا الفصل : (**ومن فعل شيئاً من ذلك**) أي من تلك العبادات (**لمخلوق حي أو ميت أو جماد أو غيره فقد أشرك في العبادة وصار من تفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه**) لأنهم اتخذوه إلهاً (**سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً**) فالعبادة حق لله لا يجوز أن تصرف لغيره كائناً من كان العبادة حق لله – سبحانه وتعالى – على عباده .

(**وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق مشركًا باللّه وإن أقر باللّه وعبده**)

وإن أقر بالله خالقاً ورازقاً (**وعبده**) أي صرف له أنواع العبادة (**وإن أقرباللّه وعبده فإن إقرار المشركين باللّه وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك**) لأنهم لم يفردوا الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة .

قال : (**لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم فاللّه أغنى الشركاء عن الشرك لا يقبل عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره**)

قوله : (**لا يقبل عملاً شورك فيه غيره ولا يؤمن به من عبد معه غيره**) كما في الحديث القدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه "

وقوله : (**ولا يؤمن به من عبد معه غيره**) لأن عبادة غير الله – سبحانه وتعالى – محبطة للأعمال مبطلة لها " ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " .

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على رسول الله

****

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين ، وأشهد ان الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد

نواصل القراءة في كتاب تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للإمام الصنعاني -رحمه الله تعالى-

قال المصنف -رحمه الله-:

((**فصلٌ ، إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة ولا أغنى عنهم من الله شيئا وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم والسجود لهم، ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ولكنهم أشركوا في عبادته، جعلهم مشركين ولم يعتدَّ بإقرارهم هذا، لأنه نافاه فعلهم، فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية. فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة. فإن لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل**))

الشرح :

قال -رحمه الله - ((**فصلٌ ، إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الإقرار بالله مع إشراكهم في العبادة**)) قوله ((**لم ينفعهم الإقرار بالله**)) أي رباً خالقاً رازقاً منعماً متصرفاً ، فإن هذا لا ينفعُ المقر ما لم يأتِ بلازمه وهو توحيد العبادة وهو إفراد الله -تبارك وتعالى- بالعبادة وإخلاص الدين له -جل وعلاّ- الإقرار المجرد بأن الله هو الرب الخالق الرازق المنعم المتصرف هذا وحده لا يكفي ما يأتِ بلازمه وهو إفراد الله - تبارك وتعالى- بالعبادة وإخلاص الدين له ، ولهذا قال الله -رحمه الله - ((**ولا يغني عنهم من الله شيئاً**)) أي لا يغني عنهم هذا الإقرار من الله شيئاً ما يأتِ بلازمه وهو إفراد الله - جل وعلا- بالعبادة ، ((**وأن عبادتهم هي اعتقادهم فيهم أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى، فنحروا لهم النحائر**

وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم، وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم،)) هنا يوضح -رحمه الله تعالى- نوع الشرك الذي وقع من المشركين الأُول وهو أنهم كانوا يعتقدون فيمن يعبدونهم ويصرفون لهم العبادة ((**أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى**)) أي قربة ((**وأنهم يشفعون لهم عند**

الله تعالى)) كما قال الله – عز وجل – { ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله } فسمى هؤلاء عبادة غير الله – تبارك وتعالى– اتخاذاً للشفعاء ، سموه (اتخاذاً للشفعاء) بقصد أن يقربهم الشفعاء إلى الله –تبارك وتعالى– زلفى ، بناء على ذلك ((**فنحروا لهم النحائر**)) أي ذبحوا لهم الذبائح والقرابين متقربين بها للشفعاء من دون الله – عز وجل – ((**وطافوا بهم**)) أي وطافوا بتلك الأوثان وتلك الأمكنة والبقاع كما يطاف بالبيت ، والطواف عبادة لم يأذن بها الله –جل وعلا– ولم يشرعها إلا حول بيته الحرام ، قال تعالى " وليطوفوا بالبيت العتيق " فأيُّ طوافٍ يقع في أي بقعةٍ من العالم غير الطواف بالبيت العتيق فهو من وحي الشيطان ومن وحي إبليس وليس من دين الله – تبارك وتعالى– لأنه ليس من شرع الله طوافٌ إلا ببيت الله ، كما أمر الله وكما أمر رسوله –عليه الصلاة والسلام – وفعل في حجِهِ وعُمَرِهِ –صلوات الله وسلامه عليه – قال : ((**ونذروا النذور**)) أي وقدموا النذور لتلك البقاع والأمكنة من شموعٍ وزيوتٍ وأنواعٍ من الأطياب ومن بهيمة الأنعام وغير ذلك ، نذوراً يقدمونها إلى تلك البقاع والأمكنة تقرباً من أجل أن تشفع لهم عند الله – سبحانه– وتأمل هذا المعنى ثانيةً بقوله ((ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)) يعبدون من دون الله بالطواف والنحر ، بالنذر ، بتقديم القرابين ، بالعكوف في تلك الأماكن ، بالذل بين يدي أرباب تلك البقاع ، لِمَ ؟ قالوا: { هؤلاء شفعاؤنا عند الله } أي نحن نمارس عندهم هذه الممارسات ، ونرتكب هذه الأفعال من أجل أن يشفعوا لنا عند الله ، ومن أجل أن يقربوننا إلى الله – تبارك وتعالى– زلفى ، قال : ((**وقاموا متذللين متواضعين في خدمتهم وسجدوا لهم**.)) كانوا بهذه الحال وبهذه الصفة من الذل والخشوع والتواضع والسكينة ، والانكسار أمام هذه البقاع التي يقصدونها للتقرب والعبادة ، ومع هذا كله فهم مقرون لله بالربوبية أنه الخالق ، يقرون أن ربهم هو الله وأن خالقهم هو الله ، ليس لله شريكٌ في الخلق ، وقد مرّ معنا سوق المصنف–رحمه الله– لجملةٍ من الآيات المقررةِ لذلك ،((**ولكنهم أشركوا في عبادته**، **جعلهم مشركين ولم يعتدَّ بإقرارهم هذا**)) أي لا عبرةَ بالإقرار ما لم يخلصوا العبادة لله الواحد القهّار ، وقد مرّ معنا قول الله – سبحانه– { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } فسماهم –جل وعلاّ– مشركين مع إقرارهم بالله رباً خالقاً رازقاً منعماً متصرفاً مدبراً ، قال ((**ولم يعتدَّ بإقرارهم هذا**، **لأنه نافاه فعلهم**.)) فعلهم نافى الإقرار لأنه من يقرّ بأن الله وحده الخالق الرازق المنعم المتصرف ، من لازم إقراره هذا أن يفرد الله بالعبادة ، فإذا جعل مع الله الشركاء في العبادة نافى جعله لله الشركاء في العبادة إقراره لله بأنه هو الربّ الخالق المنعم المتصرف ، قال ((**لأنه نافاه فعلهم**، **فلم ينفعهم الإقرار بتوحيد الربوبية**. **فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة**)) كما قال تعالى { وأنا ربكم فاعبدون } أي كما أني وحدي تفردت بالربوبية والخلق والإيجاد فأفردوني وحدي بالعبادة ، { وأنا ربكم فاعبدون } { يا أيها الناس اعبدوا ربكم} أي الذي تفرد بالربوبية والخلق والرزق والإيجاد ، هذا معنى قوله–رحمه الله – ((**فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية أن يفرده بتوحيد العبادة فإ**، **لم يفعل ذلك فالإقرار الأول باطل**)) أي ما لم يأتِ بلازمه .

قال–رحمه الله–

((**وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار فقالوا**: ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ **مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام. قال الله تعالى**: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ **أي ما يقر أكثرهم في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان**)).

<u>الشرح</u>

قال ((**وقد عرفوا**)) أي الكفار المشركون ((**ذلك**)) الإشارة في قوله ((**ذلك**)) أن صرف العبادة لغير الله شركٌ بالله ، لكن متى تحققت هذه المعرفة ، قال ((**وقد عرفوا ذلك وهم في طبقات النار**)) أي يوم القيامة إذا دخلوا نار جهنم ليبقوا فيها ، وليخلدوا فيها أبد الآباد يقولون : ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ هذه كلمات يقولها الكفار المشركون يوم القيامة وهم في قعر جهنم ويقسمون بالله: ﴿**تالله**﴾ هذا قسم : ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم**﴾ أي الأصنام والأوثان والمعبودات المتخذة من دون الله ((**إذ نسويكم برب العالمين**)) في ماذا ؟ هل سووا الأصنام برب العالمين في خلق المخلوقات ؟ في إيجاد الكائنات ؟ في الربوبية ؟ أبداً ، هم يقولون هذا أمرٌ تفرد به رب العالمين ، وإنما سووا الأصنام بالله في العبادة ، والدعاء ، والذبح والنذر ، والطواف وغير ذلك من أنواع العبادة ، ولهذا يوم القيامة يقولون نادمين ولا ينفع حينئذٍ الندم يقولون ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ ومما يستفاد من هذه الآية أ، الشرك هو التسوية ، تسوية غير الله بالله في شيءٍ من حقوق الله ، أو شيءٍ من خصائصه ، خصائصه كالربوبية ، الرَّزق والإحياء وأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وحقوقه أي العبادة بأنواعها ، فهي حقٌ له – تبارك وتعالى- دون سواه ، فمن سوّى غير الله بالله في الربوبية ، أو سوّى غير الله بالله في العبادة ؛ فهو مشركٌ بالله ، إن بقي على ذلك إلى أن يموت سيقول يوم القيامة في جهنم ﴿**تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ لكن هذه القالة لا تفيده ولا تنفعه ، بل يبقى في نار جهنم أبد الآباد ، كما قال الل – تعالى- { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل } الكفار المشركون في نار جهنم يوم القيامة يطالبون بأمورٍ ثلاثة ، يطالبون بأن يموتوا { يقضى عليهم فيموتوا } وينتهي كل شيء بالموت ، ويطلبون أن يخفف عنهم العذاب في النار ، ويطلبون أيضاً طلباً ثلاثاً أن يعادوا للدنيا مرةً ثانية ليعملوا عملاً صالحاً غير الذي كانوا يعملونه ، فهذه ثلاثة أمور يطلبوها أهل النار في النار ، وجميع هذه الثلاثة نفيت في هذه الآية ، قال { والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا } الأمر الثاني { ولا يخفف عنهم من عذابها } الأمر الثالث { وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير } فليس هناك قضاءٌ عليهم بالموت ، وليس هناك تخفيفٌ من العذاب ، بل كما قال بعض المفسرين ((أشدُّ آيةٍ على أهل النار قول الله–سبحانه وتعالى- في سورة النبأ {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً})) يعني ليس هناك تخفيف ، ولن يبقى العذاب على هذا المستوى بل هو في

زيادة { فلن نزيدكم إلا عذاباً } وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه أشدُّ آيةٍ على الكفار في نار جهنم ، الشاهد قوله ﴿**تاللّه إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين**﴾ فيها أن هؤلاء يقرون على أنفسهم بالشرك وهم في الدنيا أشركوا مع الله غيره في العبادة لا في الربوبية ، أشركوا مع الله غيره في العبادة في الذبح لغير الله ، بدعاء غير الله، بالاستغاثة بغير الله بتقديم النذور والقرابين لغير الله ، بحجة أنها تشفع لهم عند الله وأنها تقربهم عند الله – تبارك وتعالى– زلفى ، قال ((**مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه**)) وهذه الفائدة انتبه لها ﴿**تاللّه إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم**﴾ هل معنى هذه الآية أن الكفار أهل النار سووا الأصنام بالله من كل وجه ، هل هذا معناها ؟ هل هم سووا الأصنام بالله من كل وجه ؟ الجواب : لا ، إذن من أي وجه ، هل هو من جهة الربوبية والخلق ؟ الجواب : لا ؛ لأن هناك آيات صريحة الدلالة على إقرار المشركين بتفرد الله بالخلق ، وتفرده بالربوبية ، وتفرده بالرِّزق ومرّ معنا جملةً منها عند المصنف–رحمه الله تعالى– إذن التسوية من جهة العبادة ، سووا غير الله بالله في العبادة في المحبة التي في القلب { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله } هذه تسوية { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً } ما قال يقولون أنها تخلق كما يخلق الله ، وترزق كما يرزق الله ، وتدبر كما يدبر الله ، ما قالوا ذلك ، { ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله } أي يجعلون في قلوبهم لتلك الأصنام محبةً مثل محبة الله ، { والذين آمنوا أشدُّ حباً لله } لأن المؤمنين حبهم لله خالص ، حب التذلل والخضوع والعبودية ، هذا خالص لله ، لا يجعلون معه شريكاً ، قال ((**مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ولا جعلوهم خالقين ولا رازقين، لكنهم علموا وهم في قعر جهنم أن خلطهم الإقرار بذرة من ذرات الإشراك في توحيد العبادة صيرهم كمن سوى بين الأصنام وبين رب الأنام**)). وهذا فيه أن الشرك بصرف العبادة التي هي حقٌّ لله لو بنوعٍ واحدٍ منها ، كمن يصرف الدعاء لغير الله ، أو يصرف النذر والذبح لغير الله أو غير ذلك من العبادة يكون بهذا العمل مشركاً شركاً أكبر ناقلاً من الإسلام موجباً الخلود يوم القيامة في النيران ، { ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } وفي الحديث الصحيح ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)) ، أخذ العلماء –رحمهم الله– من هذا الحديث أن النار قريبة جداً من المشرك ، فليس بينه وبين النار إلا أن يموت ، أن تفارق روحه جسده ، ((من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)) فهذا فيه أن النار قريبة من المشرك ، فليس بينه وبينها إلا أن يموت .

قال –رحمه الله–

((**قال اللّه تعالى**: ﴿**وما يؤمن أكثرهم باللّه إلا وهم مشركون**﴾ **أي ما يقر أكثرهم في إقراره باللّه وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان**))

الشرح :

((**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشـركون**)) مرَ معنا الكلام عن هذه الآيـة ، أن المراد بقولـه : ((**ومـا يـؤمن أكثرهم بالله**)) عند المفسرين من الصحابة والسلف والتابعين فيما نقله ابن جرير وابن كثير وغيرهما ، أن المراد إقرارهم بالله رباً خالقاً رازقاً ، منعماً متصرفاً ، قال الله (((**وما يؤمن أكثرهم بالله**)) أي خالقاً رازقاً منعماً متصرفاً ((**إلا وهم مشركون**))) أي به غيره في العبادة ، فيقرون بأنـه ربهم لكنهم يدعون غيره ، يقرون بأنـه خـالقهم ، ويستنجدون ويطلبـون الـرزق مـن غيره ، يقرون بأنـه متصرف فـي هذا الكـون مـدبر ، لكـنهم يقربـون القـاربين ، ويقدمون النذور والنحائر لغيره ، وقد قال تعالى { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين } قال ((**أي ما يقر أكثرهم في إقراره بـالله وبأنـه خلقـه وخلـق السـموات والأرض إلا وهو مشرك بعبـادة الأوثـان**)) هذا هو معنى الآيـة فأول الآيـة توحيد الربوبيـة ، وآخرها فـي توحيد العبادة ،(((**وما يؤمن أكثرهم بالله**)) هذا توحيد الربوبية ، ((**إلا وهم مشركون**))) أي في توحيد العبادة .

قال-رحمه الله-

((**بل سمى الله الرياء في الطاعة شركا. مع أن فاعل الطاعة ما قصد بهـا إلا الله تعـالى:، وإنمـا أراد طلـب المنزلة بالطاعة في قلوب النـاس. فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عمله بطلب المنزلة في قلوب النـاس، فلم يقبل له عبادة وسماها شركا، كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنـه قـال**: (**يقـول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**))

<u>الشرح :</u>

((**بل سمى الله الرياء في الطاعة شركاً**)) كما سيأتي في الحديث ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك)) ((**سمـى الله الرياء في الطاعة**)) أي في العبادة وفي التقرب إلى الله ((**شركاً**)) والرياء على نـوعين ، ريـاءٌ خـالص ، وهو رياء المنافقين { يراءون الناس } أي لا يقومـون بالطاعات أصلاً إلا ريـاءً لـيس فـي قلوبهم قصد التقرب إلـى الله ، وليس في قلوبهم قصد طلب ثواب الآخرة ، بل لـيس فـي قلوبهم إلا إظهار الأعمـال التعبديـة مـن أجل النـاس فقط ، هذا يسمى الرياء الخالص ، وصاحبه كافر كفراً أكبر ، كفراً اعتقادياً أكبر ناقل من الملـة ، و عقوبتـه عنـد الله الـدرك الأسفل من النار { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار} ، هذا الرياء الخالص صاحبه ليس في قلبه قصد تقربٍ إلى الله ، ولا طلبٌ لثوابه -سبحانه وتعالى- بل يفعل الطاعات فـي الظـاهر ، ويعلن الشـهادة بـأن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسـول الله فـي الظـاهر ، يصـلي مـع النـاس فـي الظـاهر، أمـا الـذي فـي البـاطن خـلاف ذلـك ، { إذا جـاءك المنـافقون قالوا نشـهد إنـك لرسـول الله والله يعلم إنـك لرسوله والله يشـهد إن المنـافقين لكـاذبون } { إذا لقـوا الـذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنمـا نحـن مسـتهزئون * الله يسـتهزأ بهـم ويمـدهم فـي طغيـانهم يعمهون } فالرياء الخالص ناقل من الملة محبطٌ للأعمال كلها ، مبطلٌ لها، وليس لـه عنـد الله -تبـارك وتعـالى- يـوم القيامة إلا النـار .

والنوع الثاني من الرياء : يسير الرياء ، وهو الذي تحدث عنه المصنف بقوله ((**مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى))** يعني خرج من بيته متوضأً ذاهباً للمسجد ليس في قلبه إلا طلب ثواب الله، لكن قد يمرّ به عزيزٌ عليه ، أو شخصٌ له مكانةٌ عنده أو منزله ، فيحسّن صلاته من أجله ، ويزينها مراعاةً وملاحظةً له ، كما في الحديث قال- عليه الصلاة والسلام- [إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي ، فسئل عنه فقال : الريا ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل] فهذا الرياء يفسد العمل الذي قارفه لا يفسد أعمال الإنسان كلها ولا يهدم الدين ، كما يحصل من الرياء الخالص أو من الشرك الأكبر ، فهذا يفسد العمل الذي خالطه كما يأتي دليل ذلك في الحديث القدسي الذي ساقه المصنف -رحمه الله تعالى- قال ((**وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة في قلوب الناس. فالمرائي عبد الله لا غيره))** ليس مراده -رحمه الله- بالمرائي هنا المرائي الخالص ، المرائي الخالص ما عبد الله وما أراد ثواب الآخرة ، كحال المنافقين الذين قال الله عنهم { يراءون الناس } .

.((**فالمرائي عبد الله لا غيره لكنه خلط عمله بطلب المنزلة في قلوب الناس، فلم يقبل له عبادة وسماها شركا، كما أخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال**: (**يقول الله تعالى**: **أنا أعنى الشركاء عن الشرك**.)) هذا فيه أنه سبحانه غنيٌ حميد ، فمن جعل لله مع الله في حق الله ترك الله -سبحانه وتعالى- العامل وعمله ولم يقبله منه ، قال : ((**من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)) فهو سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه أما العمل الذي خالطه الرياء وشابه الرياء فأن الله لا يقبله ، لا يقبل الله إلا العمل الصافي النقي، الذي لم يرد فيه إلا الله ، فإذا جعل مع الله غيره في العمل لم يقبله الله ولم يكن العمل معدوداً في صالح عمله ، الذي يؤجر عليه يوم القيامة ويشكره الله له ، قال تعالى { ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً } .

قال-رحمه الله-

((**بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا، كما قال تعالى**: (**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما**) **فإنه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال**: "**لما حملت حواء ـ وكان لا يعيش لها ولد ـ طاف بها إبليس، وقال**: **لا يعيش لك ولد حتى تسميه عبد الحرث**. **فسمته فعاش**. **وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**. **فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركا، وكان إبليس تسمى بالحارث**". **والقصة في الدر المنثور وغيره** .))

<u>الشرح :</u>

قال ((**بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا، كما قال تعالى**: (**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما**)) فسمى التسمية بعبد الحارث شركاً كما يأتي في القصة التي ساقها المصنف وفيها ((سمياه عبد الحارث)) فسمى الله هذه التسمية وهذه الطاعة للشيطان بتسمية المولود بعبد الحارث معبداً لغير الله ، سمى الله ذلك شركاً

قال { تعالى الله عما يشركون } ولهذا أجمع أهل العلم أن التعبيد لا يكون إلا لمن ؟ التعبيد لا يكون إلا لله ، لا يعبد إلا لله بأسمائه الحسنى –جل وعلاّ– وأحبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، كما ثبت في ذلك الحديث عن رسولنا– عليه الصلاة والسلام– وهذا فيه أن الله يحب جل وعلا أن يُعبد بأسمائه عبد الله وعبد الرحمن ، هذه أحبّ الأسماء إلى الله ، والأسماء المعبدة لأسماء الله الحسنى ، عبد الله ،وعب الرحيم ، وعبد الملك ، وعبد القدوس ، وعبد العزيز إلخ ، هذه كلها أسماءٌ حبيبةٌ إلى الله فهو يحب ذلك ، فإذا عُبّد لغيره ، أعطي هذا الذي يحبه –تبارك وتعالى– كما دلّ الحديث أعطي لغيره ، فالأمر ماذا ؟ بغيضٌ إلى الله –سبحانه وتعالى– فلا يعبد لغير الله أيًّا كان لا إلى نبي ، ولا إلى مَلَك ولا إلى ولي ولا إلى عبدٌ صالح ، التعبيد لله –سبحانه وتعالى– وبإجماع أهل العلم أن التعبيد لغير الله باطلٌ ومحرم ولا يجوز ، لا يجوز التعبيد إلا لله ، قال **بل سمى الله التسمية بعبد الحارث شركا، كما قال تعالى**: (**فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما**)لأهل العلم من المفسرين في معنى هذه الآية ، أو في عود الضمير في قوله ((**جعلا له شركاء فيما آتاهما**))) قولان معروفان :

القول الأول : أن الضمير يعود على آدم وحواء ، واستدلوا بالحديث الذي ساقه المصنف في مسند الإمام أحمد والترمذي ((**من حديث سمرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قال** [**لما حملت حواء وكان لا يعيش لها ولد** ، **طاف بها إبليس وقال** : **لا يعيش لك ولد حتى تسميه بعبد الحارث** ، **فسمته فعاش** ، **وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره** ، **فأنزل الله الآيات، وسمى هذه التسمية شركًا وكان إبليس يسمى بالحارث**] **والقصة في الدر المنثور وغيره** .)) والقصة كما بيّن بعض أهل العلم سندها فيه كلام وفي ثبوتها نظر ، وممن اختار هذا القول : ابن جرير الطبري في كتابه التفسير حيث قال : [وأولى القولين بالصواب قول من قال : عنى بقوله " فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء" في الاسم لا في العبادة ، وأن المعني بذلك آدم وحواء] .

فهذا القول الأول والمسند في الحديث ، والحديث فيه كلام .

القول الثاني : هو أن الضمير يعود ليس على آدم وحواء ، وإنما على أفراد من الذرية وأن الخطاب في الآية انتقل من الحديث عن النفس الواحدة وزوجها آدم وحواء إلى الحديث ، أو الخطاب عن الذرية ، مثل ما قال ابن القيم– رحمه الله– في كتابه ((التبيان)) [فاستطرد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما] وجزم–رحمه الله تعالى– في كتابه ((روضة المحبين)) بأن المراد بالذَين جعلا له شركاء فيما آتاهما المشركون من أولاد آدم وحواء ، قال [ولا يلتفت إلى غير ذلك مما قيل إن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد ، فآتاهما إبليس فقال : إن أحببتما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث ففعلا فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يكن ليشرك به بعد ذلك] وكذلك جزم بذلك الحافظ ابن كثير –رحمه الله – في كتابه التفسير قال : [كأن أصله –يعني هذا الخبر الذي فيه أن هذا من فعل آدم وحواء – والله أعلم مأخوذٌ من أهل الكتاب ، وأما نحن فعلى مذهب الحسن في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، ,إنما المراد المشركون من ذريته]

قال–رحمه الله–:

((**فصلٌ : وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى:، إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره.واعتقد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان ويكون عليه عباد الأصنام.**))

الشرح :

قال –رحمه الله–((**فصلٌ : وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى:، إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم))**

ما ذكره –رحمه الله· أولاً في صدر هذا الفصل ، ((**فصلٌ : وقد عرفت من هذا كله أن من اعتقد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا، بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى:، إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك،))** قال في نهاية الكلام **((فإنه قد أشرك مع الله غيره))**

إذا كان صرف له أنواعاً من العبادة واعتقد فيه الضر والنفع ، وتقرب إليه بما لا يتقرب به إلا إلى الله ، من دعاءٍ أو استغاثةٍ أو رجاءٍ أو رغبٍ أو رهبٍ أو غير ذلك ، فإن بلا شك يكون بذلك مشركاً بالله –سبحانه وتعالى – وإن سمى هذا الفعل شفاعةً أو سماه توسلاً ، لأن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسميات كما سيأتي بيان ذلك وإيضاحه عند المصنف–رحمه الله– .

وقوله **((إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم))** يشير هنا إلى [[حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي– عليه الصلاة والسلام– وطلب منه أن يدعو له بأن يردَّ الله عليه بصره ، فقال له : إن شئت صبرت ، وإن شئت دعوت لك ، قال : بل ادعُ ، فأمره أن يتوضأ وأن يصلي ركعتين ، وأن يقول : اللهم إني أسألك بنبيك نبي الرحمة يا محمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها اللهم فشفعه فيّ]] هذا الحديث ليس من هذا الباب ، وإيراده في هذا الموضع في هذا السياق ليس في محله ، لأن هذا باب آخر وهو التوسل إلى الله –تبارك وتعالى– بدعاء الصالحين الأحياء ، أن يذهب إلى صالح ويقول ادعُ الله بأن يردَّ عليَّ

بصري ، أو يردَّ لي ضالتي أو أن يهدي قلبي ، أو أن يرزقني الذرية ، هذا لا بأس به ، فهذا بابٌ آخر ، وليس داخلاً في السياق الذي تحدث عنه المصنف –رحمه الله تعالى– فهذا بابٌ آخر ، بابٌ ألا وهو التوسل إلى الله بدعاء الصالحين الأحياء ، وواضحٌ من السياق أن الرجل طلب من النبي –عليه الصلاة والسلام– أن يدعو له ، قال : إن شئت صبرت ، وإن شئت دعوت لك ، قال : بل ادعُ ، طلب الدعاء من النبي– عليه الصلاة والسلام ، فقوله [اللهم شفعه فيّ] ما معناه ؟ معناه اقبل شفاعته فيّ أن يرد الله عليّ بصري ، لأن الأعمى يدعو لنفسه أن يرد الله عليه بصره ، والنبي– صلى الله عليه وسلم– التزم له أن يدعو له بأن يردّ الله عليه بصره ، ويقول الرجل في دعائه : [اللهم شفعه فيّ[أي اقبل شفاعته فيّ بأن يردّ الله عليّ بصري ، فهذا بابٌ آخر ، لا شيء فيه ، وليس داخلٌ في السياق الذي أورده المصنف–رحمه الله– فالاستثناء الذي ذكر ((**إلا ما ورد في حديث فيه مقال، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك فإنه قد أشرك مع الله**)) الاستثناء هذا لا وجه له ، لأن الحديث ليس من قبيل السياق الذي يتحدث عنه المصنف ، وإنما هو سياقٌ آخر يتعلق بطلب الدعاء من الصالحين الأحياء ، أما التوجه إلى المقبورين والتوجه إلى الأضرحة والقباب وغيرها بمثل هذا التوجه ، هذا كما قال المصنف شركٌ بالله وتعلقٌ بغير الله – سبحانه وتعالى – .

قال : ((**واعتقاد ما لا يحل اعتقاده، كما اعتقد المشركون في الأوثان، فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات، من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب، فإن هذا هو الشرك بعينه**))

وهذه الأعمال التي كان يمارسها أهل الشرك يمارسها أيضاً آخرون بالذهاب إلى القباب والأضرحة والتوجه إلى المقبورين ، منهم من يطلب من المقبورين غناً ومنهم من يطلب من المقبور هداية قلب ، ومنهم من يطلب من المقبور شفاء مريض ، ومنهم من يطلب من المقبور أن يمنّ عليه بزوجةٍ صالحة ، ومنهم ومنهم في صورٍ عديدةٍ من الشرك بالله والتوجه لغيره –سبحانه وتعالى– بما لا يتوجه به إلا إلى الله سبحانه وتعالى ، فالعبادة صرفها لغير الله–تبارك وتعالى– شركٌ بالله لأنها حقٌ لله ، نبينا –عليه الصلاة والسلام– أنزل الله عليه قوله { إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء } وأنزل عليه قوله { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } وأنزل عليه قوله { ليس عليك هداهم } وأنزل قوله في قصة إبراهيم { وإذا مرضت فهو يشفين } الأمر بيد الله–سبحانه وتعالى– ليس بيد الأنبياء ولا الأولياء ولا غيرهم ، فلا يطلب إلا من الله ، ولا يُلتجأ فيه إلا إلى الله سبحانه وتعالى ، فمن صرف هذه الأشياء لغير الله فإن هذا هو الشرك بعينه ، الذي كان ويكون عليه عبّاد الأصنام .

قال –رحمه الله–

((**والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية. وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما، وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا. والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية. فإن من شرب الخمر**

وسماها ماء، ما شرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.))

الشرح

عوداً على الجملة التي ذكرها المصنف قريباً حيث قال (**والتوسل به إلى الرب تعالى**) ثم عدّه من الشرك ، هذه اللفظة مجملة ولابد من التفصيل فيها حتى يتضح مراد المصنف ، ((**والتوسل به**)) أي ما سبق ذكرهم ، إن كان المقصود مَلَك أو نبي من الأنبياء أو صالح من الصالحين ، فاللفظ يكون فيه إجمال ، إن كان المراد بالتوسل به أن يُجعل المتوسل به أو أن يَجعل المتوسل به واسطة بينه وبين الله ، يدعوه ويطلب منه الشفاعة ، ويلتجأ إليه ويستغيث به فهذا شرك ، وأما إذا أُريد بالتوسل به أو بجاهه ومنزلته كأن يقول (اللهم إني أتوسل إليه بجاه فلان ، أو بمنزلة فلان ، أو بمكانة فلان ، أو بقدر فلانٍ عندك) فهذا ليس شركاً وإنما هو من البدع المحدثة ، لأنه ليس في النصوص الشرعية الصحيحة الثابتة ما يدل على مشروعية هذا العمل ، فهذا من البدع المحدثات ، إذن الصورة الأولى شرك ، يدعو غير الله ويلتجأ إليه ويطلب منه ، ويسمي ذلك توسلاً هذا شركٌ بالله ، والصورة الثانية : أن يتوسل إلى الله بجاه الأولياء أو الصالحين أو الأنبياء ، أو بمنزلتهم أو بمكانتهم أو بقدرهم ، أو بذاتهم أو بفضلهم فهذا من البدع المحدثات لأنه لا يوجد دليل يدل على مشروعية هذا النوع من التوسل فهو بدعةٌ محدثة ، والنوع الثالث : التوسل بالأنبياء أو بالأولياء بدعائهم ، مثل توسل الأعمى توسل إلى الله بدعاء النبي ، هذا مشروع ، ولهذا كان يفعل ذلك الصحابة في زمانه –عليه الصلاة والسلام– يطلبون منه أن يدعو الله لهم ، هذا توسلٌ مشروع ، [ادعُ الله أن يسقينا] هذا مشروع ، يقولون له – عليه الصلاة والسلام– ولهذا لما مات توقفوا –رضي الله عنهم– عن هذا العمل ، كما جاء عن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– قال [اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا والآن نتوسل إليك بعمّ نبينا ، قم يالعباس فادعُ الله لنا] ما معنى قوله [إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا] ما معناه ؟ أي دعائه ، لهذا قال [والآن نتوسل إليك بعم نبينا ، قم يا العباس فادعُ الله لنا] فواضح أن المراد بقولهم [نتوسل إليك بنبينا] بدعائه ، ولو كان المراد بجاهه أو مكانته أو منزلته ؛ لما عدلوا –رضي الله عنهم وأرضاهم – إلى التوسل بالعباس ، مع إمكانية التوسل بجاه النبي– عليه الصلاة والسلام– وهم سباقون إلى كل فضيلةٍ وخير ، فقولهم [اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا] أي بدعائه ، وبعد موته– عليه الصلاة والسلام– لا يدعو لأحد ولا يستغفر لأحد ، وفي صحيح البخاري من قوله–عليه الصلاة والسلام– لعائشة –رضي الله عنها– قال لها : [إن كان ذاكِ وأنا حي استغفرت لكِ] أي أنه بعد أن يموت لا يستغفر لأحد ، فبعد موته لا يأتي أحد ويستدل بالآية { ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول } هذا في حياته يستغفر لمن يأتيه لمن يطلب منه أن يطلب من الله أن يغفر له يفعل ذلك ، ولهذا كما قلت ، قال لعائشة– والحديث في صحيح البخاري– [إن كان ذاكِ وأنا حي استغفرت لكِ] أي أنه بعد أن يموت لا يستغفر –صلوت الله وسلامه عليه– لأحد ، وقد جاء في حديثٍ يستدل به بعض الناس ، لايثبت عنه–عليه الصلاة والسلام– قال [إذا مُتُّ عُرضت عليّ أعمال أمتي فما كان منها من خيرٍ حمدت الله ، وما كان غير ذلك استغفرت الله لهم] هذا حديث ضعيف ، يحتجون به ويتركون

الحديث الذي في صحيح البخاري أصح كتاب بعد كتاب الله يقول فيه لعائشة-رضي الله عنها- [إن كان ذاكِ ونا حي استغفرت لكِ] فإذن هذه ثلاثة أمور تتعلق بالتوسل :

الأول : شرك ، وهو أن يدعو غير الله ، ويستغيث بغير الله ، ويطلب من غير الله ما لا يطلب إلا من الله ، فهذا وإن سماه صاحبه توسلاً فهو شركٌ بالله .

الثاني : التوسل بالجاه والمنزلة والمكانة والقدر ، فهذا أمرٌ محدث ومن البدع ، لأنه لا دليل عليه ، وما يستدل به من يقول بجواز التوسل بالذات أو الجاه من الأحاديث لا يخرج عن أمرين: إما حديثٌ صحيح لا حجة لهم فيه ، مثل حديث الأعمى وحديث عمر [كنا نتوسل إليك بنبينا ، أو حديثٌ ضعيف ، [توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم] هذا لا يصح ولا يثبت عن رسول الله- صلى الله علي وسلم- فلا يلتفت إليه ، فما يستدل به من يجوز التوسل بالجاه لا يخرج عن أمرين إما حديثٌ صحيح لا حجة لهم فيه لأنهم فهموه على غير معناه ، أو حديثٌ ضعيف لا حجة لهم فيه مثل حديث [توسلوا بجاهي فإن جاهي عند لله عظيم] حديثٌ ضعيف بإجماع أهل المعرفة بحديثه – عليه الصلاة والسلام- .

قال : ((**والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية**.)) هذا نفس الأعمال التي كانت تفعلها الجاهلية ((**النذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية**.)) وقد قال الله { ويعبدون من دون الله ما لاينفعهم لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفاؤنا عند الله } ((**وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما**، **وفعله القبوريون لما يسمونه وليا وقبرا ومشهدا**.)) أولئك يمارسون ذاك الأمر لما يسمونه وثناً وصنماً ، والقبوريون يمارسون ذلك لما يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً ((**والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني**، **ضرورة لغوية وعقلية وشرعية**.)) يعني الأسماء لا تغير الحقائق ، الآن لو أن شخصاً سمى الكذب بغير اسمه ، هل يحل له الكذب لأن الاسم تغير ؟ أو سمى الخمر بغير اسمها هل تحل له الخمر لكون اسمها تغير ؟ أو سمى الربا بغير اسمه ؟ سموا الخمر مشروباً روحياً ، وسموا الربا الفائدة البنكية مثلاً ، وسموا الرشوة اكرامية ، ونحو ذلك من الأسماء ، هل هذه الأسماء تغير الحقائق ؟ ويصبح الحكم متغير بسبب أن الاسم تغير ؟ الجواب : لا ، مثل ما قال المصنف رحمه الله : ((**ضرورة لغوية وعقلية وشرعية**.)) تدل على أنه لا يصح هذا الأمر ، فتغيير الاسم لايغير الحقيقة ، مثل ((**من شرب الخمر وسماها ماء**، **ما شرب إلا خمرا**)) شرب الخمر وسماها ماءً قال هذا ماء وليس بخمر ، هل يقبل منه ؟ وهل لا يكون شارباً للخمر مستحقاً للعقوبة لكونه غيّر الاسم ؟ الجواب : لا باتفاق العقلاء .

قال : ((**وعقابه عقاب شارب الخمر**.)) لا يفيده قوله بأن هذا ماء ، يشرب الخمر وعندما يؤتى به ، ليعاقب يقول هذا ماء ، هل يفيد ؟ لا ، أيضاً شخص يستغيث بغير الله ، ويذبح لغير الله ، وينذر لغير الله ، ويصرف العبادة لغير الله ، وإذا قيل له ماذا تفعل يقول : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وهؤلاء وسائل لنا عند الله ووسائط ، هل هذه الأسماء

تغير الحقيقة من كون هذه الممارسة شركٌ بالله ؟ ناقل من الملة ؟ الجواب : لا ، قال : ((**ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية.**)) .

قال-رحمه الله- :

((**وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها، وصدق صلى الله عليه وسلم فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا.**))

الشرح :

قوله ((**وقد ثبت في الأحاديث أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها**)) هذا ثبت عن النبي- عليه الصلاة والسلام- في غير ما حديث عنه – صلوات الله وسلامه عليه- ، قال((**أنه يأتي قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها وصدق صلى الله عليه وسلم فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذا.**)) وأيضاً سميت مشروباً روحياً ، وسميت بأسماء أخرى ، وربما اختاروا لها أسماءً جميلة ، أسماء حسنة ، وهذه التغييرات لالأسماء لا تغير الحقائق والمسميات ، الخمر خمر وإن عيّر اسمه ، الشرك شرك وشرك وإن غيّر اسمه ، الكذب كذب وإن غيّر اسمه ، الربا ربا إن غيّر اسمه ، الرشوة رشوة إن غيّر اسمها ، التبرج والسفور تبرجٌ وسفور وإن غيرّ اسمه ، تغير الاسماء لا تغيّر الحقائق ، فالحكم باقٍ .

قال –رحمه الله-:

((**وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله، فإنه قال لأبي البشر: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [٢٠:١٢٠] فسمى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها شجرة الخلد، جذبا لطبعه إليها وهزا لنشاطه لقربانها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه. كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة. وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما وعدوانا أدبا، فيقولون أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب. كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم "النفاعة" وفي بعضها إلى اسم "السياقة" وفي بعضها أدب المكاييل والموازين. وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة. وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد.**))

<u>الشرح :</u>

هنا في هذا السياق يبين –رحمه الله- أن إبليس هو شيخ الطريقة ، طريقة هؤلاء التي هي تغيير الأسماء من أجل تنفيقها وتمشيتها على الناس وعلى الجهلة بمثل هذا المسلك ، فشيخ هذه الطريقة ابليس وهو أول من سنّ هذه

السنة السيئة ، تغير الاسم ، فيأتي إلى الطاعة أو يأتي إلى المعصية والأمر الذي نهى الله عنه ، فيسميه بغير اسمه ، فالله – جل وعلا– نهى إبليس عن قربان الشجرة ، نهاه عن قربان الشجرة فأتاه إبليس وسمى الشجرة باسم محبوب ، هذا الاسم المحبوب الذي أطلقه إبليس على الشجرة لا يغير الحكم ، وهو نهي الله عن قربانها ، لا يغير الحكم ، فتغيير الاسماء أو الاتيان بالأسماء المحبوبة الجميلة لا يغير الحكم ، المنهي منهي وإن أطلق عليه اسماً محبوباً أو اسماً جميلاً ، قال : ((**وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين إبليس لعنه الله**)) فإنه أول من سنّ هذه السنة ، ((**فإنه قال لأبي البشر**: (**يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**)) الذي يسميه شجرة الخلد هو في الحقيقة شجرةٌ نهي آدم عن قربانها ، نهي عن قربانها ولا يجوز له أن يقربها نهاه الله عن قربانها ، فجاء الشيطان وسماها بهذا الاسم ، ((**هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ،،**فسمى الشجرة التي نهى الله آدم عن قربانها شجرة الخلد**، **جذبا لطبعه إليها وهزا لنشاطه لقربانها وتدليسا عليه بالاسم الذي اخترعه**)) ولهذا قال الله { فدلاهما بغرور } ((**كما يسمي إخوانه المقلدون له الحشيشة بلقمة الراحة**)) ينبه المصنف أن مروج الحشيش والمخدرات يروجونها بمثل هذا الأمر ، يأتي ويلقب الحشيش أو المخدرات بلقبٍ يجذب الإنسان إلى هذه الأمور ، وهذه المهلكات الموبقات ، فيسميها بمثل ما قال المصنف يسمونها في زمانه((**بلقمة الراحة**)) يعني تأخذ لقمة من الحشيش ترتاح وتحس بالراحة والسعادة ، لماذا ؟ لأنه يعرف أن الإنسان في كيانه وفي داخله يطلب الراحة ويحب السعادة ، ويتصيدون شخصاً مهموماً مغموماً عنده مشاكل عنده معاناة يتألم من أشياء ، فيقول : ألا أدلك على لقمة الراحة ، لقمة ترتاح وتسعد وأمر طيب ، ويعطيه من هذه الأسماء ، فيأتي المسكين ويقول نعم : أريد لقمة الراحة ، وهكذا المخدرات الحديثة ، الأفيون والهروين ، أنواع المخدرات روجت ونفقت سوقها بمثل هذه الأسماء وكانت النتائج والمآلات من أشد المآلات إيلاماً ، عندما ترى نهاية متعاطي المخدارت ، والله نهايات يتقطع لها القلب ألماً وأسفاً لحال هؤلاء ، قد شاهدنا عند بعض المناظر والصور لنهايات ومطاف متعاطي المخدرات ، بعضهم ضرب نفسه بإبرة الهروين في داخل دورات المياه فمات منكفئ وجهه على المرحاض ، ونهايته هذا التعاطي والعياذ بالله ، ولهذا أمثال ونظائر كثيرة جداً ، ثم لما يزداد ولعه بهذه المخدرات ويزداد تعاطيه لها ، لا يبالي بجلب المال ، بسرقة يدخل على زوجته ويهددها بالقتل أن تعطيها حليها وأن تعطيه المال الذي عندها ، يفعل ذلك مع أمه مع أبيه مع قرابته ، يصبح طائش القلب ، زائغ الفكر ، لا يبالي إلا بالمخدر بأي سبيلٍ حصل ، ومن شنائع ما حصل من ذلك أن رجلاً من هؤلاء المتعاطين دخل على زوجته وأصرّ عليها أن تعطيه المال فامتنعت وأصر وامتنعت فأخذ طفله وعمره ثلاث سنوات ودهسه على رأسه بالسيارة أمام البيت ، إغاظةً لزوجته ونكايةً بها لأنها لم تمكنه من مطلوبه ، والبداية لهذه الأعمال قالوا له : لقمة الراحة ، ولذة الدنيا والسعادة إلخ ، فروجوا لمثل هذه الأمور بمثل هذه الألقاب ، فالشاهد أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق، فالخمر خمر ، والمسكر مسكر ، إن غيّر بغير اسمه ، والشرك شركٌ وكفرٌ بالله ، وإن غيّر اسمه ، وإن سماه صاحبه توسلاً ، أو سماه شفاعةً أو سماه واسطةً أو أياً كان ، فتغيير الأسماء لا يغير الحقائق .

قال : ((**وكما يسمي الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلما وعدوانا أدبا**،)) فربما هذا كان موجوداً في زمانه ، يقبضون السلاطين أموال من الناس ويسمونها الأدب مع الوالي ،((**فيقولون أدب القتل وأدب السرقة وأدب التهمة**))، ، كل أمر من هذه الأمور يعطى للوالي نصيباً من المال يسمى في ذلك الوقت الأدب ، هل تسمية ذلك بالأدب يخرجه عن كونه ظلم وأخذ أموال الناس بالباطل ؟ أبداً فالظلم ظلم ، وإن غيّر بغير اسمه ، ((**كما يحرفونه في بعض المقبوضات إلى اسم "النفاعة" وفي بعضها إلى اسم "السياقة"**)) وهكذا يعطون أسماء للمحرمات للظلم للعدوان ، وكل هذه الأسماء لا تغير ، قال : .((**وكل ذلك اسمه عند الله ظلم وعدوان، كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة. وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد**.)) كما قدمت إبليس هو شيخ الطريقة وأستاذ القوم في مثل هذه الأعمال ، وقبحاً لعملٍ شيخ الإنسان فيه إبليس .

قال-رحمه الله- :

((**وكذلك تسمية القبر مشهدا ومن يعتقدون فيه وليا لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بها طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية، من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها.**))

<u>الشرح :</u>

هذه الجملة وما بعدها نرجئ الحديث عنها إلى الغد .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

****

شرح تطهير الاعتقاد

من أدران الإلحاد

للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله

من الدرس (٥) إلى الدرس (٨)

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما الله تعالى

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله , صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :
فنواصل القراءة في كتاب تطهير الاعتقاد .

قال المصنف – رحمه الله - :

((**وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم** : **على الله وعليك ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها**)) .

الشرح :

قال – رحمه الله تعالى – : ((**وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن**)) .

سبق أن بيّن – رحمه الله تعالى – أن تغيير الأسماء لا يغير الحقائق والمسميات وضرب على ذلك جملة من الأمثلة وأيضاً سبق أن بيّن – رحمه الله تعالى – أن أول من عُرف عنه تغيير أسماء الأمور المحرمة باسم طيب محبوب إبليس وعرفنا أنه أستاذ للقوم في مثل هذا التغيير وبعد أن ساق جملة من الأمثلة على ذلك أيضاً ذكر هذا المثال وهو يتعلق بموضوع الكتاب , قال : ((**وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً**)) هذا لا يغير الحقيقة وهي أنه أُتخذ وثناً يعبد من دون الله ويُصرف له من العبادة ما لا يصرف إلا لله – تبارك وتعالى – فكان بذلك وثناً من الأوثان , وقد دعا النبي – صلى الله عليه وسلم – ربه قال : (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد) , وهذا يفيد أن قبر الصالح إن عبد صار وثناً من الأوثان باعتبار من اتخذه لا باعتبار حقيقة القبر لأن الولي والصالح الذي لا يرضى بعبادة من عبده لا يضره ذلك شيئاً , والطاغوت من عُبد من دون الله وهو راضٍ , أما من عُبد من دون الله وهو منكر لذلك ناهٍ عنه محذر منه ثم أُتخذ من بعد موته قبره وثناً فإن ذلك لا يضره وإنما يضر متخذيه وثناً , فالشاهد أن المصنف – رحمه الله تعالى – يضرب مثالاً على ذلك يقول : ((**وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولياً لا تخرجه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام**)) يعني معاملين لهذه القبور معاملة المشركين للأصنام يدعونها يستغيثون بها , ينزلون بها حاجاتهم وطلباتهم , يدعونها من دون الله – تبارك وتعالى – , يذبحون لها , ينذرون وهذا كله عين ما يفعله المشركون عند الأصنام , فصارت بذلك وثناً من الأوثان .

قال : ((**ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ويستلمونها استلامهم لأركان البيت ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم** : **على الله وعليك**)) , يعني أنا متوكل على الله وعليك أوأنا بالله وبك , يُسوون بينه وبين الله , وأحياناً لا يذكرون الله يقول رأساً : أنا متوكل عليك , أنا لائذ بجنابك , أنا منكسر عند أعتابك , أنا عبدك الذليل , أنا الخاضع , هكذا يقول الواحد من هؤلاء عند القبر الذي يقصده , بل يقول بعضهم : إن لم تأخذ بيدي من الذي يأخذ بيدي ؟ إن لم تكن لي عويناً من الذي يكون لي عويناً ؟ فكل ذلكم كفر مثلما قال المصنف – رحمه الله تعالى – : ((**يخاطبون الميت بالكلمات الكفرية**)) ؛ أي أنهم يستنجدون به ويستغيثون وإليه يلجأون ويفزعون وبه ينزلون حاجاتهم وضروراتهم ومنه يطلبون وهذا كله شرك بالله – تبارك وتعالى – .

قال : ((**ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد ونحوها**)) .

هذا أغلظ من شرك المشركين لأن المشركين كانوا يشركون بالرخاء دون الشدائد , أما في الشدائد فكانوا يخلصون مثلما قال الله – سبحانه وتعالى – : (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) فإخلاصهم حال الشدة وشركهم حال الرخاء ؛ عندما يكونون في الرخاء وفي الأمن وفي الراحة يشركون مع الله غيره وإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا الدين لله – سبحانه وتعالى – ولهذا بيّن الله – سبحانه وتعالى – في القرآن أنه قادر عليهم حال الرخاء وحال الشدة (في البر والبحر) ولا مناص ولا مفر , فلمَ هذا التفريق ؟ شرك في الرخاء وإخلاص في الشدة ؟ مع أن الله – سبحانه وتعالى – قادر عليهم في البر والبحر , ولهذا قال الله – سبحانه وتعالى – مبيناً هذا الأمر – قدرته عليهم في البر والبحر – قال : (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً) هذه حقيقة حالهم , يعني حال الشدة عندما تتلاطم الأمواج ويعاينون الموت داخل البحر يخلصون ويهتفون بالتوحيد الخالص : يارب , يا رب , ثم إذا نجاهم إلى البر رجعوا (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) ؛ أي عن التوحيد إلى الشرك , وعن الإخلاص إلى التنديد (أعرضتم وكان الإنسان كفوراً) أنظر الرد عليهم (أفأمنتم) أي أيها المشركون , يا من تشركون حال الرخاء وتخلصون حال الشدة (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر) يعني لما وصلتم إلى البر آمنين مطمئنين ورجعتم إلى الشرك مرة ثانية هل أنتم وأنتم في البر تأمنون أن يخسف الله بكم جانب البر ؟ قدير عليكم – سبحانه – في البر والبحر (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً) أي ريحاً شديدة تحمل الحصباء فتهلككم في البر (أم أمنتم أن يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم) يعني هل تأمنون (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى) ما هو ؟ البحر (أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً)

قادر عليكم في البر والبحر فلمَ هذه التفرقة ؟ شرك في الرخاء وإخلاص في الشدة مع أن الرب الذي تخلصون له في الشدة قادر عليكم في الرخاء , الشاهد أن المشركين الأُول كانوا يخلصون في الشدائد لكن ماذا قال المؤلف هنا عن هؤلاء ؟ قال : ((**ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد**)) هذا أغلظ من شرك المشركين , ولهذا وجد من هؤلاء المقابرية – عبدة القبور – إذا ركبوا في الفلك وعاينوا الشدة والموت أخذوا يهتفون بأصحاب القبور وهذا ما لم يكن يفعله المشركون الأُول , يهتفون بأصحاب القبور ؛ ألحقني يا فلان , أدركني يا فلان , إن لم تدركني يا فلان من الذي يدركني ؟ ثم يروّج أئمة الضلال قصص وحكايات باطلة فاسدة عاطلة تمكن لهؤلاء الجهال وهؤلاء الطغام –

تمكن لقلوب هؤلاء – مثل هذا الشرك , وفي أحد الكتب المشهورة المؤلفة في تراجم هؤلاء الأئمة – دعاة الضلال – ذكروا في ترجمة أحدهم – قالوا من كراماته أنه كان إذا جاء رجل إلى القرية ومعه حماره , قال له : أمسك الحمار حتى أفعل بها فإذا امتنع تسمّر مكانه وإن وافق صار أمام الناس في خجل , وهذه يعدونها في كراماته ثم يعلقون على هذا الفساد والانحلال والباطل يعبقون قالوا إن بهذا العمل كانت هناك سفينة في البحر أصابها خرق فرقع الخرق الذي أصاب السفينة بفعله بالحمارة , ثم يقرأ العوام فيقولون : الله أكبر هذا هو السيد , حتى بعد أن يدفن يتهافتون على قبره يعبدونه وهو كان يمارس مثل هذه الشنائع ويروجون على العوام وعلى الجهال مثل ذلك , وحكايات تختلق وقصص تخترع ومنامات يفترونها ويتقولونها ثم العوام يضلون زُرافات ووحداناً وهناك لا تسأل عن ضياع التوحيد وضياع فهم كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – عند أمثال هؤلاء نسأل الله العافية , وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : (إن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة الضلال) فكان يخاف عليهم – عليه الصلاة والسلام – خوفاً شديداً من دعاة الضلال (أخوف ما أخاف على أمتي) , ومما قرأت في هذا الباب ذكر أحدهم في حاشية على أحد كتب التفسير قال : كان جماعة في سفينة فبدأت السفينة تغرق , اشتد الموج تلاطمت الأمواج وعاينوا الهلاك , فأخذ كل من على ظهر السفينة كلٌ يهتف بشيخه يا فلان , يا فلان , كلٌ يهتف بشيخه , يقول وكان على ظهر السفينة رجل مسن على التوحيد والإخلاص رفع يديه ومدهما إلى رب العالمين قال : يا رب , يا رب أغرِق ما على السفينة من يعبدك , كل الذي على السفينة ليس منهم من يعبدك كلاً يهتف بشيخ , فشرك الشدائد قصر المشركون الأُول عنه فكانوا يخلصون في الشدة (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) .

قال – رحمه الله - :

((**وكل قوم لهم رجل ينادونه** ، **فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلي** ، **وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون** : **يا زيلعي** ، **يا ابن العُجيل** ، **وأهل مكة وأهل الطائف** : **يا ابن العباس** ، **وأهل مصر** ؛ **يا رفاعي يا بدوي والسادة البكرية** ، **وأهل الجبال** : **يا أبا طير** ، **وأهل اليمن** : **يا ابن علوان** ، **وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم ويرجونهم لجلب الخير ودفع الضر وهذا بعينه فعل المشركين في الأصنام كما قلنا في الأبيات النجدية** :

أعادوا بها معنى سواع ومثله — يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها — كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحروا في سوحها من نحيرة — أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبِّلاً — ويستقبل الأركان منهن باليد))

الشرح :

ثم ذكر – رحمه الله – أن هذه المصيبة عمت وطمت وشاعت في البلدان وكثرت في الناس , قال : ((**وكل قوم لهم رجل ينادونه**)) ؛ أي يهتفون باسمه ويلتجأون إليه ويفزعون إليه في الحاجات والرغبات , كل قوم لهم رجل

ينادونه , وأشار إلى بعض الأمثلة بحسب البلدان وذكر بعض الأسماء التي شاع التعلق بها من دون الله , وبعض هذه الأسماء اندرست في زماننا وبعضها لا تزال باقية يُذبح لها ويُنذر وتُدعى من دون الله وتُقصد وتُصرف لها القرابين والنذور بين مقل في ذلك ومستكثر , فأشار – رحمه الله تعالى – إلى أن هذا منتشر وكل قوم في منطقة لهم شيخ يهتفون به وينادون باسمه , ويمضي الناس في مثل هذا الضلال استناداً إلى قصص تخترع , حكايات تؤلّف , أحاديث على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تُكذب ويُضل بها العوام , حتى إن أحد المشركين كذب على النبي – عليه الصلاة والسلام – حديثاً قال : إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (لو اعتقدت في حجر نفعك) تأصيل للشرك – والعياذ بالله – (لو اعتقدت في حجر نفعك) ينسبون ذلك كذباً وزوراً لإمام الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الأصنام والأوثان والتعلق بالأحجار والأضرحة , وهكذا تُفترى الأحاديث وتُختلق القصص والحكايات وتُزعم التجارب ؛ قبر فلان ترياق المجربين , يعني جرب وسترى إن كنت تريد سعادة خذ من تربته , وإذا تريد شفاء من المرض خذ من تربته , تبرّك بأعتابه , ضع جبهتك عفرها على تربة قبره , ترياق المجربين , وجرّب بنفسك يقولون والتجربة يقولون أكبر برهان , وفلان جرّب , وهكذا يُضل العوام بمثل هذه الطريقة إما حكايات تخترع , أو أحاديث تُكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو تجارب مزعومة ويُضل العوام بمثل هذا .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – يقول : جاءني بعض النصارى لما كنت في مصر وقالوا لي : نحن خير منكم أيها المسلمون , قالوا : نحن نستغيث بعيسى ومريم وأنتم تستغيثون بالحسين وزينب – نحن نستغيث ونستنجد بعيسى ومريم وأنتم تستغيثون بالحسين وزينب – وبالاتفاق بيننا وبينكم أن عيسى ومريم أفضل من الحسين وزينب إذاً نحن خير منكم , لماذا قال النصراني هذا الكلام ؟ لأنه رأى شائع في الناس الاستغاثة بالحسين وزينب وغيرهم وسؤالهم من دون الله ودعائهم مثل ما يفعل هؤلاء , فعقد مقارنة وقال نحن وأنتم متفقون أن عيسى ومريم أفضل من الحسين وزينب , يقول : فقلت له : هذا الذي تراه ليس هو الإسلام وليس هو دين الله , دين الله شيء آخر غير هذا وأخذت أبين له التوحيد ,أبين له أن الدعاء والاستغاثة والذبح وغير ذلك كل ذلكم حق لله ولا يجوز أن يُصرف لغير الله كائناً من كان , لا إلى نبي ولا إلى ولي من الأولياء ولا صالح من الصالحين هذا حق لله لا يجوز أن يُصرف من غيره , قال : فخرج من عندي وهو يقول – أي النصراني – : أنتم خير منا ومنهم , وضّح له التوحيد , فالشاهد أن هذه حقيقة مصيبة عظيمة وبلية كبيرة وأمر تدمى له القلوب وتدمع له العيون ويأسف الإنسان عندما يرى أقواماً وأقواماً سيطرت عليهم مثل هذه الضلالات بسبب دعاة الباطل وأئمة الضلال – عياذاً بالله – , وأشار الصنعاني – رحمه الله – هنا إلى بعض الأسماء هذا على وجه المثال , ومثلما ذكرت فهي تقل في وقت وتزيد في وقت فذكرهذه الأسماء : الزيلعي وابن العُجيل وابن العباس والرفاعي والبدوي وأبا طيروابن علوان , من الموافقات العجيبة أن ستة من هؤلاء : الزيلعي وابن العُجيل والرفاعي والبدوي وأبا طيروابن علوان كل هؤلاء اسمهم أحمد , كل هؤلاء الستة كل واحد من هؤلاء اسمه أحمد , وكل منهم في منطقة وكل منهم تعلق به أقوام من دون الله وصرفوا له عبادات وطاعات هي حق لله – سبحانه وتعالى – من ذبح ونذرودعاء واستغاثة وغير ذلكم .

ثم وصف – رحمه الله – الأشياء التي تُمارس عند هؤلاء في أبيات له فذكر فيها أنهم يهتفون بهم عند الشدائد وينحرون في سوحها النحائر ويُهل لها , يُلبى لها وتُقصد من الأمكنة البعيدة ويُطاف حولها وتُستلم الأركان وتُقبل

كل هذا يُفعل عند مثل هذه القبور التي يقصدها هؤلاء , يشبهونها ببيت الله العتيق طوافاً وتقبيلاً واستلاماً وإهلالاً وقصداً من أمكنة بعيدة وعكوفاً عندها وذبحاً ونذراً إلى غير ذلك من العبادات التي تُصرف لتلك البقاع والأمكنة من دون – عز وجل – .

قال – **رحمه الله** - :

((**فإن قال** : **إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه** ، **فقل** : **إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه هل أردت بذلك تعظيمه** ؟ **إن قال** : **نعم** ، **فقل** : **له** : **هذا النحر لغير الله** ، **بل أشركت مع الله غيره** ، **وإن لم تُرد تعظيمه فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه** ؟ **أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك ولا أردت إلا الأول ولا خرجت من بيتك إلا قصداً له ثم كذلك دعاءهم له**))

الشرح :

ثم هنا يذكر – رحمه الله – شبهة لبعضهم ويجيب عليها وما أكثر ما يثير هؤلاء من الشبهات التي يصدون بها عن الحق ويوقعون غيرهم في الباطل وتنطلي على الجاهل الذي لا علم له ولا بصيرة بدين الله – سبحانه وتعالى – , قال : ((**فإن قال** : **إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه**)) العبادة التي تكون بالذبح هي من جهتين من جهة التقرب بالذبيحة ومن جهة الاستعانة بالله – سبحانه وتعالى – في الذبح , فيشرع للمسلم عندما يذبح أن يستعين بالله قائلاً : باسم الله , يسمي عند الذبح , والباء في البسملة باء الاستعانة , فيذبح مستعيناً بالله ويذبح متقرباً إلى الله بذبيحته , فتعلق بالذبح عبادتان ؛ عبادة الاستعانة وعبادة التقرب , والشرك الذي يكون في الذبح يكون من هاتين الجهتين ؛ إما شركاً في الاستعانة أو شركاً في التقرب أو شركاً بهما معاً , فمن ذبح ذبيحة وذكر عليها غير اسم الله , ذبحها وهو يقول : باسم فلان ؛ ولي من الأولياء أو رجل من الرجال قال باسم فلان هذا شرك أكبر من جهة الاستعانة , وإذا تقرّب بها إلى غير الله – ذبحها متقرباً بها إلى غير الله – صار شركه شرك تقرب وعبادة وهو من الشرك الأكبر , وقد قال الله – سبحانه وتعالى – : (قل إن صلاتي ونسكي) أي ذبحي (ومحياي ومماتي لله رب العالمين) , وقال – جل وعلا – : (فصل لربك وانحر) أي لربك , أي أفرده بذلك , وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام – : (لعن الله من ذبح لغير الله) رواه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن النبي – عليه الصلاة والسلام – : (لعن الله من ذبح لغير الله , لعن الله من لعن والديه , لعن الله من آوى محدثاً , لعن الله من غير منار الأرض) أربعة لعنات رواهن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – عن النبي – عليه الصلاة والسلام – وأول واحدة منهن لعن من ذبح لغير الله , لأن الذبح لغير الله شرك بالله , وجاء في الحديث عنه – صلى الله عليه وسلم – قال : (دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب , قالوا : وكيف ذاك ؟) يعني الأمر عجيب ؛ ذباب يدخل بسببه رجل الجنة وآخر يدخل بسببه النار ؟! (قالوا : وكيف ذاك , قال : مرّ رجلان على قوم عندهم صنم ولا يتجاوزه أحد حتى يقرب) ما يسمحون لأحد أن يمر حتى يقرب , (فقالوا : لأحدهما قرّب , قال : ما عندي شيء أقربه) يعني كأنه يقول : مستعد لكن ما عندي , ليس عندي بهيمة أنعام ولا عندي شيء حتى أقربه

, ما عندي شيء (قالوا : قرّب ولو ذباب) فصاد ذباب من الهواء وقطع رأسه متقرباً به وجعلوه يمر, فمات فدخل النار لأنه قرّب ذباباً , فكيف بمن يقرب كبشاً سميناً أو ناقة ينتقيها من السوق انتقاءً ويسوقها سوقاً ثم يذهب بها إلى المقبور أو غيره وينحرها عند بابه و عند أعتابه متقرباً , قال : (فمات فدخل النار , قالوا: للآخر قرّب , قال : ما كنت لأقرب لأحد غير الله فقطعوا رأسه فدخل الجنة) ,هذا معنى قوله : (دخل رجل الجنة في ذباب ودخل رجل النار في ذباب) , والشاهد أن الشرك الذي يكون في الذبح يكون من جهة الاستعانة ويكون من جهة التقرب , فمن ذكر على الذبيحة غير اسم الله – تبارك وتعالى – كان هذا شركاً من جهة الاستعانة , ومن ذبحها متقرباً بها إلى غير الله كان من جهة التقرب (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكل من الأمرين شرك بالله – عز وجل – , ((**فإن قال** : **إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه**)) يعني يأتي بها عند القبر يسوقها من مكان بعيد ويأتي بها عند القبر وينحرها , ثم يقول أنا ما ذكرت إلا اسم الله عليها , وأنا ما قصدت إلا التقرب بها إلى الله , إذا كان هذا قصدك فعلاً لماذا جئت بها إلى هذا المكان ؟ تسأله : لماذا جئت بها إلى هذا المكان ؟ لماذا قصدت هذا المكان بالذات وسقتها إليه من بعيد وذبحتها في هذا المكان تعييناً ؟ما المقصود ؟ يقول الشيخ : ((**فقل** : **إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه**)) لماذا جئت به وحملته ونقلته وقطعت به المسافات عند المشهد ؟ ما الذي يدفعك لذلك ؟ ((**هل أردت بذلك تعظيمه** ؟)) هل أردت بذلك أن تعظم صاحب المشهد بإتيانك بهذه الذبيحة عند قبره وذبحها عنده , هل أردت تعظيمه ؟ ((**إن قال** : **نعم** ، **فقل** : **له** : **هذا النحر لغير الله** ، **بل أشركت مع الله غيره**)) لأنك جئت به في هذا المكان لتعظم هذا الذي ذبحت نحيرتك عنده , فأشركته مع الله في نحيرتك وفي ذبيحتك , هذا الاحتمال الأول. ((**وإن لم تُرد تعظيمه**)) لم تقصد تعظيمه ((**فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه** ؟)) تأتي بذبيحتك وتذبحها في هذا المكان ؟ أيهما أردت ؟ والواقع أنهم يريدون الأول : تعظيمه , وإلا لو لم يكن هذا مقصودهم فالنحر لله يكون في أي مكان , والتقرب لله – سبحانه وتعالى – في أي مكان إلا إن كان المكان فيه عيد من أعياد الجاهلية أو عبادة من عبادات الجاهلية فقد نهى النبي – عليه الصلاة والسلام – عن ذلك كما في قصة الرجل الذي قال للنبي – عليه الصلاة والسلام – : (نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة , فقال له النبي – عليه الصلاة والسلام – : هل فيه وثناً من أوثان الجاهلية ؟ وهل فيه عيد من أعيادهم ؟ قال : لا , قال : أوفِ بنذرك) , فأفاد الحديث أن المكان والبقعة إذا كانت مكان عيد من أعياد الجاهلية أو وثن من أوثانهم يُقصد ما يجوز أن تذبح فيه ولو قُصد التقرب إلى الله – سبحانه وتعالى – لأن هذا ذريعة وبوابة إلى الدخول إلى الإشراك بالله – سبحانه وتعالى –

ثم قال المصنف : ((**أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك**)) , يعني ما أردت التوسيخ والتلويث ما أردت ذلك ((**ولا أردت إلا الأول ولا خرجت من بيتك إلا قصداً له ثم كذلك دعاءهم له**)) يعني مثل الذبح أيضاً دعاءهم له من دون الله – تبارك وتعالى – , فهذا شرك وهذا شرك .

ثم قال - رحمه الله - :

((**فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب ، وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء وينادونه في الشدة والرخاء وهو عاكف على القبائح والفضائح ، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالاً ، ويضم إلى ذلك دعوى علم الغيب ، ويجلب له إبليس جماعة قد عشش في قلوبهم وباض فيها وفرّخ ، يصدقون بهتانه ويعظمون شأنه ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلاً ، فيا للعقول أين ذهبت ؟! ويا للشرائع كيف جهلت ؟!** (**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**) .)) .

الشرح :

ثم يبين – رحمه الله – أن الحال قد بلغ ببعض هؤلاء أن صرف العبادة لفسقة ليس فقط لصالحين وأناس من عباد الله وأولياؤه المتقين بل بلغ الأمر في بعض الأقوام أن صرف العبادة لفسقة وفجرة وأناس مشهورين بالإعراض عن الدين لايشهدون الجمعة ولا الجماعة و يغشون المحرمات ويرتكبون الآثام مثلما شرح – رحمه الله – : ((**لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ، ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالاً ، ويضم إلى ذلك دعوى علم الغيب**)) , فبعض هؤلاء الفسقة اعتقد فيهم بعض العوام وأخذوا يتقربون إليهم أحياءً وأمواتاً , بل أشد من ذلك أصبح بعضهم يعتقد في القبر بناء على رؤية في المنام ؛ يرى في المنام رؤية ثم إذا أصبح يقول لرفقائه : هذا القبرالفلاني في هذه البقعة هذا لأحد أولياء الله ثم يشجع رفقائه للتقرب إليه , وذكر في بعض كتب التاريخ أنهم حفروا أحد هذه القبور فوجدوه قبراً لنصراني حتى إنهم وجدوا صليبه معه وقد مضى هؤلاء فترة من الزمان وهم يقصدونه ويتعلقون به وينحرون عنده النحائر ويقربون عنده القرابين , وصار هناك أمور مثل هذا وأشنع كلها بسبب جهالات وضلالات وإعراض عن دين الله – سبحانه وتعالى – ولهذا يتألم المصنف ويأسف – رحمه الله تعالى – لهذه الحال فيقول : ((**فيا للعقول أين ذهبت ؟!**)) , أين العقول ذهبت ؟!أعطاهم الله عقول لماذا لا يُعملونها ؟ ويتألم يقول : ((**ويا للشرائع كيف جهلت ؟!**)) شرع الله ودينه كيف جُهل هذا الجهل العريض ؟ وإلا هؤلاء الذين يقصدونهم حقيقتهم عباد لله أمثال هؤلاء وتلى على ذلك الآية الكريمة : (((**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم**) .)) والعبد لا يُعبد , يعني العبادة حق للمعبود الرب العظيم الخالق الجليل – تباك وتعالى .

قال – رحمه الله - :

((**فإن قلت** : **أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين كالذين يعتقدون في الأصنام** ؟ **قلت** : **نعم** ، **قد حصل منهم ما حصل من أولئك وساووهم في ذلك** ، **وزادوا عليهم في الاعتقاد والانقياد والاستعباد فلا فرق بينهم**))

الشرح :

ثم ذكر هذه الشبهة وأجاب عنها , قال هل تعتقد– يعني – هل تعتقد أن هؤلاء الذين حصل منهم ما حصل في اعتقادهم في القبور أو الأولياء أو الفسقة والخلعاء وغيرهم هل تعتقد أنهم مشركين مثل الذين يعبدون الأصنام ؟ قال : نعم , أيش الفرق ؟ (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر) الكفر كفر في أي زمان وتحت أي مسمى , الكفر كفر والشرك شرك , والأسماء لا تغير والعبادة حق لله – سبحانه وتعالى – فمن صرفها لغير الله أشرك بالله – سبحانه وتعالى – .

((**قلتُ** : **فإن قلت هؤلاء القبوريون يقولون نحن لا نشرك باللّه تعالى ولا نجعل له نداً** ، **والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا** ، **قلت** : **نعم** ، (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**) **لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك** ، **فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك واللّه تعالى يقول**:(**فصل لربك وانحر**) **أي لا لغيره** ، **كما يفيده تقديم الظرف** ، **ويقول تعالى** : (**وأن المساجد للّه فلا تدعُ مع اللّه أحداً**)) .

الشرح :

ثم أيضاً ذكر شبهة وأجاب , قال : ((**فإن قلت هؤلاء القبوريون يقولون نحن لا نشرك باللّه ولا نجعل له نداً** ، **والالتجاء إلى الأولياء والاعتقاد فيهم ليس شركًا**)) , قل له : ما هو الشرك ؟ قل له أنت معي أن الله حرّم الشرك على عباده , وجاء في القرآن آيات كثيرة في تحريم الشرك , فما هو الشرك ؟ وما هي حقيقته ؟ أخبرني عنه ؟ قال المصنف : ((**قلت** : **نعم** ، (**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**) **لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك**)) , إذاً إذا قال مثل هذا الكلام المناسب أن تقول له ما الشرك ؟ فإذا كان لا فهم معنى الشرك بيّنه له وأن الشرك صرف شيء من العبادة لغير الله , والدعاء عبادة , الذبح عبادة , الدعاء عبادة بدليل قول الله تعالى : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي) سمّى الدعاء عبادة , النحر عبادة (فصل لربك وانحر) ؛ أي لربك , (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) النسك : النحر والذبح , فقل له : ما معنى الشرك ؟ فيتبين بذلك إما جهله – وربما رجع – أو عناده ومكابرته في باطله وضلالاه وعبادته لغير الله – سبحانه وتعالى – , قال : ((**لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك** ، **فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك واللّه تعالى يقول**:(**فصل لربك وانحر**) **أي لا لغيره** ، **كما يفيده تقديم الظرف**))) , الآية ليس فيها ظرف وإنما الذي قُدِم الجار والمجرور , :(فصل لربك وانحر) أي لربك لا لغيره, هذا من أساليب الحصر , :(فصل لربك) ؛ أي مخلصاً , ويقول تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعُ مع الله أحداً) الدعاء لله , فلا تدعُ مع الله أحداً , فإذا دعوت هؤلاء من دون الله ماذا يكون عملك هذا ؟ وإذا ذبحت لهم من دون الله ماذا يكون عملك هذا ؟ فيقال له : أخبرني عن الشرك ما هو الذي حرّمه الله – سبحانه وتعالى – في كتابه ؟

قال :

((**وقد عرفت بما قدمناه قريباً أنه – صلى الله عليه وسلم – قد سمّى الرياء شركًا ، فكيف بما ذكرناه ؟ فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ، ولا ينفعهم قولهم** : **نحن لا نشرك بالله شيئاً لأن فعلهم أكذب قولهم**))

الشرح :

وهذا صحيح , يقول الشيخ : ((**وهذا لا ينفعهم**)) , يعني لا ينفعهم ((**قولهم** : **نحن لا نشرك بالله شيئاً لأن فعلهم أكذب قولهم**)) , وإذا كان فعلاً يرى أنه لا يشرك بالله شيئاً فليجتنب الشرك وليبتعد عنه وليكن على حذر من الوقوع فيه .

((**فإن قلت أنهم جاهلون بما يفعلونه ، قلت** : **قد صرّح الفقهاء في كتب الفقه في باب الرّدة أن من تكلّم بكلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد معناها ، وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا ماهية التوحيد فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصلياً فإن الله تعالى فرض على عباده إفراده بالعبادة** (**ألا تعبدوا إلا الله**) **وإخلاصها له** (**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**) ، **ومن نادى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة فإن الدعاء من العبادة ، وقد سمّاه الله تعالى عبادة في قوله تعالى** : (**إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**) **بعد قوله** : (**ادعوني استجب لكم**) .

الشرح :

وبيّن هنا – رحمه الله – أن ما يقع فيه هؤلاء من شرك بالله مبني على عدم تحقيق توحيد لله الذي خُلقوا لأجله وأُوجدوا لتحقيقه وقد قال الله – سبحانه وتعالى – : (وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) , وقال –– جل وعلا – : (ألا لله الدين الخالص) , فقول كلمة التوحيد دون تحقيق للتوحيد الذي تضمنته والإخلاص الذي قررته فيقولها بلسانه وينقضها بفعاله فلا تكون نافعة قال الله تعالى : (ألا تعبدوا إلا الله) , وقال تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) , فكيف يكون من أهلها وهو ينادي ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً وخوفاً وطمعاً غير الله – سبحانه وتعالى – ملتجئً إليه ناذراً له ذابحاً له صارفاً له أنواعاً من العبادات ؟ وقد سمّى الله ذلك عبادة (إن الذين يستكبرون عن عبادتي) , في أول الآية قال : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .

ثم قال - رحمه الله - :

((**فإن قلتَ : فإذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المشركين ، قلتُ : إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم ، فقالوا : يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر لا يغني عنهم من الله شيئاً وأنهم أمثالهم ، وهذا الاعتقاد منهم فيه شرك لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه ، وإفراد التوحيد اعتقاداً وعملاً لله وحده ، وهذا واجب على العلماء ؛ أي بيان أن ذك الاعتقاد الذي تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم ، فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى الناس يدعونهم إلى إخلاص التوحيد لله ، فمن اعترف وأقرّ حقن عليه دمه وماله وذراريه ، ومن أصرّ فقد أباح الله منه ما أباح لرسوله – صلى الله عليه وسلم – من المشركين**)) .

<u>الشرح :</u>

وهنا أيضاً أثار شيئاً ربما يقوله بعض هؤلاء , إذا كان هؤلاء مشركين فإنه يجب أن يُجاهدوا مثلما جاهد النبي – عليه الصلاة والسلام – المشركين , وبيّن المصنف – رحمه الله تعالى – أن الواجب جهاد هؤلاء بالدعوة إلى التوحيد وبيانه وذهاب الدعاة إلى هؤلاء وإقامة الحجة عليهم وبيان الحق لهم مع الرفق واللين واتخاذ الأساليب المناسبة الحسنة في تقرير الأدلة وذكر الحجج والبراهين التي تبيّن دين الله – عز وجل – وتقيم الحجة على هؤلاء وهذا هو فرض أهل العلم ؛ فرض أهل العلم نشر العلم وإقامة الحجة وإبانة دين الله – سبحانه وتعالى – وإزالة الشبهات , ومن دخل في هذا الباب يجد أن كثيراً من العوام يرجعون لأنهم مغرر بهم , كثير من العوام يرجع بسرعة لأن الحق أبلج واضح وبيّن , وإذا وُفق لهؤلاء العوام من يعلمهم التوحيد بالرفق واللين والكلمة الطيبة والأسلوب الحسن يرجعون .

((**فإن قلت الاستغاثة قد ثبتت في الأحاديث فإنه قد صح أن العباد يستغيثون بآدم أبي البشر ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى وينتهون إلى محمد – صلى الله عليه وسلم**)) .

<u>الشرح :</u>

هذه مسألة يطيل فيها المصنف – رحمه الله – فنقف عند هذا الحد .

والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم على رسول الله

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المصنف- رحمه الله تعالى- :

((**فإن قلتَ الإستغاثة قد ثبتت في الأحاديث فإنه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وينتهون إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر ، قلتُ : هذا تلبيس فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد ، وقد قال الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي " فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه " وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض وغيرها ، بل أعجب من هذا أن القبوريين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه قد يجعلون له حصة من الولد إن عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم ويأتون بمنكرات مابلغ إليها المشركون الأولون**)).

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : ((**فإن قلت الإستغاثة قد ثبتت في الأحاديث فإنه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى** – عليهم صلوات الله وسلامه - **وينتهون إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر**)).

الشيخ هنا – رحمه الله – يواصل ذكر الشبهات التي يثيرها هؤلاء ثم يذكر الجواب عنها وما من شك أن طالب العلم يحتاج إلى أن تكشف الشبهة عنده وأن يبين وجوه الباطل فيها ، ووجوه الخلل وأن تذكر له الأدلة الناقضة للشبهة المبطلة لها لأنه عرضة لأن تثار عنده نظيرها ومثيلها من الشبهات فيكون حينئذٍ مسلحاً بالحجج والبراهين ويكون متمكناً لكشف شبهات المبطلين ولهذا فإن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – كتب كتاباً عظيم النفع كبير الفائدة يحتاج إليه طالب العلم سماه " كشف الشبهات " وبين فيه – رحمه الله – بتقعيدات عظيمة

وتأصيلات نافعة كيف يتمكن طالب العلم من كشف الشبهات ولا سيما تلك الشبهات التي يثيرها من ابتلى بالتعلق بالمقبورين والتوجه إليهم بإنزال الرغبات وطلب الحاجات ودعائهم والنذر لهم وصرف أنواع العبادات والشيخ – رحمه الله – الصنعاني في هذا الكتاب أيضاً يذكر شيئاً من هذه الشبهات التي ربما أثارها من وقع في هذا الباطل ويجيب عنها بأجوبة مسددة .

وهذه الشبهة قالها بعض هؤلاء قديماً وحديثاً ، قالوا : إن الأدلة في الصحيحين وغيرهما دلت على أن الناس يوم القيامة يطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله فيأتون آدم – عليه السلام– ويطلبون منه ذلك فيعتذر ثم يأتون إلى نوح – عليه السلام – فيعتذر ثم يذهبون إلى إبراهيم – عليه السلام – فيعتذر ثم يذهبون إلى موسى – عليه السلام – فيعتذر ثم يذهبون إلى عيسى – عليه السلام – فيعتذر وكل واحد منهم يحيلهم إلى الآخر حتى يحيلهم عيسى – عليه السلام – إلى نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فيقول : أنا لها ، ثم يخر ساجداً – عليه الصلاة والسلام – تحت عرش الرحمن وقال : أحمد الله بمحامد وأثني عليه الثناء بحسن الثناء عليه بكلام يعلمني الله – جل وعلا – إياه في ذلك الوقت لا أعلمه الآن ثم يقول الله له : ارفع رأسك وسل تعطى واشفع تشفع ، فيشفع – عليه الصلاة والسلام – للخلائق بأن يبدأ الله – جل وعلا – بالجزاء والحساب وهذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله – سبحانه وتعالى – في القرآن بقوله : " عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً " وهو مقام يغبطه عليه الأولون والآخرون وهو من خصائصه – صلوات الله وسلامه عليه – وحينئذٍ يجيء الرب – سبحانه وتعالى – للفصل بين العباد بعد هذه الشفاعة الكبرى العظيمة يجييء الله – سبحانه وتعالى – للفصل بين العباد .

قال تعالى : " وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي "

وهذا الطلب من الخلائق يوم القيامة الموجه للأنبياء طلب صحيح لا شيء فيه وليس من هذا الباب الذي يمارسه هؤلاء القبوريون عند المقابر ، هذا باب آخر .

مثيله إتيان الناس إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – في حياته وطلبهم منه الدعاء ، ادع الله أن يغيثنا ، ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة هكذا قال له أبو هريرة – رضي الله عنه – فكثير ما يأتي إليه أفراد من الصحابة – رضي الله عنهم – ويقولون " ادع الله لنا" هذا لا شيء فيه ، طلب الدعاء من الصالح الحي الحاضر لا شيء فيه دلت النصوص على جوازه وإباحته " ادع الله أن يغيثنا " ، " كنا نتوسل إليك بنبينا والآن نتوسل إليك بعم نبينا قم يا العباس ادع الله لنا " هكذا قال عمر ، هذا لا بأس به ، وإتيان الناس يوم القيامة الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله هذا من هذا الباب فالخلط بين الأمور والاستدلال بهذه المعاني الصحيحة الثابتة على أمور باطلة ما أنزل الله – سبحانه وتعالى – بها من سلطان هذا مراغمة ومخالفة لأدلة الشرع ومصادمة لها واستدلال بها في

غير مواردها قال – رحمه الله – في كشف هذه الشبهة من وجوه قال : (**هذا تلبيس**) لماذا صدر – رحمه الله – الجواب بهذه الكلمة ((هذا تلبيس)) ؟

لأنهم أوردوا النص مستدلين به في غير مورده ، النص مورده صحيح ودلالته مستقيمة وليس فيه أي معنى من معاني الباطل والضلال لكن هؤلاء أوردوه مستدلين به في مورد باطل يمارسونه فيعد هذا نوعاً من التلبيس ولبس الحق بالباطل ومزج الهدى بالضلال ، ولهذا قال – رحمه الله – هذا تلبيس لماذا ؟ قال : (**فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكره أحد**) يعني أن تطلب من حي حاضر قادر شيئاً يقدر عليه لا شيء فيه مثل لو أن شخصاً سقط في بركة ماء أو بحيرة ماء وأخذ يهتف بمن حوله أغيثوني أعينوني أنقذوني ساعدوني ، وهم حوله يسمعونه هذا لا شيء فيه ومن هذا القبيل قول الله تعالى في قصة موسى مع الاسرائيلي والقبطي (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) الذي من شيعته الاسرائيلي والذي من عدوه القبطي ، فالإسرائيلي قال لموسى : أغثني ، وموسى أمامه قوي ومتعه الله بالصحة والقوة قال : أغيثني ، أعني ، لا شيء في ذلك فأن يستدل بمثل هذا على الممارسات الشركية والاستغاثات الباطلة فهذا هو عين التلبيس قال : (**وإنما الكلام**) يعني هذا باب آخر (**وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم**)

هل قول القبوري للمقبور مدد أو أسألك الشفاء أو أسألك الهداية هداية قلبي أو أسألك أن تدخلني الجنة أن تجيرني من النار أن تأخذ بيدي أن تجيرني ، هل هذا من قبيل (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) ؟!

فإذن عند ما يوردون مثل هذه النصوص مستدلين بها على مثل هذه الشركيات هذا عين لبس الحق بالباطل وإيراد النصوص في غير مواردها .

قال : (**وإنما الكلام في استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى من عافية المريض وغيرها**) .

يأتي بمريضه عند القبر ويطلب من المقبور الشفاء ، وإمام الحنفاء إبراهيم الخليل – عليه السلام – الذي اتخذه الله خليلاً قال الله – سبحانه وتعالى – عنه في القرآن : " وإذا مرضت فهو يشفين " فالشفاء بيده ونبينا – عليه الصلاة والسلام – كان إذا أوتي بمريض قال : " اللهم رب الناس أذهب البأس واشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً " ثم يأتي بعض هؤلاء إلى مقبور فيطلب منه شفاء مع أن المقبور لو كان حياً ومرض لم يملك لنفسه شفاء فضلاً عن أن يمللك شفاء لغيره، يمرض ويطول به المرض ولا يملك لنفسه شفاء والشفاء بيد الله – سبحانه وتعالى – ولهذا قال إمام الحنفاء " وإذا مرضت فهو يشفين " .

فهذا من الشرك بالله أن يطلب الشفاء أو يطلب الولد أو تطلب الهداية ، الله – جل وعلا – قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وقت حياته : " إنك لا تهدي من أحببت " وقال : " وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " وقال : " ليس عليك هداهم " الهداية بيد الله –سبحانه وتعالى – ، حرص – عليه الصلاة والسلام – أشد الحرص على هداية عمه ولم يكتب لله – جل وعلا – لعمه هداية فمات وهو يقول : هو على ملة عبد المطلب ، وتألم النبي – صلى الله عليه وسلم – لذلك فأنزل الله قوله : " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء "

قال : (**بل أعجب من هذا إن القبورين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه قد يجعلون له حصة من الولد إن عاش**)

يعني يأتي إلى القبر ويخاطب المقبور قائلاً إن أعنتني أو نحو ذلك في أن يعيش ولدي فإن لك حظاً من ولدي ولك نصيب إما النصف أو الثلث أو كاملاً بعضهم يوقف ولده سادناً للقبر وخادماً للضريح وينذر ذلك متقرباً به إليه (**ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش لهم**) ، (**يشترون منه الحمل**) ؛ يعني يأتي بمال ويضعه في الضريح ويقول أطلب منك أن يعيش هذا الحمل الذي في بطن زوجتي ، ويلح عليه ويبكي عنده ويقول :أرجوك أن تقبل مني هذا المال وأن يعيش ولدي , مرتين وثلاث مرات تحمل زوجتي وتموت أرجوك لا تردني خائباً إن خيبتني من الذي يعطيني , إن رددتني من الذي يمنحني , أرجوك تقبل مني هذا المال ويعيش ولدي ، وكانت بعض النساء تطوف بشجرة وتهتف :" يافحل الفحول أريد ولداً قبل الحول " قبل أن يحول العام أريد منك ولد , وهكذا أنواع التعلقات الشركية الباطلة التي تهدم الإسلام وتنقض الدين ويأتون بمنكرات ما بلغ إليها المشركون الأولون .

قال – رحمه الله - :

(**ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ماينذر القبوريون لبعض أهل القبور أنه جاءه إنسان بدارهم وحلية نسائية فقال هذه لسيده فلان – يريد صاحب القبر- نصف مهر ابنتي لأني زوجتها وكنت ملّكت نصف مهرها فلاناً – يريد صاحب القبر ، وهذه النذور بالأموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونها " تِلمة " في بعض الجهات اليمنية وهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام وهو داخل تحت قول الله تعالى " ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم " بلا شك ولا ريب**)

الشرح :

قال : (**ولقد أخبرني بعض من يتولى قبض ماينذر القبوريون**) يعني بعض السدنة – سدنة القبور– يقول : أخبرني بعض هؤلاء (**أنه جاءه إنسان بدارهم وحلية نسائية فقال هذه لسيده فلان – يريد صاحب القبر**)

جاءها وسلمها السادن ؛ مال وحلية نسائية (**فقال هذه لسيده فلان – يريد صاحب القبر- نصف مهر ابنتي**) يعني لما استلم مهر ابنته من حلية ومال قسمه نصفين ؛ نصف لابنته ونصف لسيده صاحب القبر من أجل ماذا ؟ تقرباً إليه بهذا المال وجَعل نصيب له من هذا المال ليبارك لابنته في زواجها ، هذا مع الأموات ، أما مع الأحياء فهناك ممارسة أخرى يفعلها ولا سيما الغلاة من هؤلاء وهي أن المريد يأتي ليلة زواجه بزوجته إلى شيخه ، يأتي بها ليلة زواجه إلى شيخه ويطلب منه أن يباركها فيخلوا الشيخ بها ويفتض بكارتها من أجل البركة والنسل ثم يخرج من عنده فيأتي المريد ويقبل قدميه على هذا المعروف الذي لا ينساه له أبداً طول حياته ، ويعطيه أيضاً على ذلك شيئاً من المال تقديراً لمعروفه وإحسانه إليه ، كل هذه الممارسات والجنايات والتعديات كلها تدخل تحت باب واحد.

قال : (**أعطاه نصف مهر ابنته قال لأني زوجتها وكنت ملكت نصف مهرها فلاناً يريد صاحب القبر**) يعني جعلته ملكاً له , كل ذلك من باب التقرب وجعل نصيب مما آتاهم الله – سبحانه وتعالى – لهؤلاء .

قال : (**وهذه النذور بالأموال وجعل قسط منها للقبر كما يجعلون شيئاً من الزرع في بعض الجهات وهذا شيء ما بلغ إليه عباد الأصنام**) ، يعني يجعل نصيب من المهر ، نصيب من الزرع عندما يأخذ الثمار , نصيباً من الماشية , كل ما يملك من تجارات أو أموال يجعل نصيب منها يقتطعه نذراً لسيده فلان أو المقبور الفلاني .

قال : (**وهو داخل تحت قول الله تعالى " ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون** ") فيجعلون نصيب مما رزقهم الله ؛ المال رزقهم الله إياه الزرع , الماشية إلى غير ذلك كل ذلكم رزق الله ، وينسون فضل الله – سبحانه وتعالى – عليهم ومنه ويجعلون لهؤلاء نصيباً مما رزقهم الله – سبحانه وتعالى – ، وسيفصل المؤلف – رحمه الله تعالى – بعض الشيء في هذه المسألة .

ثم قال – رحمه الله - :

(**نعم** ، **استغاثة العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لا شك في جوازه أعني طلب دعاء الله تعالى من بعض عباده لبعض بل قد قال – صلى الله عليه وسلم – لعمر – رضي الله تعالى عنه – لما خرج معتمراً لا تنسنا يا أخيّ من دعائك وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم في قوله تعالى** : " **ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان** " **وقد قالت أم سليم – رضي الله تعالى عنها** – : " **يا رسول الله خادمك أنس** ، **ادعُ الله له** " ، **وقد كان الصحابة يطلبون الدعاء منه -صلى الله عليه وسلم - وهو حي وهذا أمر متفق على جوازه**)

الشرح :

هنا يذكر الشيخ – رحمه الله تعالى – أن طلب الناس يوم القيامة من الأنبياء الشفاعة هو نظير طلب الناس من الأنبياء في حياتهم أن يدعو الله لهم مثل قول أم سليم للنبي – عليه الصلاة والسلام – : " **يا رسول الله خادمك أنس ادعُ الله له** " ، وكثيراً ما يأتون إليه– عليه الصلاة والسلام – في حياته ويطلبون منه الدعاء .

وأشرت في مجلس سابق إلى ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنه قال لها : " إن كان ذاكِ وأنا حي استغفرت لك " فهو أثناء حياته يأتون ويطلبون منه الدعاء ، يطلبون أن يستغفر الله لهم ، فيدعو لهم وهو – عليه الصلاة والسلام – مستجاب الدعوة – صلوات الله وسلامه عليه – فطلب الناس يوم القيامة من الأنبياء هو من جنس طلبهم في الدنيا من الأنبياء , وهذا جائز , ثم أن يقاس ما يفعله هؤلاء من الإستغاثه بالأموات وإنزال المطالب بهم والحاجات هذا باب آخر , هذا نوع من الشرك لا يقاس بهذا الأمر المباح الجائز الذي دلت النصوص على جوازه , ولهذا ختم الشيخ – رحمة الله عليه – بعد أن ذكر أمثلة على ذلك قال : (**وهذا أمر متفق على جوازه)** .

قال – رحمه الله - :

(**والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا أن يشفوا مرضاهم ويردوا غائبهم وينفسوا عن حبلاهم وأن يسقوا زرعهم ويدروا ضروع مواشيهم ويحفضوها من العين ونحو ذلك من المطالب التي لا يقدر عليها أحد إلا الله تعالى**)

الشرح :

هنا يبين الشيخ – رحمه الله – الفرق بين هذا الحق الذي دلت عليه النصوص وبين الباطل الذي يمارسه هؤلاء ، قال : (**وهذا أمر متفق على جوازه والكلام** - يعني هنا - **في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً**)

الطلب لا يجوز لا من الأموات ولا من الأحياء فيما لا يقدرون عليه ، يعني لو أن رجلاً قال لحي حاضر : أسألك أن تهدي قلبي أو أسألك أن تدخلني الجنة أو أن تجيرني من النار أو نحو ذلك هذا شرك صراح ناقل من الملة حتى وإن كان قد طلبه من حي حاضر ، لأن الطلب من الحي يُشترط فيه أن يكون قادراً عليه , أما مالا يقدر عليه إلا الله طلبه من غير الله تسوية لهذا الغير بالله – سبحانه وتعالى – ويقع فاعل ذلك في الشرك بالله – عز وجل – .

قال : ((**والكلام في طلب القبوريين من الأموات أو من الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً أن يشفوا مرضاهم ،يردوا غائبهم** ، **ينفسوا عن حبلاهم** ، **أن يسقوا زرعهم** ، **يدروا ضروع مواشيهم** ، **يحفظوها من العين**)) هذا كله لا يقدر عليه إلا الله – سبحانه وتعالى – (**ونحو ذلك من المطالب التي لا يقد عليها أحد إلا الله تعالى**)) فمن طلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله فقد سوّى هذا الغير بالله فيكون بذلك مشركاً بالله العظيم .

قال – **رحمه الله** - :

((**هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم** : " **والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم و لا أنفسهم ينصرون** " ، " **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم** " **فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من حي الجماد خير منه لأنه لا تكليف عليه** ، **وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى** : " **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا** " **وقال** : " **ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون** "))

الشرح :

قال الشيخ – رحمه الله – هذا الذي يطلبه هؤلاء من هؤلاء الأموات هو طلب ممن لا يستطيع نصر نفسه فضلاً أن ينصر غيره قال الله تعالى : " والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون " وقال تعالى : " إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم " ؛ أي لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً بل ذلك كله بيد الله – سبحانه وتعالى – .

ثم قال : (**فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من حي الجماد خير منه لأنه لا تكليف عليه** ، **وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى** : " **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون** ") يبين الله – جل علا – في هذه الآية ممارسة شركية يفعلها المشركون الأُول وعلى إثرهم أيضاً يمارسها المشركون المتأخرون وهي أنهم يجعلون لغير الله مما ذرأ الله من الحرث والأنعام ، يجعلون له نصيباً " مما ذرأ الله " أي مما تفضل الله به وأنعم وسخره – جل وعلا – ويسره .

قال : (" **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا** ") أي يجعلون ما تفضل الله – سبحانه وتعالى – به من حرث أو من أنعام على قسمين – يقسمون الماشية على قسمين

– : قسم لله ، وقسم للأصنام ، يقولون هذا لله وهذا لشركائنا ، قال : " **فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله** " يعني مثلاً لو أن إحدى الأغنام التي خصصت للشركاء ذهبت إلى الأغنام التي خصصوها لله يعيدونها " **فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله** " يعيدونها ، لكن لو أن بعض الأغنام التي خصصوها لله ذهبت للشركاء لا يعيدونها " **فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم** " هذا معنى الآية فيما قاله جماعة من المفسرين ، ويعللون ذلك يقولون : أن الله غنيّ والأصنام فقيرة ولهذا الذي يذهب من نصيب الشركاء الذي خُصص لله يعيدونه والذي يذهب من الشيء المخصص لله إلى الشركاء لا يعيدونه قالوا : لأن الله غني والأصنام فقيرة ، قال – جل وعلا – " **ساء ما يحكمون** " , وهذه الممارسة بعينها تفعل من المعتقدين بالقبور المتعلقين بها يجعلون نصيباً مما منّ الله به عليهم من الحرث , من الأنعام , من العسل , من السمن وغير ذلك ينذرونه للقبور ولهذا يقطعون المسافات يحملون هذا النصيب ويقدمونه إلى السدنة ويكون من نصيب العُصابة التي حول القبر يستلمون النذور ويجمعون الأموال الطائلة ولهذا يتنافسون على أن يكونوا من السدنة ويبدأ الواحد منهم يتدروس وكذا ... إلخ حتى يتعين سادناً ويأخذ من هذه الأموال النصيب والحظ الأوفر قال : " **ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون** " وهذه الآية ساقها المصنف قريباً .

ثم قال – رحمه الله - :

(**فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلاّلهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة فاعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يُعتقد إلا في الله وجعلوا لهم جزء من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة** ، **وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً إليهم**)

<u>الشرح :</u>

قال : (**فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلاّلهم سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة**) والقذة هي ريشة السهم , وعندما يؤتى بالسهم تجد أن ريشة السهم متساوية ما تجد فرقاً بين ريشة وأخرى فهم ساروا مسار المشركين الأُول حذو القذة بالقذة , أي شبراً شبراً , ذراعاً ذراعاً , كل الممارسات مارسوها وكل الأفعال التي قام بها الأُول قاموا بها , **(فاعتقدوا فيهم مالا يجوز أن يعتقد إلا في الله وجعلوا لهم جزء من المال وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة)** والمقصود هنا بالزيارة : الشركية , زيارة التقرب

وتقديم النذور والقرابين ولطلب الحاجات وإنزال الرغبات و للدعاء , قال : (**وطافوا حول قبورهم وقاموا خاضعين عند قبورهم وهتفوا بهم عند الشدائد ونحروا تقرباً إليهم**) .

قال – رحمه الله - : (**وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك ، ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم ؟! لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك**)

الشرح :

قال : (**وهذه هي أنواع العبادات التي عرفناك**) يعني الطواف , الخضوع , الهتف بالشدائد ؛ أدركني أنقذني , أغثني , تقديم النحائر والنذور هذه كلها عبادات والعبادة حق لله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) , (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) , (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) , (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) هذه كلها عبادات , والعبادة حق خالص لله – سبحانه وتعالى – ليس لأحد فيه شركة ولا نصيب .

قال : (**ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم ؟! لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك**) وأذكر أننا كنا مرة في إحدى الدول فمررنا بضريح كبير فأشاروا إليه ؛ ونحن نمشي في الطريق أشاروا إلى الضريح قالوا : هذا يُقصد من أمكنة بعيدة ويُعبد , قلت : ما معنى يُعبد ؟ ماذا يفعلون ؟ قال : يفعلون كذا وكذا ويسجدون , قلت : سبحان الله ! سجود ؟! قال : نعم سجود , يأتي مقبلاً على القبر فإذا وصل إلى القبر سجد ؛ إذا وصل إلى القبر خرّ ساجداً إلى جهة القبر , قلت : إلى هذه الدرجة ؟! ما أظن ! قال : نعم , سجود , قلت : ما أظن هذا شيء بعيد , هذا الكلام العصر , في العشاء جاءني محدثي وهو من يحمل جوال الكاميرا , قال لي أنت ذكرت واستعبدت , لكن أنا رجعت إلى المكان وأحضرت لك هذه الصورة , وأراني في الصورة امرأة مسنة مقبلة على القبر فلما وصلت سجدت , قال : هذه اليوم أنا صورتها لك , اليوم حصلت , فأمور تدمي وتؤلم , مثل هذه ونظائرها من الجاهلات الضائعات التائهات أضلها المجرمون (إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) يضلونها يقولون لها اذهبي , إلى متى أنت في هذه المعاناة , اذهبي إلى قبر فلان ترياق المجربين , عفري جبهتك عند أعتابه , اخضعي لجنابه , ذلي له وترين كذا وتذهب المسكينة متلهفة طالبة حاجتها , مُنزلة به رغبتها فتقع في الشرك والكفر الصراح , والمصنف هنا– رحمه الله – يقول: (**ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم ؟!**) يعني يستبعد , ثم يرجع ويقول : (**لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك**)

قال : (**ولا أدري هل فيهم من يسجد لهم ؟! لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك ، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده تعظيماً له وعبادة ، ويقسمون بأسمائهم ، بل إذا حلف من عليه حق بالله تعالى لم يقبلوا منه ، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه**

وهكذا كان عبّاد الأصنام ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : ﴿ من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ ، وسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول لا إله إلا الله ، وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم ، فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك كما قررناه في سبل السلام شرح بلوغ المرام وفي منحة الغفار ، فإن قلت : لا سواء ، لأن هؤلاء قد قالوا لا إله إلا الله وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم - : ﴿ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾))

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله – : (**بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي**) الذي يقصده تعظيماً له وعبادة , قال : (**ويقسمون بأسمائهم**) يقسمون : أي يحلفون بأسمائهم , يحلف بالولي أو بالشيخ المعظم عنده , (**بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه ، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه**) وهذا يدل على أن الولي عندهم معظم أشد , والهيبة التي له في القلوب أعظم , وإذا حلّفوه بالله لا يتردد وإذا حلفوه بالولي يتهيب , وبعضهم إذا حُلّف بالله حلف وإذا حُلّف بالولي قال : لا , كل شيء إلا الحلف بالولي , يمتنع , هذا يدل على ماذا ؟ على أن الولي له من الهيبة والتعظيم في قلوبهم أشد مما لله – سبحانه وتعالى – , وأذكر أنني قرأت مرة في أحد الكتب التي تصف حال هؤلاء , يقول أن اليمين توجهت إلى أحدهم فحُلِّف بالله فحلف, فحُلِّف بغير الله – بولي من الأولياء – فحلف هكذا , قال : فغضب أحد الحاضرين , أنا لما قرأت : فغضب أحد الحاضرين فرحت , لم أقرأ ما بعدها ؛ فرحت بهذه الكلمة لأنني ظننت أنه غضب يريد أن ينكر الحلف بغير الله وسيذكر الحديث : (من حلف بغير الله فقد كفر أوأشرك) وأنه غضب لهذا الأمر , قال : فغضب أحد الحاضرين وقال : تحلف بالولي الفلاني وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب ؟ , الولي الفلاني مدفون في قبره , لكن أنظر هذه العقيدة , أنظر هذا التعظيم : " وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب ؟ " يعني يعتقدون في الأولياء أنهم يعلمون أحوال الناس ويطّلعون على قلوبهم , يطّلعون على أعمالهم (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) فيجعلون لغير الله خصائص الله ؛ العلم , الاطّلاع , حقوق الله , التعظيم ونحو ذلك , فيقول : (**بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه ، فإذا حلف باسم ولي من أوليائهم قبلوه وصدقوه وهكذا كان عبّاد الأصنام ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ ، وفي الحديث الصحيح : ﴿ من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت ﴾ ، وسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلاً يحلف باللات فأمره أن يقول لا إله إلا الله** ﴾ والحديث في

الصحيحين , قال – عليه الصلاة والسلام – : (من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله) , ولا إله إلا الله فيها تجديد التوحيد والإيمان , قال : (**وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم** ، **فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك كما قررناه في سبل السلام شرح بلوغ المرام و في منحة الغفار**) والحلف بغير الله يكون على حالتين ؛ إما أن يحلف بغير الله على وجه التعظيم له فهذا يكون من الشرك الأكبر وهو الذي أشار إليه المؤلف هنا – رحمه الله – , أما إذا كان حلف بغير الله لفظة تجري على لسانه كان اعتاد عليها قبل أن يهتدي أو قبل أن يُسلم ثم تأتي على لسانه أحياناً على جريان العادة فلا تكون هذه شركاً أكبر بل تكون من شرك الألفاظ , وشرك الألفاظ من الشرك الأصغر , وشرك الألفاظ يعني الألفاظ التي تأتي على لسان الإنسان من غير قصد ومن غير اعتقاد لما تتضمنه وإنما لفظة تأتي على لسانه .

قال – رحمه الله – :

(فإن قلت : **لا سواء** ، **لأن هؤلاء قد قالوا لا إله إلا الله وقد قال النبي** – **صلى الله عليه وسلم** - : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** ، **فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**)))

<u>الشرح :</u>

هذه أيضاً مسألة يطيل الكلام عليها الشيخ – رحمه الله – فنكتفي بهذا القدر

والله تعالى أعلم , وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , وأشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له , وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ,،

قال المصنف – رحمه الله - :

((**فإن قلت لا سواء** ، **لأن هؤلاء قالوا** : **لا إله إلا الله** ، **وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم** - : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله** ، **فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**) ، **وقال لأسامة بن زيد** : **لمَ قتلته** ؟ **بعدما قال لا إله إلا الله** ، **وهؤلاء يصلون ويصمون ويزكون ويحجون بخلاف المشركين** ؟ **قلت** : **قال– صلى الله عليه وسلم** - : (**إلا بحقها**) ، **وحقها** : **إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى** ، **والقبوريون لم يفردوا الله بالعبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة** ، **فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها كما لم ينفع اليهود قولها بإنكارهم بعض الأنبياء**)) .

<u>الشرح :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : ((**فإن قلت لا سواء**)) ؛ أي إذا قال ثمة فرق بين حال المشركين عبدة الأصنام وبين هؤلاء , فالمشركون رفضوا لا إله إلا الله وأبوا أن يقبلوها واستكبروا عن قولها كما قال الله سبحانه : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) , وأما هؤلاء – أي من يعبدون القبور ويتعلقون بها – ينطقون بلا إله إلا الله ويصلون ويزكون ويتصدقون , فلا سواء ؛ أي ليسوا سواءً بل فرق بينهم ؛ فرق بين الذي ينطق بلا إله إلا الله ويصلي ويصوم ويتصدق وبين الذي لا ينطق بلا إله إلا الله ويرفضها ولا يصلي ولا يصوم ولا يتصدق , فرق بين هؤلاء وهؤلاء فكيف تجعلون هؤلاء مثل أولئك ؟ هذه شبهة يثيرها هؤلاء ويستدلون لها ببعض الأحاديث مثل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله , فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) فقالوا : إن من قال لا إله إلا الله أصبح بقول لا إله إلا الله معصوماً وحرام الدم والمال , فكيف يقال له إذا تعلق بشيء من القبور بأنه كافر وأنه ليس معصوم الدم ؟ ويستدلون كذلك بنظائر هذا الحديث مثل حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنه – وهو في الصحيحين وغيرهما – قال بعثنا النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الحُرَقة , يقول : فصبحناهم وهزمناهم , يقول فلحقت أنا ورجل من الأنصاررجلاً منهم ، يقول فلما أدركناه قال : لا إله إلا الله , فكفّ عنه الأنصاري , لما سمعه يتشهد كفّ عنه , يقول أسامة فطعنته برمحي فمات , فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : فقال : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يا رسول الله إنما قالها متعوذاً , يعني يريد أن يتخلص بها من القتل , فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يزيد على أن يقول له : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ وفي بعض الروايات قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – : (أفلا شققت عن قلبه ؟) حتى تعلم أنه إنما قالها متعوذاً , (أفلا شققت عن قلبه ؟) ,

لأن ذلك أمر يتعلق بالقلب إن كان قالها تعوذاً أوقالها صادقاً مخلصاً هذا شيء يتعلق بالقلب لا يُعلم من العمل الظاهر , شيء يتعلق بالنية لا يتعلق بالنطق الظاهر , النطق الظاهر لمن نيته خلصت أونيته فسدت النطق الظاهر واحد وما يسمعه الناس من هذا ومن هذا واحد , لكن النية مكانها القلب قال : (أفلاشققت عن قلبه ؟) يعني حتى تعلم أنه إنما قال ذلك تعوذاً أو قال ذلك مخلصاً صادقاً , فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكرر : كيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ فكان أسامة – رضي الله عنه – يقول : وددت أنني لم أسلم قبل ذلك اليوم ؛ يعني أن إسلامي كان بعد ذلك من عظم وهول هذا المصاب والأمر وما سمعه من النبي – عليه الصلاة والسلام – من تقريع : (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟) , فهذه أحاديث واضحة في حرمة قائل لا إله إلا الله وحرمة دمه وأنه يكون بذلك معصوم الدم , فيذكر هؤلاء هذا الحديث ونظائره ويقول كيف يُسوى بين من يقول لا إله إلا الله ويقع في بعض هذه الأعمال ومن رفض لا إله إلا الله أصلاً وامتنع من قبولها وردها واستكبر عنها , كيف يُسوى بين هذا وهذا ؟ فهذه شبهة يثيرها هؤلاء وقد ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – في كتابه كشف الشبهات في أوائل الشبه التي أجاب عنها مما يثيره هؤلاء وقال : هي من أعظم شبههم وأجاب عنها – رحمه الله – من قرابة عشرة وجوه قوية كافية مقنعة في كشف هذه الشبهة وبيان خطأ تعلق هؤلاء بمثل هذه الأدلة حيث أنهم أوردوا هذه الأدلة في غير بابها واستشهدوا بها في غير موضعها والمصنف هنا الإمام الصنعاني – رحمه الله تعالى– أجاب عن هذه الشبهة بخمسة أجوبة , وجميع هذه الأجوبة الخمسة التي ذكرها هنا اشترك فيها مع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – فيما ذكره من أجوبة في كتابه كشف الشبهات وزاد عليه – رحمه الله – أجوبة أخرى قوية مسددة .

<u>الجواب الأول :</u> ((**قلت** : **قال النبي – صلى الله عليه وسلم** - : (**إلا بحقها**)))

أي أن الحديث الذي استشهد به هؤلاء واستدل به هؤلاء قد قال فيه النبي– عليه الصلاة والسلام – : (**إلا بحقها**) , (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أنه لا إله إلا الله وأني رسول الله ...... إلا بحقها) يعني في تمام الحديث قال : (**إلا بحقها**) فدل على أن في المسألة قيد وفيها استثناء لابد من مراعاته , قال : (**إلا بحقها**) , قال – رحمه الله – : ((**وحقها**)) بل إنه أعظم حقوق هذه الكلمة وأعظم ما تقتضيه هذه الكلمة , قال : ((**وحقها** : **إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى**)) وهذا هو معناها وهذا هو الذي تقتضيه هذه الكلمة , فإذا قال القائل : لا إله إلا الله وذبح لغير الله واستغاث بغير الله وطلب المدد من غير الله وصرف أنواعاً من العبادة لغير الله أين حق لا إله إلا الله ؟ أين حق لا إله إلا الله الذي تلفظ بها بلسانه ؟ فيكون واقع أمثال هؤلاء النطق بلا إله إلا الله بألسنتهم فقط مع نقضها وهدمها بفعالهم , لأن هذه الأفعال تهدم هذه الكلمة التي تلفظوا بها .

فإذاً الحديث نفسه الذي استدل به هؤلاء هو نفسه حجة عليهم لا لهم لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث نفسه الذي استدلوا به قيّد الأمر بقيد وضبطه بضابط ولم يجعله هكذا مطلقاً بدون ضابط , قال : (**إلا بحقها**) , وقصة أسامة , أسامة – رضي الله عنه – بادر إلى قتل الرجل عند نطقه بلا إله إلا الله وهذا لا يجوز , لكن إذا تبيّن من حال الرجل واتضح تماماً أنه ليس من أهل لا إله إلا الله بأفعاله التي تنقض لا إله إلا الله وتهدم لا إله إلا الله , وفي عامة كتب الفقه يعقدون باباً في حكم المرتد , يعني الذي يأتي بكلمة أو قول أو فعل يرتد به عن الدين مع أنه يقول لا إله إلا الله لكنه بهذه الكلمة أو بهذا الفعل يرتد عن دين الله , مثل شخص يقول لا إله إلا الله

ويستهزئ بالدين أو يستهزئ برب العالمين أو يستهزئ بالرسول – عليه الصلاة والسلام – (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذوا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذاً لا إله إلا الله لها حق , لها ضابط , فإذا وجد ما ينقض لا إله إلا الله ويهدمها أصبحت : الحرمة انتهت والعصمة التغت بسبب نقض الإنسان لما تقتضيه هذه الكلمة , فرق بين حال هذا و حال الشخص الذي قتله أسامة لأن أسامة – رضي الله عنه – بادر إلى قتله قبل أن يتبين من حاله هل هو مخلص أم متعوذ ؟ قتله رأساً ولكن لو تُرك ثم تبيّن من حاله أنه ليس من أهل لا إله إلا الله وأفعاله ليست أفعال أهل لا إله إلا الله ؛ باقٍ على الشرك أوعلى الكفر أوعلى عبادة الأوثان فماذا تفيده لا إله إلا الله وهو باقٍ على شركه ؟ فإذاً هذا الجواب الأول , ولهذا يقول المصنف : ((**والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة فلم تنفعهم كلمة الشهادة ، فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها**)) , أما من يجريها فقط على لسانه ويهدمها بأفعاله فإنها لا تفيده ولا تنفعه ولا يكون بذلك من أهلها , إذ لا يكون من أهلها إلا إذا استمسك بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص والبراءة من الشرك كما قال الله – سبحانه وتعالى – : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) يعني فقد استمسك بلا إله إلا الله , أما إذا كان ينقضها ويهدمها ويتعلق بالمعبودات ويصرف العبادات لغيرالله – تبارك وتعالى – فأنى لمثل هذا أن يكون من أهل هذه الكلمة العظيمة , هذا الجواب الأول .

<u>الجواب الثاني :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : ((**كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء**)) فالذي يؤمن ببعض الأنبياء ويكفر ببعض , الذي يؤمن بكل الأنبياء ويكفر بواحد هل تنفعه لا إله إلا الله ؟ هل تنفعه لا إله إلا الله إذا كان يؤمن بجميع الأنبياء ويستثني منهم واحد فقط يقول هذا لا أؤمن به ؟ ويقول لا إله إلا الله , أتنفعه ؟ الجواب : لا , لا تنفعه , وكفره بنبي واحد نقض للدين كله , وقد قال الله تعالى : (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين) فالكفر بالإيمان أو بشيء من أصول الإيمان ناقض للدين هادم للملة حتى لو قال الإنسان كلمة لا إله إلا الله , قال الله تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً) لم ينفعهم إيمانهم ببعض الأنبياء ولم ينفعهم قول لا إله إلا الله طالما أنهم يكفرون ببعض الأنبياء أو يكفرون ببقية الأنبياء , حتى لو كفروا بنبي واحد لا تنفعهم لا إله إلا الله , فهذا فيه إبطال لشبهة أولئك , أن من كفر بنبي واحد أو ببعض الأنبياء هدم دينه كله حتى لو كان يقول لا إله إلا الله ويصلي ويصوم ويتصدق ويفعل الطاعات إن كان يكفر بنبي واحد هدم كفره بالنبي الواحد الدين كله , هذا الجواب الثاني .

<u>الجواب الثالث :</u>

قال – رحمه الله تعالى – : ((**وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة**)) , أرأيتم لو أن شخصاً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ويقول أشهد أن محمداً رسول الله , ويصلي ويصوم ويتصدق ويفعل الطاعات لكنه في الوقت نفسه يقول أشهد أن مسيلمة رسول الله , ماذا تكون صلاته وصيامه وشهادته وطاعاته وأعماله , ماذا تكون ؟ أتنفعه ؟ أم أن هذه الشهادة التي كانت منه بأن مسيلمة رسول تهدم عليه دينه كله , لماذا ؟ لماذا هدمت دينه كله ؟ رفع رجلاً من الرجال وواحداً من الناس من كونه إنسان عادي إلى رتبة النبوة فكان رفعه

له إلى رتبة النبوة ناقصاً لدينه كله ، أليس كذلك ؟ يعني رفع مخلوق إلى منزلة مخلوق لكنه أعطاه منزلة لا يستحقها من منازل المخلوقين , فرفع مخلوق إلى منزلة مخلوق لا يستحقها فكفر بذلك فكيف بمن يرفع مخلوقاً إلى رتبة الخالق ؟ يعطيه من خصائص الخالق وصفات الخالق – سبحانه وتعالى – , إذا كان من رفع مخلوق إلى رتبة مخلوق بادعاء بأنه رسول كذباً وزوراً وبهتاناً يكفر بذلك وينتقض دينه ويخرج من الملة , فكيف بمن يرفع مخلوقاً إلى رتبة الخالق – سبحانه وتعالى – فيعطيه من الخصائص ومن الحقوق ما ليس إلا لله – سبحانه وتعالى – رب العالمين , قال : ((**وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة**)) إذاً من جعل مخلوقاً من المخلوقات معبوداً أيش يكون أمره ؟ يُدعى مع الله , يُستغاث به مع الله , يُذبح له مع الله , تُصرف له من العبادة مع الله , إذاً ماذا يكون شأنه ؟ من كان كذلك ماذا يكون شأنه ؟ إذا كان جعل من ليس نبياً نبياً فكيف بمن جعل مخلوقاً من المخلوقات معبوداً ؟ أي الأمرين أكفر ؟ وكل منهما كفر ، وأيهما أعظم كفراً ؟ قال : ((**وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً لم تنفعه كلمة الشهادة ، ألا ترى أن بني حنيفة**)) بنو حنيفة أتباع مسيلمة الكذاب ((**كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله**)) أتباع مسيلمة ((**كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون**)) لكن ما هي مصيبتهم ؟ ((**كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ولكنهم قالوا إن مسيلمة نبي**)) , الصحابة ماذا سموهم ؟ المرتدين ,سموهم المرتدين وبعث إليهم أبي بكر من يقاتلهم قتال ردة عن الدين , وكانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون , كانوا يصلون الصلوات الخمس , ومن العجائب والغرائب أن المسلمين لما جيشوا الجيوش لقتال بني حنيفة – أتباع مسيلمة الكذاب – وتزامن في ذلك الوقت أن أعلنت أيضاً وادعت النبوة سجاح ؛ ادعت أنها نبية وتبعها أيضاً عدد , (فتفكرت في الأمر – كما جاء في كتب التاريخ في الأمر – لو أنها دخلت في خصومة وفي قتال مع مسيلمة تضعف هي وهو) أو أن مسيلمة فكر في هذا أنه لو دخل معها في خصومة وفي قتال تضعف هي وهو , فخطط لها مسيلمة تخطيطاً ماكراً وعجيباً ؛ أرسل لها وفداً يطلبون منها أن تجتمع به وأن يبحثوا الأمر وأن يتصالحوا على شيء قبل أن يدخلوا في قتال لأن الأمر بينهم كاد أن ينشب قتالاً , هو يدعي النبوة وهي تدعي النبوة وهو له أتباع وهي لها أتباع ولو دخلوا في قتال ضعفوا أمام جيوش المسلمين , فهيأ مكاناً جميلاً ووضع البخور والطيب وضبط المكان على أحسن ما يكون , ثم جاءته في هذا المكان واجتمعت به , مكان جميل ومبخر ومطيب, فاجتمعت به في هذا المكان , فلما جلسا للتشاور قالت له أنت نبي ,قال : نعم ، قالت له أعطني من الآيات والوحي الذي نزل عليك , فبدأ يسجع لها أبيات فيها شيء من إثارة النساء وقال أبيات كأنه يسوق آيات ؛ سبحان الذي خلق الرجال وجعل لهم النساء أزواجاً وبثّ كذا ويخترع أشياء وهي تستمع له , ولما استطاب لها الأمر بما سمعت من كلام وبالجو الذي كانت جالسة فيه قال لها ما رأيك أن نتزوج ؟ وافقت على الزواج وتم الزواج في نفس المكان , ورجعت إلى قومها ينتظرون الآن أيش الحل ؟ هل ندخل معهم في قتال ؟ وإلا لا , فذهبت إلى قومها ولما التقوا بها قالت : تبين لي أنه نبي وتزوجته , قالوا : وكيف الآن ؟ يعني أين المهر وأين الترتيب , أعطاك مهر ؟ قالت : لا , قالوا : طيب ارجعي إليه على الأقل يكون في مهر , فرجعت إليه فقالت : ما أعطيتني المهر , قال لها : أين مؤذن قومك ؛ يعني الذي يعلن في قومك عندما تحتاجون إلى أمر يعلن بين الناس , فنادته , قال : اذهب إلى قومك وأخبرهم أنني بهذه المناسبة أسقطت عنهم صلاتين , بدل خمس صلوات , فأصبحوا يصلون ثلاثة

صلوات ويتركون صلاتين وهذا يدل على أن القوم كانوا يصلون ويشهدون أن لا إله إلا الله لكن هذا الدجال المفتري افترى عليهم واخترع وجاء بأشياء وأوهمهم بأمور واستغل جهلهم ومشّى فيهم مثل هذه الضلالات والأباطيل فالشاهد من هذا كله أن قول لا إله إلا الله و محمد رسول الله ويصلي الإنسان ثم يهدمها بأمر يهدم الدين ما تفيده , فالقوم الذين هم بنو حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقولون أيضاً مسيلمة رسول فكانت هذه الجملة : مسيلمة أيضاً رسول , هدمت كل شيء يفعلونه , هدمت صلاتهم ,هدمت تشهدهم , هدمت أعمالهم الأخرى ,هدمتها كلها فما تفيدهم , ولهذا قاتلهم الصحابة – رضي الله عنهم – قتال مرتدين .

قال : ((**ولكنهم قالوا إن مسيلمة نبي فقاتلهم الصحابة وسبوهم ، فكيف بمن يجعل**)) هذا موضع الاستشهاد لرد الشبهة , قال : ((**فكيف بمن يجعل للولي خاصة الإلهية ؟ ويناديه للمهمات**)) ما الذي كفر به بنو حنيفة ؟ جعلهم مسيلمة نبي فرفعوه إلى رتبة النبوة فكفروا بذلك , رفعوا مخلوق إلى رتبة النبوة فكفروا بذلك , رفعوا مخلوق إلى رتبة مخلوق آخر لكن لا يستحق تلك الرتبة , فكيف بمن يرفع مخلوق إلى رتبة الخالق – سبحانه وتعالى – ؟ هذه جريمة يعني هذه التي فعلها هؤلاء جريمة ؛ رفع مخلوق إلى رتبة مخلوق , فكيف بمن يرفع المخلوق إلى رتبة الخالق ؟ أي الاثنين أشد جرماً وأعظم كفراً بالله سبحانه و تعالى؟ إذاً هذا الدليل الثاني .

قال – رحمه الله - :

((**وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – حرَق أتباع عبد الله بن سبأ ، وكانوا يقولون نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولكنهم غلوا في علي – رضي الله عنه – واعتقدوا فيه ما يعتقده القبوريون وأشباههم ، فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة ، فإنه حفر لهم الحفائر وأجج لهم ناراً وألقاهم فيها وقال** :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قُنبراً

وقال الشاعر في عصره :

لترمي بي المنية حيث شاءت إذا لم ترمِ بي بالحفرتين

إذا ما أججوا فيهن ناراً رأيت الموت نقداً غير دين

والقصة في فتح الباري وغيره من كتب الحديث والسير))

الشرح :

هذا الجواب الرابع عن هذه الشبهة , قال – رحمه الله – : ((**وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله تعالى عنه – حرَق أتباع عبد الله بن سبأ**)) الذين يُعرفون بالسبأية , الذين كانوا أتباع عبد الله بن سبأ حرّقهم , أي حرقهم بالنار لأنهم غلوا فيه وأعطوه من الخصائص ما ليس إلا لله – سبحانه وتعالى – وأعطوه من الصفات ما ليس إلا لله فغلوا فيه ورفعوا من شأنه وأفرطوا في أمره فأعطوه من الصفات والخصائص وأعطوه أيضاً من الحقوق ما ليس إلا لله – سبحانه وتعالى – رب العالمين , فكان منه – رضي الله عنه – أن حرّقهم مع أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله , وكانوا في المدينة ويُرون يصلون ويعملون الطاعات وأجمع

الصحابة على كفرهم عندما غلوا في علي – رضي الله عنه – وأعطوه من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله رب العالمين ((**ولكنهم غلوا في علي – رضي الله عنه – واعتقدوا فيه**)) ما هو الشيء الذي اعتقدوه في علي ؟ ((**واعتقدوا فيه ما يعتقده القبوريون وأشباههم**)) أي في مقبوريهم , لأن القبوريين يعتقدون في مقبوريهم علم الغيب , الاطّلاع على ما في الصدور , إغاثة الملهوف , جبر الكسير , إجارة المستجير , ولهذا يلجأون إليهم ويستنجدون بهم ويذبحون لهم ويطوفون عند أضرحتهم ويصرفون لهم من العبادات ما هو حق لله – سبحانه وتعالى – , قال : ((**فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة** ، **فإنه حفر لهم الحفائر وأجج لهم ناراً وألقاهم فيها**)) وقد أجمع أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – على قتلهم وكفرهم , فهل يُقال أن الصحابة يكفرون المسلمين لأن هؤلاء كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون لكنهم غلوا في علي غلواً شنيعاً وأعطوه من خصائص الله فأجمع الصحابة – رضي الله عنهم – على كفرهم وردتهم بذلك وأيدوا علياً – رضي الله عنهم – على قتلهم , لأن الذي كان منهم تجاهه – رضي الله عنه – كفر بالله , أعطوه من الخصائص والحقوق ما ليس إلا لله , فلم ينفع قولهم لا إله إلا الله وقولهم محمد رسول الله وصلاتهم , كل هذه ما تنفع بإجماع الصحابة – رضي الله عنهم وأرضاهم– , ألقاهم في النار وقال – رضي الله عنه – :

((**لما رأيت الأمر أمراً منكراً   أججت ناري ودعوت قنبراً**))

قنبرة مولاه – رضي الله عنه – دعاه لتنفيذ هذه المهمة .

((**وقال الشاعرفي عصره** :

لترمي بي المنية حيث شاءت   إذا لم ترمِ بي في الحفرتين))

يعني أموت أي موتة ولا أموت هذه الموتة التي ماتها هؤلاء ؛ يُحفر حفرة ويؤجج فيها نار وألقى في النار , لأموت أي موتة لكن لا أريد أن أموت مثل هذه الموتة .

((**إذا ما أججوا فيهن ناراً**)) يعني الحفرتين

((**رأيت الموت نقداً غير دين**)) , يعني رأيت الموت في هذه الحال نقد معجل غير مؤجل , لأن مجرد ما يلقى الإنسان في تلك النارالعظيمة في الحفرتين يموت ويهلك أشد هلكة , إذاً هذا وجه رابع في الجواب على هذه الشبهة.

قال – رحمه الله - :

((**وقد وقع إجماع علماء الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله** ، **فكيف بمن يجعل لله نداً**))

<u>الشرح :</u>

هذا <u>الجواب الخامس</u> على هذه الشبهة , قال : ((**وقد وقع الإجماع**)) يعني أجمع أهل العلم قاطبة على أن من أنكر البعث كفر , والله – سبحانه وتعالى – نصّ على ذلك في القرآن , قال : (زعم الذين كفروا ألن يبعثوا) فإنكار البعث كفر بالله – سبحانه وتعالى – ((**وقد وقع إجماع علماء الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله**)) يعني لو أن شخص يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلي ويصوم ويتصدق ولكنه

يقول أنا لا أؤمن بالبعث أو يقول أنا لا أؤمن بالملائكة , أو أنا لا أؤمن بالقدر أو نحوذلك من الأصول – أصول الإيمان – هل تنفعه الشهادة ؟ هل تنفعه الصلاة ؟ هل ينفعه الصيام ؟ الجواب : لا , يقول المصنف في تقرير الاستدلال بهذا الدليل , قال : ((**فكيف بمن يجعل للّه نداً**)) , أي الكفرين أعظم ؟ إنكار البعث أو إنكار حق الله على عبيده ؟ وهو أن يخلصوا له الدين وأن يفردوه – سبحانه وتعالى – هذا أصل الأصول وأعظمها على الإطلاق وبقية الأصول تبع لهذا الأصل أما أصل الأصول الإيمان بالله , فالإخلال بهذا الأصل العظيم الذي هو أصل الأصول أشد وأشنع وأفظع من الإخلال ببقية الأصول وإن كان كل ذلك كفربالله – سبحانه وتعالى – لكن كفر أشد من كفر , فالذي يجعل لله نداً – يعني يجعل لله شريكاً – أعظم ممن ينكر البعث وأعظم ممن ينكر الملائكة , وإنكار البعث كفر , وإنكار الملائكة كفر بإجماع المسلمين , ومن يجعل لله نداً أيضاً يكون كافراً بإجماع المسلمين .

وهذه الأجوبة إذا استوعبها طالب العلم يجد فيها فعلاً إقامة الحجة على هؤلاء وإبانة الأمر ومن خلال هذه الأجوبة المسددة يمكن بهدوء وبكلام واضح يبين الأمر , مثل عندما يستدل بالاستدلال الذي تقدم أن هؤلاء لا سواء ؛ يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويصومون يمكن أن تقول له أثناء استدلالك تقول له : ما رأيك في رجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلي ويصوم ولكنه يدعي أن فلاناً نبي – لشحص من الأشخاص – بعد نبينا – عليه الصلاة والسلام – , يؤمن بنبوة شخص بعد نبينا – عليه الصلاة والسلام – ومثِّل له بمثال بنو حنيفة , بنو حنيفة يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون ولكنهم أضافوا الشهادة بأن مسيلمة نبي , ما رأيك في هؤلاء ؟ ألم يجمع الصحابة على كفرهم وقتالهم مع أنهم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويصلون ويصومون , سيقول لك : هؤلاء رفعوا رتبة رجل إلى رتبة نبي فكانوا بذلك كفاراً , قل له : هذا هو المطلوب , رفعوا رجلاً إلى رتبة نبي فكانوا بذلك كفاراً فكيف بمن رفع رتبة رجل إلى حق وخصائص رب العالمين – سبحانه وتعالى – , إذا كان من يرفع رجلاً إلى رتبة النبوة يكفر , فكيف بمن يعتقد في رجل من الخصائص والصفات ما ليس إلا لله ؟! فهذه أجوبة مسددة ذكرها الصنعاني – رحمه الله تعالى– عن هذه الشبه وهي خمسة أوجه.

وفي كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – أجاب عن هذه الشبهة بأجوبة أوسع وبكلام قوي وتفصيلات نافعة يمكن لطالب العلم أن يطّلع عليها في كتابه العظيم كشف الشبهات .

قال – رحمه اللّه - :

((**فإن قلت قد أنكر – صلى اللّه عليه وسلم – على أسامة قتله لمن قال** : **لا إله إلا اللّه كما هو معروف في كتب الحديث والسير** ، **قلت** : **لاشك أن من قال** : **لا إله إلا اللّه من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله** ، **ولذا أنزل اللّه في قصة محلم بن جثامة** (**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل اللّه فتبينوا**) **فأمرهم اللّه تعالى بالتثبت في شأن من قال كلمة التوحيد فإن تبيّن التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم** ، **وإذا تبيّن خلافه لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ**))

الشرح :

قال: ((**فإن قلت قد أنكر النبي- صلى الله عليه وسلم - على أسامة قتله لمن قال : لا إله إلا الله كما هو معروف في كتب الحديث والسير ، قلت : لاشك أن من قال : لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله**)) , أصبح معصوم الدم والمال , الكافر إذا قال لا إله إلا الله بقوله لا إله إلا الله أصبح معصوم الدم والمال , لا يجوز أن يُمس دمه أو أن يُمس ماله أصبح معصوم الدم والمال ((**حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله**)) وهنا نعرف الخطأ الذي وقع من أسامة – رضي الله عنه – لأنه قتله قبل التبيّن مباشرة مجرد أن سمعه يشهد أن لا إله إلا الله قتله وتأوّل لذلك أنه إنما قال ذلك متعوذاً , وكوننا نقول أنه ما قال ذلك إلا تعوذاً هذا يحتاج إلى تبيّن , إلى تثبت , ولهذا أمر الله – سبحانه وتعالى – بالتبين عندما يقاتل المسلمون الكفار أمر بالتبيّن حتى لا يُقتل من هو من أهل لا إله إلا الله , من يقول لا إله إلا الله , قال : ((**ولذا أنزل الله في قصة محلم** (**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**))) يعني إذا ذهبتم للقتال في سبيل الله فتبينوا فيمن تقاتلونه , نتبيّن ماذا ؟ نتبيّن قبل أن نقدم على قتاله هل هو من أهل لا إله إلا الله أو ليس من أهلها , قال : ((**فأمرهم الله تعالى بالتثبت في شأن من قال كلمة التوحيد فإن تبيّن**)) ؛ هذا معنى التبيّن ((**فإن تبيّن التزامه لمعناها كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم ، وإن تبيّن خلافه لم يُحقن دمه وماله بمجرد التلفظ**)) وإلا لم يكن للأمر بالتثبت معنى , ما معنى التثبت إذا كان مجرد اللفظ كافياً ؟ التثبت : التحري من حال الرجل , إذا سمعته يقول لا إله إلا الله تحرّى حاله وتعرف على فعاله وانظر هل يلتزم هذه الكلمة ؟ أو قالها متعوذاً وخوفاً من القتال لكنه مازال على عقائده ومازال على عباداته الشركية الكفرية ؟ فهذا معنى التبين وبهذا نعلم أن القوم عندما قالوا : قد أنكرالنبي –عليه الصلاة والسلام– على أسامة قتله من قال : لا إله إلا الله , ماذا يريدون بهذه الكلمة ؟ ماذا يريدون بهذا الإيراد : أنكرالنبي – عليه الصلاة والسلام– على أسامة قتله من قال : لا إله إلا الله ؟ مراد هؤلاء واضح , أن الذي يقول لا إله إلا الله لا يُكفّر وإن فعل ما فعل , يُسلم ذلك ؟ يريدون الاستدلال بالحديث : أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ يريدون الاستدلال بذلك أن من قال لا إله إلا الله لا يُكفر وإن فعل ما فعل , هل هذا يُسلم ؟ يعني مجرد أن الكافر الأصلي يقول لا إله إلا الله ليفعل بعد ذلك ما شاء من كفريات , من أمور تهدم الدين لا يُقتل , هل هذا يقوله أحد عرف الدين وعرف حقوق لا إله إلا الله ؟ وهؤلاء هذا مرادهم ؛ مرادهم أن من قال لا إله إلا الله لايُكفر وإن فعل ما فعل , هذا لا يقوله عالم ولا يقوله من فقه دين الله – سبحانه وتعالى – لأن من قال لا إله إلا الله ثم نقضها ما تفيده , ومرّ معنا من الشواهد والدلائل على ذلك ما فيه كفاية وغنية .

ثم قال – رحمه الله - :

((**وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه إلى أن يتبيّن منه ما يخالف ذلك ، فإذا تبيّن لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها ولذلك لم تنفع اليهود ولا الخوارج مع ما أنضم إليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر – صلى الله عليه وسلم – بقتلهم وقال** : (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**) ، **وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شرّ القتلى تحت أديم السماء كما ثبتت به الأحاديث**)).

الشرح :

هنا يقرر الاستدلال بالآية الكريمة , قال : ((**وهكذا كل من أظهر التوحيد**)) , يعني الآية تدل على ماذا ؟ قال : ((**وهكذا كل من أظهر التوحيد وجب الكف عنه**)) كل من أظهر التوحيد , أعلن التوحيد ((**وجب الكف عنه إلى أن يتبيّن منه ما يخالف ذلك**)) بدليل قول الله في الآية : (فتبينوا) , ومعنى (فتبينوا) : أي تثبتوا وتحققوا من حال الرجل , فإذاً , إذا أعلن الرجل التوحيد – أعلن كلمة التوحيد – ثم تبيّن من حاله فيما بعد أنه يمارس الكفر ويناقض لا إله إلا الله ويأتي بما يهدمها , هل تكون لا إله إلا الله في مثل هذه الحال نافعة له عاصمة لدمه وماله ؟ إذاً أين قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديث المتقدم (إلا بحقها) ؟ إذاً ما فائدة هذا القيد الذي ذكره – صلوات الله وسلامه عليه – ؟

قال : ((**ولذلك لم تنفع اليهود**)) ؛ أي قولهم لا إله إلا الله لم تنفعهم ، ((**ولا نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة**)) انتبه هنا ؛ لا إله إلا الله ما نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة , الخوارج كانوا يقولون لا إله إلا الله ويقولون محمد رسول الله ويقرأون القرآن ويصلون ويصومون بل قال النبي – صلى الله عليه وسلم – عن عبادتهم قال : (تحقرون قراءتكم مع قراءتهم وصلاتكم مع صلاتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وعبادتكم مع عبادتهم , بل قال – عليه الصلاة والسلام – : (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) وهم يقولون لا إله إلا الله أو لا يقولونها ؟ ويقولون محمد رسول الله أو لا يقولونها ؟ يصلون أو لا يصلون ؟ يصومون أو لا يصومون ؟ النبي – عليه الصلاة والسلام – وصف عبادتهم قال : (يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم , تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعبادتكم مع عبادتهم) , ذكر عنهم عبادة عجيبة . فهم يقولون لا إلا إلا الله , ومحمد رسول الله ويصلون ويقرأون القرآن ومع ذلك يقول – عليه الصلاة والسلام – : (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) كيف تجمع بين قوله – عليه الصلاة والسلام – في الخوارج : (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) وقوله لأسامة : (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله) كيف تجمع بينهما ؟ مع أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال في شأن الخوارج وهم يقولون لا إله إلا الله : (لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) كيف تجمع بين الحديثين ؟ الجواب واضح , وهو أن حديث أسامة في مثل هذه الحال يحتاج الأمر إلى تريث وتثبت وتبيُن كما قال الله : (فتبينوا) , وأسامة – رضي الله عنه – من غيرته الدينية وحرصه بادر إلى قتله وسارع إلى قتله ظناً منه أنه اجتهد اجتهاداً وظناً منه – رضي الله عنه – أن الرجل إنما قالها متعوذاً , فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – : (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟) قال : (أفلا شققت عن قلبه ؟) , لكن مثل هؤلاء أصبح الأمر واضح ؛ من أفعالهم وأعمالهم تبيّن الأمر واتضح , فهل يُسوّى بين من لم يُتبين أمره وبين من تبين أمره واتضح ؟ فإذاً حديث أسامة – رضي الله عنه – فيمن لم يُتبين أمره , وبهذا نعلم أن استدلال هؤلاء بحديث أسامة استدلال في الحديث على غير بابه , لأن مرادهم بالاستدلال بقوله : (أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله ؟) أي من قال لا إله إلا الله لا يُقتل ولا يُكفر وإن فعل ما فعل , هذا مرادهم وهذا مقصودهم , فمثل هذه النصوص التي يسوقها المصنف – رحمه الله – تكشف خطأ هؤلاء ومجانبتهم للصواب .

قال : ((**مع ما انضم إليها من العبادة التي يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر – صلى الله عليه وسلم – بقتلهم وقال** : (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**))) لماذا ؟ ما السبب ؟ قال : ((**وذلك لما خالفوا بعض الشريعة وكانوا شرّ القتلى تحت أديم السماء كما ثبتت به الأحاديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم** -)).

قال – رحمه الله - :

((**فثبت أن مجرد قول كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه ما يخالفها من عبادة غير الله**)).

قال – رحمه الله – :

((**فإن قلت القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون** : **نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج** ، **قلت** : **هذا جهل بمعنى العبادة** ، **فإنها ليست قاصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد** ، **وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه** : **معتقداً** ، **ويصنعون له ما سمعته مما تفرّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة بهم والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك**)).

<u>الشرح :</u>

هذه شبهة أيضاً يثيرها هؤلاء , يقول – رحمه الله – : ((**فإن قلت القبوريون وغيرهم من الذين يعتقدون في فسقة الناس وجهالهم من الأحياء يقولون** : **نحن لا نعبد هؤلاء ولا نعبد إلا الله وحده ولا نصلي لهم ولا نصوم ولا نحج**)) لكنهم في الوقت نفسه يستغيثون بهم , يدعونهم من دون الله , يقربون لهم القرابين والنذور , في قلوبهم اعتقادات تجاه هؤلاء من حيث جلب النفع ودفع الضر ولهذا يلتجأون إليهم ويحتمون بهم ويطلبون منهم النجدة والعون والنصر والعافية ..الخ ,فإذا قال هؤلاء : نحن لا نعبدهم , نحن لا نصلي إلا لله , الصلوات الخمس لا نصليها إلا لله ولا نصوم إلا لله , والحج لا نحج إلا لله , إذا قال هذا ماذا يُقال له ؟ يُقال : ((**هذا جهل بمعنى العبادة فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت**)) ليست العبادة منحصرة في الصلاة والصيام والحج , أليس الدعاء عبادة ؟ بل هو أعظم العبادة , قال النبي – عليه الصلاة والسلام – : (الدعاء هو العبادة) وتلا قول الله – سبحانه وتعالى – : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) , وقال الله : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) , ويقول – جل وعلا – : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) , ويقول – جل وعلا – : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) , ويقول : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) , (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) , ويقول – جل وعلا – : (ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) سمّى دعاء غيره كفراً , والدلائل والشواهد على ذلك كثيرة , فلو أن شخصاً يصلي ويصوم ,

يؤدي الصلوات المكتوبات ويصوم ويحج لكنه يدعو غير الله ويستغيث بغير الله , أتنفعه صلاته ؟ أينفعه صيامه ؟ أيفيده حجه ؟ وقد قال الله تعالى : (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك) وفي الحديث قال – عليه الصلاة والسلام – : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) فإذاً الدعاء عبادة , فمن صرف هذه العبادة لغير الله – تبارك وتعالى – كان مشركاً بالله ونقض شركه أعماله وأبطلها وأحبطها كما هو واضح في دلائل القرآن الكريم , قال : ((**قلت** : **هذا جهل بمعنى العبادة**)) يعني إذا كنت تريد أن تحصر العبادة في الصلاة والصيام والحج أنت ما فهمت معنى العبادة , العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة , حتى القلب له عبوديات من صرف شيئاً منها لغير الله كفر بالله , لأنه أعطى حقوقه – سبحانه – لغيره , قال : ((**هذا جهل بمعنى العبادة** ، **فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت**)) ومثلت بمثال ؛ الدعاء الذي هو أعظم أنواع العبادة وهو أكثر – كما نصّ على ذلك أهل العلم – أكثر ما يقع فيه الشرك في قديم الزمان وحديثه وهذه سجلوها فائدة , أكثر ما يقع فيه الشرك في قديم الزمان وحديثه : الشرك بالدعاء – الشرك في عبادة الدعاء – , وأكثر ما يكون فيه الخلل في هذه العبادة ؛ دعاء غير الله ؛ الالتجاء إلى غير الله بالسؤال , بالطلب , بالتوجه , بالنداء , بالاستغاثة .

قال : ((**فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت بل رأسها وأساسها الاعتقاد**)), ((**رأسها وأساسها**)) ؛ أي الذي عليه تُبنى ((**الاعتقاد**)) , وهل الاعتقاد عند هؤلاء – الذين يتعلقون بالقبور – هل الاعتقاد عندهم صافٍ ؟ أو أنه شابته الشوائب وداخلته الدواخل ؟ لاحظ التقرير , قال : ((**بل رأسها وأساسها الاعتقاد** ، **وقد حصل في قلوبهم ذلك**)) ما الذي حصل في قلوبهم ؟ اعتقاد في المقبورين , أصبح في قلوبهم اعتقاد في المقبورين , بل بعضهم يعتقد في المقبور أنه يشفي المريض ويكشف الكرب ويزيل الهم ويغيث الملهوف ولهذا يقصدونهم من الأمكنة البعيدة طلباً للشفاء , و يقصدونهم من الأمكنة البعيدة طلباً لكشف الهموم , يقصدونهم من الأمكنة البعيدة طلباً للرزق ..الخ , والذي ما يستطيع أن يذهب يرسل ؛ يعني بعضهم يرسلون رسائل إلى بعض الأضرحة : من فلان بن فلان إلى فلان – صاحب الضريح – أنا فلان الفقير أنا محتاج إلى كذا , محتاج إلى كذا , محتاج إلى كذا , حتى إنني مرة اطّلعت على ورقة فيها عدة طلبات مرسلها إلى أحد القبور , عدة طلبات ؛ زوجة وفيلا وأشياء كثيرة وفي نهاية الطلبات قال : في حالة تحقيق طلبي أنا عنواني في المكان الفلاني وكتب العنوان , بالله هل أمثال هؤلاء فقهوا : (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ؟ هل فقهوا قوله : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) ؟ هل فقهوا قوله : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله) ؟ هل فقهوا قوله : (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ؟ هل فقهوا قوله : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) ؟ هل فقهوا هذه الآيات ؟ هل فقهوا آيات الدعاء ؟ وآيات السؤال وآيات الطلب وآيات الالتجاء إلى الله ؟ النبي – عليه الصلاة والسلام – سيد ولد آدم كان إذا أوتي بمريض توجه إلى الله : (اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك) , ويرشد من كان عليه دين أن يدعو : (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك) , وكان ينكر – عليه الصلاة والسلام – أي تعلقات تكون بالمخلوقين , ويغضب عند ألفاظ لا تكون مقصودة معانيها : (أجعلتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده) والنصوص والشواهد والدلائل في هذا المعنى كثيرة , قال : ((

وقد حصل في قلوبهم ذلك بل يسمونه : **معتقداً**)) تجد بعضهم في كتبهم وفي أحاديثهم يقول : أنا أعتقد في الشيخ , أنا أعتقد في ضريح فلان , عندي عقيدة في .. ينصون على هذا اللفظ ويصرحون به , بل يقولون ما يفيدك ذهابك إلى ضريح فلان إلا إذا أعتقدت , يقولون : ما يفيدك , إذا ذهبت إلى ضريحه ما يفيدك ما تفعله عند الضريح إذا لم يكن عندك عقيدة فيه , لابد أولاً أن يكون في قلبك عقيدة فإذا كان في قلبك عقيدة فيه أفادك حينئذ ما تفعله , أما إذا لم يكن عندك عقيدة مثل أن يذهب إنسان فقط ليجرب أو ينظر هل يستفيد أو لا , يقولون له ما تستفيد لابد تعتقد فيه , إذا اعتقدت فيه يفيدك وبدون اعتقاد ما يفيدك , إذاً الاعتقاد الذي هو الأساس الذي يُبنى عليه الدين هدموه بمثل هذه التعلقات بالمقبورين ويصرحون – كما ذكرت ذلك – في كتبهم وأيضاً في أقوالهم .

قال : ((**بل يسمونه معتقداً** ، **ويصنعون له**)) ؛ أي لصاحب الضريح ((**ما سمعتَه مما تفرّع عن الاعتقاد**)) يصنعون له ما سمعته , ما هو ؟ الدعاء , النذر , القرابين , الاستغاثة , طلب المدد ..الخ , ((**يصنعون له ما سمعته مما تفرّع عن الاعتقاد**)) , الآن التجاءه إلى المقبور هذا فرع عن عقيدة في قلبه ؛ فرع عن تعلق بالمقبور قام في قلبه ولهذا دعاه , ولهذا قرَّب له القرابين وقدّم له النذور والتجأ إليه في كشف الضر في جلب النفع , في حصول ما يؤمل , و يطمع فيه من حوائج , قال : ((**ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد** ، **من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة بهم والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك**)) كل هذه الأمور تفرعت عن الاعتقاد , وذكرت لكم أمس مثالاً يوضح قضية الاعتقاد , عندما يُحلّف أحدهم بالله يحلف ولا يتردد , إذا حُلّف أحدهم بالولي المعظم عنده يتوقف , وأذكر قديماً أحد الأثرياء في إحدى الدول أخبرني شخصياً وانتقدته فيما أخبرني به , قال : أنا لي حقوق عند بعض الناس من هؤلاء ممن لهم تعلق بالقبور , يقول إذا طالبتهم بحقوقي وجحدوها يقول : دائماً أنا أحلفهم بالشيخ فلان , قلت له : لماذا ؟ قال : جربت كثيراً , أحلفهم بالله يحلفون مباشرة , يقول : إذا جحدوا حقوقي أحلفهم بالشيخ فلان يقول : لا , لك عندي حقوق , يقول جربتهم , أحلفهم بالله مرات يحلف ما يتردد , أحلف بالله يقول والله , يقول وإذا حلفته يتوقف ويتهيب ويتردد ويُسلم , يقول : أنا ما أحلفهم إلا بالشيخ فلان , يقول تضيع حقوقي لو ما أحلفهم بالشيخ , فناصحته في ذلك قلت له : هذا حرام , الحلف بغير الله شرك ولا تطالب بحقوقك بأمر هو شرك بالله – سبحانه وتعالى – , وبأمر أنت تدعو الشخص إلى أن يشرك بالله – سبحانه وتعالى – (من حلف بغير الله فقد كفر) أو أشرك , فلا يحل لك ذلك ولا يجوز .

والقصة التي ذكرت بالأمس – وهذه قرأتها في أحد الكتب – قيل له أحلف بالله فحلف , حُلّف أيضاً بالولي فحلف فغضب أحد الحاضرين , انظر الآن قضية الاعتقاد التي يتحدث عنها المصنف , فغضب أحد الحاضرين وقال : تحلف بالولي الفلاني وأنت تعلم أنه يعلم أنك كاذب ؟ انظر إلى الاعتقاد , وهذه كلها فروع ؛ الحلف بالولي , والنذر له , والتقرب إليه , والدعاء – دعاءه – والطلب منه كل ذلك فروع عن اعتقاد قام في قلب هؤلاء تجاه الضريح أو المقبور , هذا معنى قول المصنف – رحمه الله تعالى – : ((**مما تفرّع عن الاعتقاد من دعائهم وندائهم والتوسل بهم والاستغاثة بهم والاستعانة والحلف والنذر وغير ذلك**)) .

قال – رحمه الله - :

((**وقد ذكر العلماء أن من تزيّا بزي الكفار صار كافراً ، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً ، فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً** ؟)) .

الشرح :

هنا يذكر – رحمه الله تعالى – في نقض هذه الشبهة وإن كان ما ذُكر كافياً وافياً في كشفها لكن زيادة على ذلك يقول : ((**وقد ذكر العلماء أن من تزيّا بزي الكفار صار كافراً ، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافراً**)) , من تزيّا بزي الكفار إذا كان ذلك عن علم وتقصد لذلك ويلبس من ألبستهم الدالة على كفرهم ؛ مثل أن يلبس الصليب والزنار والأشياء التي هي شعار الكفر بالله – سبحانه وتعالى – ونحو ذلك يكون كافراً , كما ذكر ذلك أهل العلم ونستمع في هذا الموضع إلى التعليق ؛ تعليق للوالد – حفظه الله – على تطهير الاعتقاد :

(قال هذا فيما إذا ما تزيّا عالماً قاصداً بزيهم الذي هو من خصائصهم ؛ كألبسة رهبانهم وكشد الزنار في أوساطهم)

إذا تزيّا بزي الكفار الذي هو من خصائصهم كألبسة رهبانهم وكشد الزنار في أوساطهم هذا يكفر بذلك

(أما إذا نشأ مسلم على ارتداء لباس الكفار – اللباس الأفرنجي – حتى إنه لا يعرف إلا غيره فلا يكون له هذا الحكم)

إذا نشأ مسلم على لبس البدلة – البنطال ونحوه – ونشأ على ذلك ولا يعرف لباساً غيره هذا لا يكون بذلك كافراً، إذاً في المسألة ؛ التزيي بزي الكفار صار كافراً هذه لابد فيها من هذا التفصيل

(أما إذا نشأ مسلم على ارتداء لباس الكفار – اللباس الإفرنجي – حتى كأنه لا يعرف غيره فلا يكون له هذا الحكم , وقد روى البيهقي في مناقب الشافعي بإسناده إلى الحُميدي قال : " سأل رجل الشافعي بمصر عن مسألة فأفتاه وقال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : كذا , فقال الرجل : أتقول بهذا ؟ أرأيت في وسطي زنارة ؟ أتراني خرجت من الكنيسة ؟ أقول : قال النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقول لي : أتقول بهذا ؟ أروي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا أقول به ؟ " , ومع هذا فإن على المسلمين الذين ابتُلوا بالنشأة على هذا اللباس أن يعملوا على تعديل لباسهم) .

(ومع هذا فإن على المسلمين الذين ابتُلوا بالنشأة على هذا اللباس) يعني البناطيل الضيقة , البدل الضيقة (الذين ابتُلوا بالنشأة على هذا اللباس أن يعملوا على تعديل لباسهم بما يغاير لباس الكفار كتوسيع الألبسة) يعني بدل أن يكون ذلك البنطال الضيق الذي يصف العورة ويحجمها , وبعضهم – هدانا الله وإياهم – في المساجد عندما يسجد ويكون القميص قصيراً عندما يسجد ينحسر عن قفاه جزء من عورته – جزء من أعلى عورته – هذا يحصل أحياناً وهو ساجد , يعني يعبد الله بالسجود وحال عبادته لله بالسجود منحسر أمام المصلين الجزء الأعلى من عورته إذا كان ولابد يريد أن يبقى على مثل هذا اللباس لا يجعله مثلهم ضيّقاً يصف العورة ويحجمها بل يوسعه , يوسع اللباس وأيضاً يكون القميص نازلاً ولا يجعله من داخل البنطال وإنما من فوق البنطال ويكون نازلاً وهو فضفاضاً , قال : (بما يغاير لباس الكفار كتوسيع الألبسة) هذا حل (واللائق بهم بل المتعين عليهم أن يصيروا إلى التزيي بزي المسلمين) الثياب والقُمص ونحوها من الألبسة , لكن إذا يريد أن يبقى على هذا اللباس فلا أقل من أن يُوسع

البنطال بحيث يكون واسعاً فضفاضاً , وأيضاً يكون القميص ليس من داخل البنطال وإنما من فوقه ويكون أيضاً طويلاً , فمثل هذا لا حرج عليه والأولى أن يتحول إلى اللباس المعروف من القُمص ونحوها .

قال : ((**ومن تكلّم بكلمة الكفر صار كافراً**)) , لا يكون كافراً بمجرد الكلمة , لأنه قد يقول هذه الكلمة عن ذهول , مثلما جاء في الحديث الذي قال فيه الرجل : (اللهم أنت عبدي وأنا ربك , أخطأ من شدة الفرح) هذا لا يكفر , إذا ذهل الإنسان وجاء بكلمة كفرية وهو ذاهل فأخطأ من شدة فرحه أو أخطأ من شدة ذهوله فلا يكون بذلك كافراً , لكن إذا قال كلمة الكفر استهزاءً أو خوضاً ولعباً أو نحو ذلك فإنه يكفرمثلما مرّ معنا في الآية الكريمة : (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم).قال : ((**فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلاً** ؟)) ونقف إلى هذا الحد.

والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المصنف- رحمه الله تعالى- :

((**فإن قلت**: **هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ قلتُ**: **قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها لو بارتكاب كل معصية ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئا إلا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر. فالناذر للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهما، فإن الأموال عزيزة عند أهلها. قال تعالى**:: (**ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**) **فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله وأنه لا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا، وقد قال صلى الله عليه وسلم**:"**إن النذر لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل**) **ويجب رده إليه**.))

الشرح :

بعد أن أجاب المؤلف-رحمه الله- على أبرز وأهم شبهات من يتعلقون بالقبور ويصرفون لها العبادة ، ويستنجدون بها ، ويقدمون لها النذور والقرابين ، لما أجاب -رحمه الله- عن تلك الشبهات ، أو عن أبرز شبهات هؤلاء ، قال -رحمه الله-((**فإن قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟**)) وغالباً مثل هذا السؤال أو هذا التساؤل يطرحه من قارب الهداية أو تأثر بتلك الأجوبة النافعة المسددة ، فيسأل عن حكم تلك النذور ، سواءً من جهة المتقرب بها إلى تلك القبور ، أو من جهة السَدَنة الذين يأخذون تلك النذور ، فقال -رحمه الله- ((**فإن قلت: هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ قلتُ: قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها**)) أي لها معزة في نفوسهم ومكانة في قلوبهم ، ولها شأن عندهم ،((**يسعون في جمعها لو بارتكاب كل معصية**)) وهذا الوصف الذي ذكره -رحمه الله- وصف من لا همّ له إلا المال ، ولا مطمع له إلا تحصيله دون مبالاةٍ بالوسائل ، أهي صحيحةٌ أم باطلة ؟ محرمةٌ أم مباحة ؟ المهم أن يقع في يده المال ، فبعض الناس هذه طريقته ، بل كثير من الناس الحلال عنده ما حلّ في يده ، والحرام ما حرم من الوصول إليه ، الحلال ما حلّ في يده بأي طريقةٍ كانت ، والحرام من حرم منه ولم يتمكن من الظفر به ، بينما الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه ، كما قال - عليه الصلاة والسلام- [إن الحلال بيّن وإن الحرام بين] فهذه الصفة التي ذكر -رحمه الله تعالى- صفة من لا هم له إلا جمع المال واكتسابه بقطع النظر عن الوسائل والطرائق ، التي يكتسب بها المال ، قال ((**يسعون في جمعها**)) أي الأموال ((**لو بارتكاب كل معصية**)) ومن المعلوم أن المسلم الناصح الذي يخاف الله لا يجمع المال ، ولا يسعى في تحصيله إلا من وجهٍ أباحه الله ، لأنه يعلم إذا قام بين يدي الله يوم القيامة يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه كما صحّ في ذلك الحديث عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فإذن هذه الصفة التي ذكر-رحمه الله تعالى - بقوله ((**يسعون في جمعها لو بارتكاب كل معصية**)) هذه صفة من لا هم له إلا المال وليس له همٌ في الآخرة ، وفي الدعاء المأثور عن النبي - عليه الصلاة والسلام- [اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا] قال : ((**ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي**)) أي من أجل المال يخاطر بنفسه ، وربما عرّضها للهلكة من أجل تحصيل المال ، كل ذلكم ذكره -رحمه الله- ليبين مكانة الأموال عند أصحابها وأنها عزيزةٌ عليهم وغالية يحرصون عليها أشد الحرص ، قال : ((**فلا يبذل أحد من ماله شيئا إلا معتقداً لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر**)) هذا المال العزيز عند أصحابه الغالي عندهم لا يخرجونه ولا يبذلونه إلا لجب نفعٍ أكبر أو لدفع ضر يخشاه ويخافه ، ((**فالناذر للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك**)) كل ذلك يسوقه المصنف-رحمه الله- ليؤكد أن هذه النذور والقرابين التي يقدمها هؤلاء مع أن الأموال غالية عندهم ، هذه الأموال والنذور والقربين التي يقدمونها للنذور ما قدموها إلا لجب نفعٍ أو دفع ضر ، وهذا ما سماه سابقاً الاعتقاد الذي في قلوب هؤلاء للقبور ، فهو يقدم هذه الأموال ليس عبثاً ولا عملاً لا يرجو من وراءه طائل ، بل يقدم هذه الأموال وتلك النذور لأنه يرجو جلب نعماءٍ أو دفع ضرٍ وبلاء ، وهذا اعتقادٌ منه بهذه القبور وتعلقٌ قلبيٌ بها ، إضافةً إلى هذه العبادات التي يصرفها لها مما هو حقٌ لله -سبحانه وتعالى- قال : ((**وهذا اعتقاد باطل**)) اعتقادٌ باطل في هذه القبور وفي أصحابها الذين هم مرتهنون بأعمالهم ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، و لا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فضلاً عن أن

يملكوا شيئاً من ذلك لغيرهم ، لكنّ هؤلاء قامت في قلوبهم هذه العقيدة اتجاه هؤلاء المقبورين فقدموا تلك الأموال الطائلة ، وربما لو أن واحداً من هؤلاء وهو في طريقه لقبرٍ من القبور أو ضريحٍ من الأضرحة ليقدم لتلك القبور ربما لو مرّ على اسرة فقيرة في أشدّ الحاجة إلى المال ، وفي أشد العوز وسألوه أن يعطيهم شيئاً من هذا المال لما أعطاهم ، ولدّخر هذا المال كاملاً نذراً يتقرب به ، وهذا من هؤلاء زهدٌ في الأمور المشروعة ، وولوجٌ ودخولٌ في الأمور المنكرة المحرمة ، قال : ((**ولو عرف الناذر بطلان ما أراده ما أخرج درهما**.)) لأن المال عزيز عنده ولو علم فعلاً ويقيناً أن هذا العمل باطل ولا يعود عليه بنفعٍ ولا يجلب له فائدة بل هو مضرةٌ عليه ، لو علم ذلك ما أخرج ولا درهم واحد ، لم يخرج ولا درهماً واحداً ((**فإن الأموال عزيزة عند أهلها. قال تعالى**:: (**ولا يسألكم أموالكم**)) المال عزيز عند صحابه وثمينٌ عنده ، قال((**قال تعالى**:: (**ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**)) يعني لو كان من شرع الله –سبحانه وتعالى– وأمره أمر الإنسان أن يخرج ماله كله أو ينقص ماله نقصاً شديداً لظهرت أحوال وأوصاف كثيرة في الناس لأن المال عزيز على أصحابه ، الآن زكاة المال وهي نسبة ضئيلة جداً من مالٍ كثيرٍ أعطاه الله–سبحانه وتعالى– عبده تجد كثير من أصحاب الأموال يشح بهذه الزكاة ، وربما لا يخرجها إلا بمنازعة شديدة لنفسه ، قال (**ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم**)) قال : ((**فالواجب**)) أي على الدعاة وطلبة العلم الذين وفقهم الله لفهم الحق والهدى ((**فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله**)) الواجب تعريفه أن هذا العمل إضاعة للمال ، وفي الحديث قال [ونهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال] هذا إضاعة للمال في وجوهٍ محرمة ،وطرائق باطلة ، ((**وأنه لا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررا**)) خلافاً لقصده هو أخرجه لجلب نفعٍ ولدفع ضر، والواقع والحقيقة أنه لا يجب له نفعاً ولا يدفع عنه ضراً ((**وقد قال صلى الله عليه وسلم**:"**إن النذر لا يأتي بخير**،)) ما هو النذر الذي قال عنه– صلى الله عليه وسلم– أنه لا يأتي بخير ،((**وإنما يستخرج به من البخيل**)) النذر لله ، النذر الذي يقصد به الله جل وعلا قال (لا يأتي بخير) مثل أن يقول القائل : إن شفى الله مريضي فالله عليّ أن أذبح شاةً للفقراء ، هذا النذر الذي نذره (لله علي إن شفى مريضي أن أذبح شاة للفقراء) لا يأتي بخير إن شفى الله – سبحانه وتعالى– مريضه فهذه منة من الله عليه ، وتفضلٌ منه سبحانه ، أما النذر ذاته لا يأتي بخير ، لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضراً ، وإنما الأولى بالإنسان أجدر ألا ينذر ، وإذا أكرمه الله وشفى مريضه وذبح شكراً لله دون أن يكون أوجب ذلك على نفسه فهذا أطيب ،وأجدى وأنفع ، ولهذا بعض الناس عند الشدة والمرض والمصيبة ينذر (لله علي أن أصوم سنة كاملة إن حصل كذا) (ولله علي أن أتصدق بنصف مالي) ثم إذا حصلت النعمة يأتي لبعض المشايخ يا شيخ ايش الحل ؟ أنا نذرت بكذا وحصل لي الآن هذا الأمر ، لا زم أن أفعل ما فيه مخرج ، ما فيه طريقه ، ما في حل ، لابد أن أخرج ، هذا معنى قوله – عليه الصلاة والسلام– [النذر لا يأتي بخير] يعني شفاءُ مريضٍ أو دفع ضرٍ أو جلبُ نعماءٍ ، ليس سببها النذر ، سببها تفضل الله ومنها على عبد قال : ((**النذر لا يأتي بخير**، **وإنما يستخرج به من البخيل**)) وبعض البخلاء حتى مع النذر ما يستخرج منه هذا الذي نذره ، تجد إذا تحققت النعمة لم يفِ بنذره ، (لله عليّ إن شفى مريضي أن أذبح شاةً) ويشفى مريضه

ولا يذبح شاته ، فقال – عليه الصلاة والسلام– إن النذر لا يأتي بخير أي النذر الذي يقصد به الناذر التقرب به إلى الله ويقصد وجه الله ، فكيف بالنذر الذي يتقرب به إلى غير الله للقبور والأضرحة والقباب وغيرها ، فهذا شرٌّ محض ، وشركٌ خالص ، وكفرٌ بالله –سبحانه وتعالى– وصرفٌ للعبودية لغيره جل وعلا ، وكيف يرجو إنسانٌ سويٌّ عاقل من وجهٍ هذا طريقه ، وسبيلٌ هذا شأنه أن يستجلب نعماء أو يدفع عن نفسه ضراً وبلاء .

قال–رحمه الله– :

((وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لا في مقابلة شيء، وقد قال تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ ولأنه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك. ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ الآية ،فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي، ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولي ينفعه ويضره. فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت؟ وأي تدليس أعظم؟ وأي رضا بالمعصية ابلغ من هذا؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذه الأسلوب، يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزوا من ماله ويقاسمه في غلات أطيانه ويأتي به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقيقة عقيدته وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب بيت الصنم. وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهي عنها.))

<u>الشرح</u>

ذكر –رحمه الله تعالى– أولاً حكم هذه النذور في حق من تقرب بها والآن يذكر حكمها في حق السَدَنة الذين يقبضونها ويستلمونها من أربابها ظلماً وزوراً وباطلاً . قال : ((**وأما القابض للنذر**)) هم السَدَنة الذين حول القبور ،((**وأما القابض للنذر فإنه حرام عليه قبضه**)) لأن هذا المال يقبضه ويأكله سحتاً وحراماً ، قال : ((**فإنه حرام عليه قبضه لأنه أكل لمال الناذر بالباطل لا في مقابلة شيء**)) لم يأخذوا منه مقابل هذا المال عوض وليس أخذه عن تجارةٍ عن تراضٍ بينهما ،وإنما أخذ المال منه بلا عوض وبلا مقابل ، بل أخذه مقابل تغرير وإيقاع الجهال بالوقع في الشرك بالله ، فجنى السادن على هؤلاء أصحاب النذور جنايتين ، إذا كان شجعهم على ذلك وقبض منهم المال ، جنى عليهم جنايتين ، الأولى أخذ أموالهم وأكلها بالباطل ، التغرير بهؤلاء والتلبيس عليهم إلى أن وقعوا في الشرك بالله –سبحانه وتعالى– وكثيراً ما يمارس السدنة هذا التغرير ، فإذا جاء الإنسان وعرض على السادن حاجته ، قال له : كم من إنسانٍ جاءنا هنا وقرب قرباناً وقدم حصةً من ماله وكان مصاب بكذا ومصاب بكذا ومصاب بكذا ، وكلها انتهت ويبدأ يسوق له الحكايات المخترعة والأكاذيب إلى أن يغرره ، فيكون جنى عليه جنايتين ، الأولى أخذه لماله بالباطل ، الثانية التغرير به إلى أن يوقعه في الشرك بالله– سبحانه وتعالى– بتقديم

تلك النذور والقرابين ، ((**وقد قال تعالى**: ﴿ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**))ولا ريب أن هذا من أكل أموال الناس بالباطل ، بل هو من أشنع ما يكون في هذا الباب لأنه يأكل ماله بالباطل ويوقعه ف الشرك بالله – سبحانه وتعالى– ، يعني كأنها بصورة أخرى أو بصورة واضحة السادن كأنه قال : أعطني مالاً وأشرك بالله ، هذه خلاصتها ، كأنه قال أعطيني مالاً مقابل أن تشرك بالله ، فيعطيه مالاً مقابل هذا الشرك بالله –سبحانه – فجنى عليه جنايتين ، ((**ولأنه تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك**)) الواقع أنه ليس هذا فقط ، ليس تقرير للناذر على شركه وقبح اعتقاده ورضاه بذلك ، بل إن السادن في الغالب عمله أكبر من هذا ، ليس فقط تقريره إنما تغريره ، التغرير به واستدراجه واستجلابه ، حتى يقع في هذا العمل المنكر ، قال ((**ولا يخفى حكم الراضي بالشرك**)) والأنسب أن يقال: ولا يخفى حكم الداعي إلى الشرك والمغرر بالناس للوقع في الشرك ، ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ **فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي**،)) ((**حلوان الكاهن**)) هو المال الذي يأخذه الكاهن مقابل الكهانة ، ((**ومهر البغي**)) هو المال الذي تأخذه البغي مقابل وقوعها في الفاحشة والزنا ، ((**ولأنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولي ينفعه ويضره**.)) وهذه أكبر واحدة فيما ذكر –رحمه الله– أنه تدليس على الناذر وإيهام له أن الولي ينفعه ويضره ، وغالباً ما يمارس السدنة هذا الأمر التغرير والتدليس على الناذر وإيهامه أن الولي ينفعه ويضره ، قال : ((**فأي تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت؟ وأي تدليس أعظم؟ وأي رضا بالمعصية ابلغ من هذا؟ وأي تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذه الأسلوب**،)) أي أن شأن الجاهلية الأولى في تقديم النذور والقرابين هو نفس الأسلوب الذي يمارسه هؤلاء أخذوه عنهم شبراً شبراً ، ذراعاً ذراعاً ، حذو القذة بالقذة ، ((**يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر فينذر له جزوا من ماله ويقاسمه في غلات أطيانه**)) أي مزرعته وحديقته وبستانه ، ((**ويأتي به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ويوهمونه حقيّة عقيدته**)) لاحظ المفسدتين ((**فيقبضونه منه**)) أكل ماله بالباطل ((**ويوهمونه حقيّة عقيدته**)) أي صحة عقيدته وأن هذا الاعتقاد صحيح فيغررونه بالوقع في الشرك بالله –سبحانه وتعالى– فجمعوا بين جنايتين على الناذر ، ((**وكذلك يأتي بنحيرته فينحرها بباب بيت الصنم. وهذه الأفعال هي التي بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهي عنها**.)) .

قال المصنف–رحمه الله– :

((**فإن قلتَ: إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله! قلتُ: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان. فإن كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقية الأصنام. وهذا هدم للإسلام وتشييد لأركان الأصنام. والتحقيق أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد وقد مكن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه. وكذلك**

يدخل أجواف الأصنام ويلقي الكلام في أسماء الأقوام. ومثله يصنعه في عقائد القبوريين. فإن الله تعالى: قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد.)))

<u>الشرح :</u>

قال –رحمه الله– ((**فإن قلتَ: إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله))** هذه شبهة أيضاً يثيرها هؤلاء يقول بعضهم : أن بعض هؤلاء الذين يقدمون تلك النذور والقرابين قد يحصّل نفعاً ، يعني مثلاً امرأة لا تنجب ، وذهبت إلى قبرٍ من القبور وقدمت نذراً ثم قدر الله–سبحانه وتعالى– أن تنجب ، ماذا يكون على إثر ذك عن هؤلاء وعن أيضاً من يتأثر بمثل هذه المواقف ، ومثل هذا الاستدراج ، **{ ونستدرجهم من حيث لا يعلمون }** فيستدرج أمثال هؤلاء ويفتتنون بالقبور بسبب قصةٍ أو قصتين ، أو حوادث معينة وافق أن قدر الله –سبحانه وتعالى– حصول ما يؤمله الإنسان أو اندفاع ما كان يخشاه الإنسان ، فيبنون على ذلك صحة الاعتقاد في القبور ، والتوجه إليها ، يقول : ((**فإن قلتَ: إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر وبذله! قلتُ: كذلك الأصنام**)) أي كذلك الذين كانوا يتقربون للأصنام أحياناً يحصل شيء من هذا ، فهل حصول مثل ذلك في قصة أو قصتين أو أكثر أو أقل ، هل حصول مثل ذلك دليل على صحة العمل ؟ وهل هذا يعدُّ مقياساً لمعرفة صحة العمل ؟ الجواب : كلا ، ليس دليلاً ولا مقياساً ، مقياس صحة العمل موافقته للشرع وإذا قسنا هذه الأمور في شرع الله وجدنا النصوص البينة والدلائل الواضحة القاطعة أن هذا شركٌ بالله ، وكفرٌ به–سبحانه وتعالى– وأنه إنما بعث رسله أنبياءه لإبطال ذلك فإذن حصول شيء من هذه القصص ليس دليلاً ، قد يكون من باب الاستدراج ، وقد يكون من باب احتيال الشيطان ، مثل ما أشار المؤلف –رحمه الله– أن الشيطان يأتي إلى تلك الأضرحة أو كان أيضاً يأتي سابقاً إلى الأصنام ويدخل في جوف الصنم ويخاطبهم ، ويفتنون بمخاطبته ، تأتي المرأة وتقف ، وأريد كذا وأريد كذا ، وإذا انتهت خاطبها وقال : لكِ ما أردتِ أو أعطيناكِ أو نحو ذلك ، ثم تذهب وتستبشر وتدعو النساء الأُخريات ، وتقول إنه خاطبني ، وسمعت كلامه منه ووعدني فيفتنون بمثل ذلك ، قال : ((**قلتُ: كذلك الأصنام، قد يدرك منها ما هو أبلغ من هذا، وهو الخطاب من جوفها والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان**)) يعني عندما يقف عند الصنم يخبره بما يكتمه وذلك عن طريق القرين ، عن طريق قرين الإنسان فيخاطبه الشيطان من جوف الصنم بما في نفسه ، أو يخاطبه من جوف الضريح بما في نفسه ، يقول قبل أن يتكلم هذا بحاجته ، يقول أنت جئت من بلد كذا ، لحاجة كذا ويذهل الرجل ، ويفتن ، ثم يقول أعطيناك ما سألت أو رضينا قربانك ، شيء من هذا القبيل ، فيفتن الرجل بهذا الخطاب الذي يسمعه من جوف الصنم أ, من جوف الضريح ، قال : ((**والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان. فإن كان هذا دليلا على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها فليكن دليلا على حقية الأصنام))** إذا كان هذا دليل على صحة هذا العمل ، فليكن أيضاً دليلاً على صحة وأحقيّة عبادة الأصنام ، إذ لا فرق بين العملين ، هذا العمل وذاك واحد ، فإذا كان هذا الذي يقوله هؤلاء دليلاً على صحة هذا العمل –أي تعلق هؤلاء بالقبور– فليكن أيضاً دليلاً على صحة عبادة الأصنام ، فماذا يترتب على هذا إذاً ؟ قال : ((**وهذا هدم للإسلام وتشييد لأركان الأصنام. والتحقيق أن لإبليس وجنوده**

((**من الجن والإنس أعظم العناية في إضلال العباد**)) يعني لهم مكرٌ كبّار ، ودهاءٌ عظيم ، وتخطيطٌ متواصل ، ((**وقد مكن الله إبليس من الدخول في الأبدان والوسوسة في الصدور والتقام القلب بخرطومه**)) يعني يشام القلب ويلقي فيها من الشبهات والوساوس ، هذا من جهة ومن جهة ثانية قال : . ((**وكذلك يدخل أجواف الأصنام ويلقي الكلام في أسماع الأقوام**)) أي من جوف الصنم ،. ((**ومثله**)) أي هذا الصنيع ((**يصنعه**)) أي إبليس ((**عقائد القبوريين**)) يخاطبهم من جوف الضريح ويخبره بما في صدره ، يخبره بما جاء من أجله ، يخبره بأن حاجته قضيت، قُضيت فيفتتن الناس ، ويضلون عن سواء السبيل ، وهذا ما يريده منهم الشيطان الرجيم ، قال : ((**فإن الله تعالى**: **قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بني آدم وأن يشاركهم في الأموال والأولاد**.)) قال الله– تعالى–{ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً*إن عبادي ليس لك عليهم سلطان } قال أهل العلم في كتب التفسير [عباد الله المؤمنون المحافظون على الأذكار والتعوذات المأثورة ، المحافظون على فرائض الإسلام وواجبات الدين ليس للشيطان عليهم سبيل ، حماهم الله –عز وجل– منه ووقاهم وأعاذهم] { إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً } .

قال–رحمه الله– :

((**وثبت في الأحاديث الصحيحة "أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان ـ وهم الذين يخبرون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة**.،**ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون**: **إن الولي فعل وفعل**، **يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه**. **وترى العامةُ ملوك الأقطار وولاة الأمصار معززين لذلك ويولون العمال لقبض النذور وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي**، **فيتم التدليس لإبليس وتقر عينه بهذا التلبيس**.))

<u>الشرح :</u>

قال ((**وثبت في الأحاديث الصحيحة "أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان**)) جاء في الحديث أن الشياطين يصعد بعضهم فوق بعض إلى السماء الدنيا فيسترقون السمع ، فربما قذفوا بالشهاب قبل أن يأخذوا الكلمة ، وربما اختطفوا الكلمة و تناقلوها واحداً واحداً حتى يوصلوها إلى الكاهن ، الآن هم ماذا يفعلون بهذا الصنيع ، لنتفكر : يجتمعون ويصعد واحداً فوق الآخر ، واحداً فوق الآخر إلى السماء الدنيا ، وهم يعلمون أن هذا العمل مخاطرة شديدة ، ففيه شهب وفيه صواعق وفيه هلاك ، ولا يبالون يخاطرون في سبيل أن يظفروا بكلمة واحدة ينزلون بها ويضعونها في إذن الكاهن فيضل خلقٌ عظيم ، مخاطرة عظيمة يخاطرون بأنفسهم أرواحهم دون مبالاة في سبيل إيقاع الناس بالشرك بالله ، ولهذا هذه المخاطرة يكون لها أثرها على خلق من الناي لأن إذا قال الكاهن سيحدث يوم كذا وكذا ، سيحدث كذا يوم كذا وكذا ثم يقع ، قال – عليه الصلاة

والسلام – في الحديث يذكرون تلك المرة وينسون كذبة ، فتجد الناس دائماً يقولون أليس يوم كذا ذكر لنا كذا وكذا ووقع ، وكذبه كله ينسونه ، فيذكرون تلك المرة الواحدة وينسون كذبه في المرات الكثيرة ، قال : ((**وثبت في الأحاديث الصحيحة "أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذي يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان ـ وهم الذين يخبرون بالمغيبات ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة**.)) الكاهن عندما تأتيه مثل هذه يمزج معها مائة كذبة ، ثم المصيبة أن الناس ينسون كذبه كله ويذكرون تلك المرة الواحدة ،((**ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم فيقولون: إن الولي فعل وفعل**)) أي حصل على يديه كذا ، وأخبر بكذا ، ((**يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه**)) أي يجمعونهم بين الرغبة والرهبة ، الرجاء والخوف ، يرغبونهم فيه ويحذرونهم منه أي يجعلون في قلوبهم رغبة في الولي ، وخوف من الولي، فتجدهم يجتمع فيهم الأمران الرغبة فيه ، والرهبةُ منه ، مع أن الرغبة والرهبة عبادة لله { ويرجون رحمته ويخافون عذابه } { يدعوننا رغباً ورهباً } الرغبة والرهبة عبادة لاتصرف إلا لله–سبحانه وتعالى– الرجاء والخوف ، لكن هؤلاء بحيلهم ومكرهم يجعلون هذا الرجاء والخوف ، والرغبة والرهبة للأولياء ، وهذا هو خوف السر ، ورجاء السر ، ومحبة السر التي هي عبودية وذل لا يجوز أن يكون إلا لله – سبحانه وتعالى– قال : ((**وترى العامة**)) وهذا مما يزيد الطين بلة ، ((**وترى العامة ملوك الأقطار وولاة الأمصار معززين لذلك**)) أي يؤيدونه ومشجعين عليه ، ((**ويولون العمال لقبض النذور**)) يولون موظفين لقبض القبور ((**وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن**)) وهذا أيضاً قد يزيد البلاء ((**وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن من عالم أو قاض أو مفت أو شيخ صوفي**)) فقد يتولاها واحد ممن يحسنون فيه الظن فيزداد تمسك العوام والجهّال بذلك ، وحينئذٍ ماذا يكون قال : ((**فيتم التدليس لإبليس وتقر عينه بهذا التلبيس**.)) نسأل الله العافية . والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

شرح تطهير الاعتقاد

من أدران الإلحاد

للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه اللّه

من الدرس (٩) إلى الدرس (١١)

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله , صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المصنف – رحمه الله تعالى – : (**فإن قلت** : **هذا أمر عمّ البلاد واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد وطبّق الأرض شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً وجنوباً وعدناً بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها** ، **ويطوفون بفناء القبور ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين** ، **ويُلبسونها الثياب ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها** ، **وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها** ، **بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه أومشهد يقصده المصلون في أوقات الصلاة** ، **يصنعون فيه ما ذكر أو بعض ما ذكر** ، **ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ما ذكرت من الشناعة ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة في جميع جهات الدنيا** ، **قلت** : **إن أردت العدل والإنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل** ، **فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل** ،**ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دبير وقبيل** ، **ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه** ، **ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون إلى محل قبره ويلطخونه بتربته ويجعلونه طائفاً على قبره** ، **فينشأ وقد وقر في قلبه عظمة ما يعظمونه وقد صار أعظم الأشياء عنده ما يعتقدونه** ، **فنشأ على هذا الصغير وشاخ عليه الكبير ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير بل ترى ممن يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس أو الولاية أو المعرفة أو الإمارة أوالحكومة معظماً لما يعظمونه** ، **مكرماً لما يكرمونه** ، **قابضاً للنذور** ، **آكلاً لما ينحر على القبور** ، **فيظن العامة أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين والسنام**)

<u>الشرح</u> :

ذكر المصنف – رحمه الله تعالى – الإمام الصنعاني – هذه الشبهة التي ربما أثارها هؤلاء عندما تكشف شبهاتهم التي يتعلقون بها فيحتجون بالكثرة ويقولون : إنا إذا نظرنا في أنحاء البلاد وفي شتى الأقطار نجد أن هذا الأمر

منتشراً , والناس في هذا كثرة كاثرة أفيمكن أن يكون هؤلاء على خطأ ؟ وقد شاع في البلدان وانتشر في المدن والديار والقرى , أيمكن أن يكون خطأ ؟ فخلاصة استدلال هؤلاء واحتجاجهم هو الاحتجاج بالكثرة , ومن المعلوم أن الكثرة ليست مقياساً ولا معياراً لمعرفة حق من باطل , ولو كانت الكثرة معياراً ماذا يقول هؤلاء وقد قال الله – عز وجل – : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وقال : (وقليل من عبادي الشكور) , والآيات في هذا المعنى كثيرة , ماذا يقول هؤلاء وقد قال النبي – عليه الصلاة والسلام – : (يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ومعه الرهط , ويأتي النبي وليس معه أحد) فهل مع هذا تُعد الكثرة معياراً أو مقياساً توزن به الأمور ؟ الحقيقة أن المنصف يدرك أن الكثرة ليست معياراً , والمعيار موافقة الحق وإصابة الهدى ولو كان الإنسان وحده , ولو كانوا أهله قلة فالعبرة بموافقة الحق وإصابته والاهتداء بهدي النبي – عليه الصلاة والسلام – , فحاصل شبهة هؤلاء الاحتجاج بالكثرة ؛ ولهذا قال – رحمه الله – : (**فإن قلت** : **هذا أمر عمّ البلاد واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد**) الأغوار : ما انخفض من الأرض , والأنجاد : ما ارتفع , (**فإن قلت** : **هذا أمر عمّ البلاد واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد وطبّق الأرض شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً وجنوباً وعدناً بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها قبور ومشاهد وأحياء** – أي يُتعلق بهم –**يعتقدون فيها ويعظمونها وينذرون لها ويهتفون بأسمائها ويحلفون بها** ، **ويطوفون بفناء القبور**) إلى آخر ما ذكر , فهل هذا يُعد معياراً تُقوم به الأمور وتوزن به؟ ثم قال : (**بل هذه مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه أومشهد يقصده المصلون**) هذا الكلام إضافة إلى ما فيه من احتجاج لا أساس ولا أصل له , فيه أيضاً مبالغة ؛ عندما توصف ديار المسلمين أنها على هذا الحال , والحقيقة أن ديار المسلمين خالية من ذلك إلا مناطق معينة ومواضع معينة يُبتلى أهلها بمثل هذه الأعمال وإلا الغالب من فضل الله – سبحانه وتعالى – السلامة من ذلك , وإذا وازنت أو قارنت بين المساجد التي هي على الأساس وعلى الاستقامة وعلى البعد عن مثل هذه الانحرافات بالمساجد التي أقيمت على مثل هذا الباطل ومثل هذه الشركيات تجد أن المساجد السليمة من ذلك أكثر , لكن هذه مبالغة يقصد منها هؤلاء أن يُروجوا لهذا الباطل وأن يُروجوا لهذه الأعمال التي يمارسونها زعماً منهم أن أكثر مساجد المسلمين وأكثر أهل الإسلام على هذه الحال وهذا أمر يكذبه الواقع هذا من جهة ومن جهة أخرى ؛ استدلال – يعني حتى ولو كان الواقع يصدق ذلك – فهو استدلال لا أساس له لأن الكثرة ليست مقياساً وإنما المقياس موافقة شرع الله – عز وجل – وموافقة ما جاء عن رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – .

ثم قال – رحمه الله تعالى – في الجواب عن هذه الشبهة : (**إن أردت العدل والأنصاف وتركت متابعة الأسلاف وعرفت أن الحق ما قام عليه الدليل لا ما اتفق عليه العوالم جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل** ، **فاعلم أن هذه الأمور التي ندندن حول إنكارها ونسعى في هدم منارها صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد**

الآباء بلا دليل ،ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دبير وقبيل) يقول لو تأملت في هذا الذي تذكر وجوده بكثرة تجد أنه ليس قائم على أصول علمية ولا على صلة بكتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – ولا على صلة بهدي السلف الصالح – رضي الله عنهم وأرضاهم – وإنما هو أمر توارثه الجهال والعوام والطغام جيلاً بعد جيل وقبيلاً بعد قبيل ؛ توارثوا هذه الأمورالآباء على ذلك والآباء وجدوا آباءهم على ذلك وتوارثوا هذا الباطل , فتوارثهم لهذا الباطل وتكاثرهم نشوءاً عليه ليس هذا مقياساً و لاحجة في أن هذا الذي هم عليه حق وصواب , قال : (**ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه في الطفولية أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ويرحلون به إلى محل قبره ويلطخونه بتربته ويجعلونه طائفاً على قبره ، فينشأ وقد وقر في قلبه عظمة ما يعظمونه**) يعني هذا هو سبب انتشار هذه الأشياء , ليس سبب انتشارها أصول علمية صحيحة قامت عليها , أو دعوة سنية صحيحة كانت من وراء انتشارها , وإنما انتشار هذه الأشياء أن المساكين ينشأون على جهل ويُربون على الجهل ويُنشأون على الجهل ويتوارثون الجهل من الآباء والأجداد هذا سبب وجود ذلك , ليس وجود ذلك ناشيء عن دعوة صحيحة كانت من وراء انتشار هذه الأشياء وإنما هذه الأشياء توارثها الجهال والطغام والعوام وأشباه هؤلاء عن الآباء والأجداد , ويُلقن منذ الطفولة الارتباط والتعلق الباطل بالقبور ونحوها , قال : (**فينشأ وقد وقر في قلبه عظمة ما يعظمونه وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه**) يعني أعظم شيء في قلبه وله مكانتة في نفسه هذا الذي نشأ معظماً له , قال : (**فنشأ على هذا الصغير وشاخ عليه الكبير لا يسمعون من أحد عليهم من نكير**) انتبه لهذه الكلمة , يقول : (**لا يسمعون من أحد عليهم من نكير**) يعني منذ نشأ – تأمل عظم البلاء وعظم المصيبة – منذ نشأ وهو لا يسمع إلا هذا الأمر بين الآباء , بين الأجداد لا يسمع إلا هذا الأمر , لم يسمع يوماً من يدعوه دعوة صحيحة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له – سبحانه وتعالى – , ومن هذا القبيل أذكر قصة رويتها غير مرة وهي أني كنت مرة في مسجد من المساجد وإلى جنبي رجل من إحدى الدول فكنت أقرأ القرآن وكان هو يدعو ويبكي في دعائه حتى إن بكاءه كان مؤثراً , ورافعاً يديه , ثم رفع صوته قليلاً في الدعاء وإذا بهذا البكاء وهذا الخشوع وهذه المناداة توجه إلى غير الله بالدعاء , بكاء وخشوع وإلحاح وهو متوجه في ذلك إلى غير الله ؛ مدد يا فلان , الحقني ..الخ , استغاثة والتجاء ودعاء وتوجه إلى غير الله , فأخذته برفق وحادثته بهدوء , وأخذت أولاً أذكر له فضل الدعاء في الكتاب والسنة وفضل الخشوع في الدعاء والإلحاح , وأسوق له أدلة على ذلك , ثم انتقلت معه إلى خطوة ثانية وهي أن الدعاء لا يُقبل إلا بشروط وضوابط , وقلت له : أهم ضابط في باب الدعاء أن يكون لله وحده , وأن يُتوجه فيه إلى الله وحده وألاّ يدعى إلا الله وحده , وأخذت أسوق له آيات من القرآن مثل قوله – سبحانه وتعالى – : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وقوله : (قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) وقوله : (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة) وقوله : (ومن أضل ممن

يدعو من دون الله من لا يستجيب لـه إلى يوم القيامـة) وقولـه : (ومن يدعُ مـع الله إلهاً آخرلا برهان لـه فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) وسقت له آيات كثيرة وهو يستمع , ثم انتقلت إلى السنة ؛ وأخذت أسوق له أيضاً أحاديث كقولـه – عليـه الصلاة والسلام – : (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) , وقولـه – عليه الصلاة والسلام – لابن عباس : (احفظ الله يحفظك , احفظ الله تجده تجاهك , إذا سألت فاسأل الله , وإذا استعنت فاستعن بالله) وقلت لـه النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا جيء لـه بمريض قال : (اللهم رب الناس اذهب البأس , اشف أنت الشافي, لا شفاء إلا شفاؤك , شفاء لا يغادر سقماً) وأخذت أذكر له أمثلة من أدعيته – عليه الصلاة والسلام – ثم لما انتهينا أردت أن أطمئن أن الرجل فهم , استوعب الأمر أو لا فطرحت عليه سؤالاً , قلت له : ما رأيك – والسؤال فيه شيء من الخطأ , يعني تقرأ عليه آيات وأحاديث وتقول ما رأيك ؟ ليس للإنسان رأي أصلاً لكن من باب أطمئن طرحت عليه هذا السؤال – قلت لـه : ما رأيك ؟ فقال لـي كلاماً عجيباً , قال لـي : كيف تقول ما رأيك وأنت تقرأ عليّ آيات وأحاديث ؟ قلت له : اسمح لي , أنا سمعتك تقول في دعائك مدد يا رسول الله , أغثني يا رسول الله ولهذا أقول لك ما رأيك أمام هذه الآيات والأحاديث التي تنافي العمل الذي أنت عليه , فماذا قال لي ؟ قال لي : أنا من بلد كذا – سمّى لي بلده – ما أحد قال لي هذا الكلام , يعني رجل مسن ومنذ نشأ ولم يقل له أحد هذا الكلام يعني هذه الآيات ويوضح لـه هذا التوحيد وهذا الإخلاص وهذا التعلق بالله – سبحانه وتعالى – وحده , قال لي أنا من بلد كذا ما أحد قال لي هذا الكلام , وهذه مصيبة كثير من الناس أن ينشأ ويترعرع ويكبر ويهرم ويشيخ (**يشب عليه الصغير ويشيخ عليه الكبير**) – كما قال المؤلف – ولا يسمع من يبيّن لـه التوحيد الخالص والإخلاص لله – جل وعلا – في الدعاء , بل يُبتلى بأشياخ دعاة ضلال يُنشؤنه على التعلق بغير الله والتوجه في الدعاء و الطلب والسؤال لغير الله – سبحانه وتعالى – , فهذا قول المصنف – رحمه الله تعالى – : (**ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير**) يعني منذ ينشأ وهو ما سمع أحداً ينكر هذا أصلاً بل يسمع المؤيد والمشجع على هذا العمل , (**بل ترى ممن يتسم بالعلم ويدعي الفضل وينتصب للقضاء والفتيا والتدريس** ..) إلى آخر كلامه , يقول ترى ذلك وأمثال هؤلاء معظمين لهذه الأشياء , فإذا نشأ الناشيء بين مجتمع هذا شأنه وبين أناس هذه صفتهم وهذه حالهم , لاشك أن ذلك مدعاة لانتشار هذه الشركيات وشيوع هذه الأباطيل والمخالفات , قال يرى في هؤلاء : (**معظماً لما يعظمونه** ، **مكرماً لما يكرمونه** ، **قابضاً للنذور** ، **آكلاً ما يُنحر على القبور** ، **فيظن العامة أن هذا دين الإسلام**) وإذا سمعوا شخصاً يوماً من الأيام ينكر هذا قالوا : ينكر الإسلام وينكر دين الله , لأنهم نشأوا تنشئة , أفهموا أن هذا هو الإسلام وهذا هو دين الله – سبحانه وتعالى .

قال – رحمه الله – : (**ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ويعرف بارقة من علم الكتاب والسنة والأثر أن سكوت العالِم أو العالَم عن وقوع منكر ليس دليلاً على جواز ذلك المنكر**)

الشرح :

هذا أيضاً توضيح للأمر , يقول يعرف البصير والمتأمل أن السكوت ؛ سكوت العالِم أو العالَم أو سكوت الناس ليس دليلاً , يعني السكوت أحياناً يكون له أسباب , أحياناً يكون عن خوف ويخشى من تسلط العوام عليه وإذائهم له , وقد يكون بزعمه – مثلاً – يؤثر السلامة , وقد يكون يحابي ويجامل ولا يبالي , قد يكون له مطامع , قد يكون وقد يكون , السكوت ؛ مجرد السكوت ليس مقياساً , أحياناً يكون في الظاهر يُظن أنه ساكت ولكن في الباطن يناصح سراً ومجتهد في الإصلاح , فإذاً مجرد السكوت أيضاً هذا ليس مقياساً على صحة هذا الأمر وسيضرب لذلك أمثلة توضح , قال : (**ولنضرب لك مثلاً من ذلك** ؛ **وهي هذه المكوس المسماة بالمجابي المعلوم من ضرورة الدين تحريمها** ، **قد ملأت الديار والبقاع وصارت أمراً مأنوساً لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع وقد امتدت أيدي المكاسين في أشرف البقاع** ؛ **في مكة أم القرى يقبضون من القاصدين فريضة الإسلام ويلُقون في البلد الحرام كل فعل حرام** ، **وسكانها من فضلاء الأنام والعلماء والحكام ساكتون على الإنكار** ، **معرضون عن الإيراد والإصدار** ، **أفيكون السكوت من العلماء بل من العالِم أو العالَم دليل على حل أخذها وإحرازها** ؟)

الشرح :

هنا يذكر هذا المثال ؛ أخذ المكوس وأن هذا الأمر منتشر وهو يتحدث عن أمر في زمانه – رحمه الله تعالى – فيقول : (**هذه المكوس المسماة بالمجابي من المعلوم من ضرورة الدين تحريمها** ، **قد ملأت الديار والبقاع وصارت أمراً مأنوساً**) يعني أنسه وألفه الناس (**لا يلج إنكارها إلى سمع من الأسماع**) إلى آخر ما ذكر – رحمه الله – فهل شيوع ذلك – هذا استدلال المصنف – هل شيوع هذا الأمر وانتشاره دليل على صحة هذا الأمروأنه عمل سائغ ؟ فحتى وإن كان سكت مثلاً على ذلك من سكت أو لم ينكر ذلك أحد فعدم الإنكار قد يكون من ورائه أسباب ؛ إما الخوف أو الضعف أو المحاباة أو يكون أنكر سراً , فالشاهد أن انتشار مثل هذه الأمور لا يُعد مقياساً , وكم من أمور هي خطأ ومخالفة ويدرك الناس أنها خطأ تشيع وتنتشر فلا يُعتبر ذلك حجة على صحتها .

قال – رحمه الله – : (**بل أضرب لك مثلاً آخر** ؛ **هذا حرم الله الذي هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق وإجماع العلماء أحدث به بعض ملوك الشراكسة الجهلة الضلال هذه المقامات الأربع التي فرقت عبادات العباد واشتملت على ما لا يحصيه إلا الله – عز وجل – من الفساد** ، **وفرقت عبادات المسلمين وصيرتهم كالملل المختلفة في الدين** ، **بدعة قرت بها عين إبليس اللعين وصيرت المسلمين ضحكة الشياطين** ، **وقد سكت الناس عليها** ، **ووفد علماء الآفاق والأودال والأقطاب إليها** ، **وشاهدها كل ذي عينين وسمع بها كل**

ذي أذنين ، أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف ، كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين)

<u>الشرح</u> :

هنا يذكر مثالاً آخراً عن أمر كان موجود في زمانه ؛ وهو أن المسجد الحرام كان فيه أربعة محاريب , وكل صلاة ؛ الفجر و الظهر والعصر والمغرب والعشاء تقام في المسجد أربع مرات , محراب للأحناف ومحراب للحنابلة ومحراب للشافعية ومحراب للمالكية , ثم تقام الصلاة لهؤلاء فيصلون , ثم بعدهم تُقام صلاة المذهب الآخر فيصلون وهكذا , وهذا تمزق وتشرذم وفرقة وأمر ما أنزل الله به من سلطان , فكان أمراً موجوداً , يقول وكان الناس يأتون والعلماء يأتون ومن أيضاً وصفهم بقوله : الأبدال والأقطاب , هذه ألفاظ محدثة وألفاظ أيضاً تُبنى عليها أمور باطلة , والإمام الصنعاني – رحمه الله تعالى – في كتابه " الإنصاف في كرامات الأولياء وما لهم من الألطاف " بيّن أن هذه ألقاب محدثة وباطلة وبُني عليها أمور باطلة عند الطرقية ونحوهم لكنه هنا يذكر أنه يأتي كل أحد من علماء وغيرهم ولاسُمع أن أحداً أنكر ذلك مع أن الصحيح في زمانه وقبل زمانه وبعده العلماء نُقل عنهم الإنكار – أو عن بعضهم – إنكار ذلك ووجد من أنكر ذلك وبقي هذا الأمر , يعني أنشأه كما قال بعض ملوك الشراكسة الجهلة وجعل هذه المحاريب التي فرّقت ومزقت وشتت وجعلت الناس بهذه الصفة وبقي هذا الأمر إلى أن وحّد الله – سبحانه وتعالى – هذه البلاد بمنّه وفضله على يد الملك عبد العزيز – رحمه الله – وأزال هذه المحاريب وأراح الله – سبحانه وتعالى – به الأمة ؛ أمة الإسلام من هذا التفرق وإلا كانت مصيبة عظيمة وشر عظيم ؛ عند بيت الله الحرام وعند كعبة الله المسلمون على أقسام وعلى فرق وكل يصلي وحده , وتُقام الصلاة وهذا يجلس ما يصلي ينتظر مذهبه , فُرقة ما أنزل الله – تبارك وتعالى – بها من سلطان , فمن نعم الله – سبحانه وتعالى – العظيمة على الأمة أن جمع الناس عند بيته الحرام على إمام واحد بدل هذا التفرق وهذا التمزق الذي ما أنزل الله به من سلطان , الشاهد أن المصنف – رحمه الله تعالى – يحتج ويستشهد بهذا ؛ أن وجود هذا الأمر وانتشاره ليس مقياساً على أنه الحق بل هو أمر خطأ , وربما الناس الذين في ذاك الزمان ويمارسون هذه الطريقة في الصلاة – كلّ يصلي وحده – يظنون أنهم على الحق وأن هذا هو الصواب لكن نعمة الله علينا – نحن – عظيمة أن نشأنا ونرى المسلمين مجتمعين على إمام واحد , جماعة واحدة , ليس بينهم هذا التفرق وهذه من حسنات الملك عبد العزيز – رحمه الله تعالى وغفر له – , فالشاهد أن مثل هذه الاحتجاجات الذي يحتج بها هؤلاء وهو الكثرة أو الانتشار أو شيوع الأمر هذا ليس مقياساً , والأمر الذي يتحدث عنه المصنف هنا الآن كان هو الموجود في ذاك الزمان وفي ذاك الوقت والآن لا وجود له انتهى تماماً وتخلص الناس منه ولله الحمد فلا وجود له , فالشاهد أن شيوع الأمر وانتشاره ليس مقياساً , يعني أعيد مرة ثانية أو ثالثة ؛ كان هذا الأمر عند الكعبة , والناس يأتون ,

الحجاج والمعتمرين ..الخ , وإذا وصلوا عند الكعبة يجدون المسلمون كم جماعة ؟ أربع جماعات , وكل جماعة تصلي وحدها , أرأيتم الزائر والحاج والمعتمر إذا صلَى يومين أو ثلاثة أو أربعة أو أسبوعين ورجع إلى بلده , يرجع إلى بلده ومعه ماذا ؟ يرجع إلى بلده ومعه هذه الفرقة , يقول – مثلاً – نحن شافعية لن نصلي في بلدنا وراء أي إمام من مذهب آخر , فيرجعون إلى بلدهم والفرقة تجيء معهم وقد حملوها من عند الكعبة , فيكون هذا الأمر يُسهم في العالم في التفرق وهذه مصيبة عظيمة وكان هذا الأمر هو الموجود في ذلك الوقت , فهل وجوده وكثرته ورؤية الآتي إلى الحرم له بهذه الصفة هل هذا يُعد مقياساً على صحته ؟ وأنه هو الحق ؟ الجواب : لا , فإذاً شيوع مثل هذه الأمور وانتشارها من التعلق بالقبور والتوجه إليها وصرف العبادات لها ليس مقياساً ولا دليلاً على صحة هذا الأمر , يبقى المقياس دائماً وأبداً موافقة الأمر للكتاب والسنة ؛ فإن كان موافقاً للكتاب والسنة فهو الحق وإن كان مخالفاً لهما فهو الباطل (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) , وهذه الممارسات التي يمارسها هؤلاء إذا رُدت إلى الكتاب والسنة وجدنا أن حكمها في الكتاب والسنة أنها شرك وكفر وتعلق بغيره – سبحانه وتعالى – وجزء منها ممارسات بدعية ما أنزل الله بها من سلطان .

<u>تعليق على قوله : (أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟! هذا لايقوله من له إلمام بشيء من المعارف)</u> , يعني ذكر هنا أن العلماء كانوا ساكتين , هل كانوا فعلاً ساكتين ؟ أم وجد من العلماء من ذاك الزمان وقبله من أنكر ذلك ؟ , نستمع إلى هذا التعليق :

قال : (مقتضى هذا أن العلماء لم يستنكروا هذا , وهذا خلاف الواقع فقد قال العلامة قطب الدين الحنفي في الإعلام, بإعلام بيت الله الحرام : " إن تعدد المقامات في مسجد واحد باستقلال كل مذهب بإمام ما أجازه كثير من العلماء , وإن تعدد المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الإنكار, ولهم في ذلك رسالات متعددة باقية بأيدي الناس الآن " , " ولهم في ذلك رسالات ") يعني رسائل ومؤلفات , " متعددة باقية بأيدي الناس إلى الآن " فقول الإمام الصنعاني – رحمه الله – أنهم كانوا ساكتين هذا باعتبار ما بلغه , أما باعتبار الواقع فهناك رسائل ومؤلفات وكتابات وجهود من أهل العلم في زمانه وقبله وبعده في إنكارهذا الأمر .

((وإن علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك ,وخطأوا من قالوا بجوازه , أما إنكار المؤلف لهذا الصنيع فلاشك في وجاهته وقد برئت به ذمته كما برئت ذمة من سبقه من العلماء)) , يعني يمكن أن نقول أيضاً – وهذا من لطيف ما يقال – قوله : (أن العلماء سكتوا) نقول العلماء ما سكتوا بل تكلموا ومنهم الإمام الصنعاني – رحمه الله – ؛ تكلم وبيّن وبرأ ذمته بالكلام , وغيره من أهل العلم ممن لم يبلغه كلامه ولم يصل إليه كلامهم أيضاً تكلموا وأنكروا ذلك .

((فقد حصل بفضل الله ما تمنوه بعد استلاء الحكومة السعودية – حفظها الله – على الحرمين فقد أزالت هذه المقامات وجمعت المسلمين على إمام واحد في الصلاة , وفي هذا تنبيه على أن ما يسجله الدعاة من الحق إن لم ينتفع به معاصر – وهم معاصروهم – فسينتفع به من وفقه الله ممن يأتي بعدهم والله المستعان)) .

هذا الكلام الذي سمعناه كلام الشيخ اسماعيل الأنصاري – رحمه الله – .

((من أعظم حسنات الملك عبد العزيز– رحمه الله تعالى – أنه منذ بدأ ولايته قضى على هذا التفرق في الصلاة حول الكعبة وجمع الناس على إمام واحد يصلي بهم مجتمعين غير متفرقين)) هذا كلام الوالد – حفظه الله – ((وقد سمعت من الدكتور محمد تقي الدين الهلالي– رحمه الله – وهو ممن أدرك ذلك الوقت – يذكر أن واحداً ممن آلمه ذلك التفرق تحدث مع واحد من المتعصبين لذلك التفرق فكان جواب ذلكم المتعصب أن قال : الدليل على أنكم لستم على حق أنه ليس لكم مقام حول الكعبة , فكان جواب المنكر لذلك التفرق: يكفي المسلمين جميعاً مقام إبراهيم ولا يحتاجون إلى مقامات أخرى , وقال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في كتابه " تعليق المغني على سنن الدارقطني " : (ومنها – أي البدع – تكرار الجماعات بأئمة متعددة كما يُصنع الآن في الحرم الشريف) يعني في زمانه, يقول ذلك منكراً ويعده من البدع (فيقولون هذا المصلى للشافعي وهذا للحنفي وهذا للمالكي وهذا للحنبلي , ويسعون في تفريق الجماعة , قال القاضي الشوكاني في " إرشاد السائل إلى دليل المسائل " : (وإن من أعظمها خطراً وأشدها على الإسلام ما يقع الآن في الحرم الشريف من تفريق الجماعة ووقوف كل طائفة في مقام من هذه المقامات كأنهم أهل أديان مختلفة وشرائع غير مؤتلفة فإنا لله وإنا إليه راجعون)))

قال – رحمه الله – : (**فإن قلت يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة** ، **قلت** : **حقيقة الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أمر بعد عصره وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة** ، **وإن كان هذا قولاً باطلاً وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة** ، **فلا يرد السؤال فإن هذا الإبتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة وعلى ما نحققه فالإجماع وقوعه محال**)

<u>الشرح :</u>

ثم قال – رحمه الله – : (**فإن قلت يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة**) ، هذه أيضاً شبهة قد تذكر في هذا الباب , وجواب هذه الشبهة أن يُقال : ما الذي يثبت أنهم سكتوا ؟ ما الدليل على أنهم سكتوا ؟ وقد قال – عليه الصلاة والسلام – : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة) فالحق له دعاته وله أنصاره , فقول القائل أن الجميع كانوا ساكتين على هذا الأمر هذه دعوى لا

دليل عليها , دعوى عارية عن الدليل , ومرَّ معنا قريباً أن الصنعاني – رحمه الله تعالى – تحدث عن هذه الحادثة العظيمة وهي قضية المقامات وقال العلماء ساكتين , قال هذه الكلمة فيما يعلم هو لكن رأينا أن واقع الأمر خلاف ما يعلمه أو يذكره , العلماء أنكروا , ولهم رسائل ولهم كتب ونصوا على أن هذا من البدع ومن التفرق ومما لم ينزل الله – سبحانه وتعالى – بها من سلطان , ولهذا يكفي أن أقول في الإجابة عن هذه الشبهة أن يُقال : ما الدليل على أنهم سكتوا ؟ مع أن واقع الأمر خلال امتداد الأمة التاريخي تجد المؤلفات الكثيرة في نصرة التوحيد والعودة إلى العقيدة والتحرير من الشرك ولا يمر عليك قرن من القرون ولا زمان من الأزمنة إلا وفيه جهود عظيمة مبذولة في الدعوة إلى توحيد الله والتحذير من الشرك والتحذير من هذه الأباطيل , والكتب في ذلك كثيرة بل بعض الباحثين المعاصرين اجتهد في سرد مؤلفات أهل السنة عبر التاريخ في الدعوة إلى التوحيد ونصرة العقيدة والتحذير من الشركيات , فلا تجد وقتاً ولا قرناً من القرون ولا زماناً إلا وفيه علماء بذلوا , فقولهم أن الأمة اجتمعت وأنهم ساكتين هذا غير صحيح , هذا كلام لا مستند له ولا دليل عليه , فنقض هذه الشبهة يكون بهذا التقرير ليس في الخوض في قضية الإجماع وصحة الإجماع من أساسيه او من عدم صحتها , ولهذا الصنعاني – رحمه الله – جاء بكلام بعضه يُنتقد , لكن الجواب على هذه الشبهة أن يُقال أن دعوى هؤلاء أن ثمة إجماع ودعوى هؤلاء أن الكل ساكت هذه دعوى فجة ودعوة عريضة ولا أساس لها وليس هناك ما يصدقها فيكفي في ردها ذلك وإذا نظر المنصف في تاريخ أهل العلم في الدعوة إلى التوحيد والدعوة إلى الاعتقاد الحق ورد الباطل ينظر يجد الجهود الكبيرة , ولهذا يمكن أن يُقال لقائل هذه المقالة حدد لنا زماناً تدعي فيه هذا الإجماع وتدعي فيه هذا السكوت ونذكر لك في ذاك الزمان علماء بذلوا جهوداً كبيرة في نصرة التوحيد والتحذير من هذه الأباطيل , يقول – رحمه الله – : (**قلت** : **حقيقة الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – على أمر بعد عصره** ، **وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة** ، **وإن كان هذا قولاً باطلاً وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحق جاهلاً فعلى زعمهم لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة** ، **فلا يرد السؤال فإن هذا الإبتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة وعلى ما نحققه فالإجماع وقوعه محال**) **قال** : (**فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق وصارت في كل أرض وتحت كل نجم** ، **فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين وكثرة علماء المسلمين فإن دعواه كاذبة كما قال أئمة التحقيق**)

الشرح :

إن كان المقصود بهذا التقرير إبطال هذه الشبهة بنقض دعوى الإجماع عليها فهذا كلام في محله أما إذا كان المقصود نقض وجود الإجماع أصلاً واستحالته فهذا محل نظر , إن كان مراد المصنف نفي الإجماع مطلقاً ففيه

نظر, فإنه هو نفسه – يعني نفس الصنعاني – ينقل بنفسه في سبل السلام إجماع العلماء ولا يعترض عليه , وفي مواضع من كتابه "سبل السلام " ينقل إجماع أهل العلم , فإذاً كلامه هنا يُحمل على أن حكاية هؤلاء للإجماع :" اجمعت الأمة على هذا الأمر " هذه دعوى عارية عن الدليل ولا صحة لها بل هذا الباطل الذي يزعم هؤلاء أن الأمة مجمعة عليه ليس هناك إجماع عليه , بل من أهل العلم والدعاة الناصحين والفقهاء المحققين من أنكروا هذه على مد التاريخ وقد قال النبي – عليه الصلاة والسلام – : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم إلى قيام الساعة)

قال – رحمه الله تعالى – : (**ثم لو فُرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن إنكاره لما دلَّ سكوتهم على جوازه** ، **فإنه قد علم من قواعد الشريعة أن وظائف الإنكار ثلاثة** ؛ **أولها** : **الإنكار باليد ويكون ذلك بتغيير المنكر وإزالته** ، **ثانيها** : **الإنكار باللسان مع عدم الاستطاعة التغيير باليد**، **ثالثها** : **الإنكار بالقلب** : **عند عدم استطاعة التغيير باليد و اللسان** ، **فإن انتفى أحدها لم ينتفِ الآخر**)

الشرح :

هنا يذكر – رحمه الله – هذا الأمر على وجه التنزل ؛ يقول : (**لو فُرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه بل سكتوا عن إنكاره**) لا يعتبر هذا دليلاً , لو فرض , ومرَّ معنا أن هذا غير صحيح حتى هو – رحمه الله – قرر ذلك لكن لو فرض أنهم سكتوا ولم يُنقل إنكار لهم لذلك , هل هذا يُعد دليلاً ؟ يقول : (**لما دلَّ سكوتهم على جوازه** ، **فإنه قد علم من قواعد الشريعة أن وظائف الإنكار ثلاثة** ؛ **الإنكار باليد و ذلك بتغيير المنكر وإزالته** ، **والإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير باليد**، **و الإنكار بالقلب** : **عند عدم استطاعة التغيير باليد و اللسان** ، **فإن انتفى أحدها لم ينتفِ الآخر**) ، يعني أن انتفى الإنكار باليد فيكون الإنكار باللسان موجوداً , وإن انتفى الإنكار باللسان فيكون الإنكار بالقلب موجوداً , ومن الذي يدعي أنهم حتى بقلوبهم لم ينكروا ذلك ؟ وفي الحديث ؛ قال – عليه الصلاة والسلام – : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) في الحديث الآخر قال : (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) , فإذا انتفى مثلاً إنكار القلب لم ينتفِ إنكار اللسان , وإذا انتفى إنكار اللسان لم ينتفِ إنكار القلب ومن الذي يدعي أنهم لم ينكروا حتى بالقلوب أيضاً ؟

قال – رحمه الله – : (**ومثاله مرور فرد من أفراد علماء الدين بأحد المكاسين وهو يأخذ أموال المظلومين** ، **فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذي يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان**

، **لأنه إنما يكون سخرية لأهل العصيان فانتفى شرط الإنكار بالوظيفتين ولم يبقَ إلا الإنكار بالقلب الذي هو أضعف الإيمان** ، **فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً على الإنكار مع مشاهدته ما يأخذه ذلك الجبار أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه**)

الشرح :

هذا مبني على إحسان الظن بالمسلمين , وإحسان الظن بالفقهاء ,وعلماء المسلمين , ولا يجازف الإنسان ويسارع إلى الوقيعة والطعن ؛ لم ينكروا أو لم يُسمع منهم إنكار أو لا يوجد منهم إنكار أو نحو ذلك , فالإنكار له مراتب , فإذا عجز الإنسان عن الإنكار بيده والإنكار بلسانه وأنكر في قلبه برئت ذمته بهذا الإنكار , ولهذا الأصل أن يحسن الظن بأهل العلم ولا يُدعى مثل هذه الدعوى أنه لم يوجد إنكار أصلاً , قد تشيع بعض المخالفات في بعض البلدان ثم يقع بعض الجهال وبعض العوام في أهل العلم , ثم ما يدريك أيضاً أن هذا العالم أو ذاك الفقيه قد ناصح سراً أو سعى إلى تخفيف الأمر ؛ من أمر أشد إلى أمر أخف , ما يدريك ؟ هذه أمور لا يعلمها إلا الله – سبحانه وتعالى – ما يدريك أن له جهود في الدعوة السرية ؟ عملاً بقوله – عليه الصلاة والسلام – : (من كانت له حاجة – أي نصيحة – لذي سلطان فلا يبدها علانية) , (فلا يبدها علانية) ؛ يعني لا ينكرها علانية , أرشد إلى أن تكون النصيحة سراً , والمناصحة سراً تكون بين العالم وبين ولي الأمر, الشاهد أن هذا مثال لرد دعوى أولئك أن هذه لم ينكرها أحد , يأخذون من ذلك تصحيح هذا العمل وأنه لم يُنقل إنكار لأهل العلم لهذه الأمور , فهذه دعوى كاذبة – كما سبق – ولو فرض أن ثمة سكوت فهذا السكوت في إما هو في محيط الإنكار باليد أو في محيط الإنكار باللسان ومن الذي يزعم أنه ليس هناك إنكار في القلب لمثل هذه المنكرات ؟ ومن أنكر بقلبه لعدم استطاعته الإنكار باليد واللسان أدى وظيفته .

قال – رحمه الله تعالى – : (**فإن حُسن الظن بالمسلمين** ، **أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازم** ، **فالداخلون إلى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية التي فرقت شمل الدين وشتت صلوات المسلمين معذورون عن الإنكار إلا بالقلب كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين**)

الشرح :

هذا مثلما سبق على وجه التنزل وإلا مرَّ معنا نقول عديدة لأهل العلم في ذاك الوقت وبعده أنكروا ومنهم – كما قلت – الإمام الصنعاني – رحمه الله – أنكر , وكتابته في الإنكار موجودة وهذه هي أمامنا نقرأها , فالعلماء أنكروا , والكتب والمؤلفات و الرسائل هذه من وسائل الإنكار ؛ من وسائل إنكار المنكر وردّ الباطل , فالعلماء أنكروا ذلك لكن هذا جواب على وجه التنزل , ولهذا قدّم لهذا الجواب بقوله : (لو فرض) ثم ذكر هذا الجواب .

قال – رحمه الله تعالى – : (**ومن هنا يُعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم في بعض ما يستدلون عليه بالإجماع أنه وقع ولم يُنكر فكان إجماعاً ، ووجه اختلاله أن قولهم :" ولم ينكر" ، رجم بالغيب فإنه قد يكون أنكرته قلوبهم كثيرة تعذر عليها إنكارها باليد واللسان ، وأنت تشاهد في زمانك أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك وأنت منكر له بقلبك ويقول الجاهل إذا رآك تشاهده : سكت فلان عن الإنكار ، يقوله إما لائماً أو متأسياً بسكوته ، فالسكوت لا يستدل به عارف ، وكذا يعلم اختلال قولهم في الاستدلال : فعل فلان كذا وسكت الباقون فكان إجماعاً مختلاً من جهتين ؛ الأولى :دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان لما عرفت من دلالة السكوت على التقرير ، والثانية : قولهم : " فكان إجماعاً " فإن الإجماع اتفاق مجتهدي أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – والساكت لا يُنسب إليه وفاق ولاخلاف حتى يُعرب عنه لسانه ، قال بعض الملوك وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت : ما لك لا تقول كما يقولون ؟ فقال : إن تكلمت خالفتهم ، فما كل سكوت رضى فإن هذه منكرات أسسها من بيده السيف والسنان ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه وأعراضهم تحت قوله وكلمه ، فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد** ؟)

الشرح :

على كل حال , الذي ذكره المصنف – رحمه الله – فيما سبق فيه كفاية في إبطال هذه الدعوى ؛ دعوى السكوت , ويكفي أن يُقال في هذا الباب : ما الدليل وما المستند وما البرهان على أن الجميع سكتوا ؟ وأن السكوت على هذا الأمر طبّق الآفاق ؟ هذه دعوى لا مستند عليها وهي عارية عن الدليل , ومرّ معنا أمثلة يُقال فيها أن العلماء سكتوا والواقع يدل على خلاف ذلك , فيكفي في إبطال ذلك أن هذا الأمر ليس عليه دليل وليس له مستند .

قال – رحمه الله تعالى – : (**فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد ، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه غالب بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، إما على قريب لهم أوعلى من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير ، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شيّد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور وألقيت عليه الأوراد والزهور فيعتقدوا أن ذلك لنفع أو لدفع ضر ، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر وبفلان النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل ، ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية : اللعن**

على من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة فإن ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة)

الشرح :

ثم قال – رحمه الله – : (**فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد ، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه غالب** – أي وجودها – **بل كل من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، إما على قريب لهم أوعلى من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير**) هذا نشأتها , يعني هل نشأة هذه القباب مبني على مستند شرعي عن النبي – صلى الله عليه وسلم–؟ هل لها مستند ؟ الحديث والسنة الصحيحة الثابتة عنه – عليه الصلاة والسلام – ما جاء في حديث علي وغيره – قال : " بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ألاّ أدع قبراً مشيداً إلا سويته , ولا صورة إلا طمستها " , فهديه واضح – عليه الصلاة والسلام – النهي عن تشييد القبور ورفعها , والنهي عن إسراج القبور ووضع الستور عليها , هذا كله ثبت في السنة بالنهي عنه , فبماذا يُحتج ؟ هل يُحتج بواقع وجد في مناطق كثيرة من بلاد المسلمين؟ أو يُحتج بالدليل الصحيح وبالحديث الثابت عن الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – ؟ وعند جود خلاف في أمر ما , أيرجع الناس في الاستدلال عليه إلى السنة الصحيحة أو يرجعون إلى الواقع المُعاش ؟ والله يقول : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) , فالرد إنما هو إلى كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – , ثم ماذا ينشأ عن تلك القباب والأضرحة والأبنية ؟ ماذا ينشأ عن ذلك ؟ قال : (**ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات**) هذا في بدأ الأمر , يعني في أول ما يوضع – في بداية الأمر – يزورونه زيارة الأموات من دون توسل ولا هتف باسمه ولا دعاء ولا استغفار ؛ هذا بداية الأمر , وإذا انقرض هذا الجيل وجاء الجيل الذي بعده ما الذي يحدث ؟ قال : (**حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً شيّد عليه البناء**) غير القبور الأخرى , القبور الأخرى معروف هيأتها وصفتها , لكن يجد هذا القبر شيّد عليه البناء (**وسرّجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور وألقيت عليه الأوراد والزهور**) شموع وزهور وستور ويُطلى أيضاً بالذهب وهيئة فاخرة ومنظر يجذب العامي والجاهل , فإذا جاء العامي ووجد هذا الأمر هل سيتعامل مع هذا القبر مثلما يتعامل مع القبور الأخرى ؟ هل ستكون نظرته لهذا القبر مثل نظرته لتلك القبور ؟ الجواب : لا , سيُفتن , أضف إلى ذلك أن **السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضر** ودفع عن فلان كذا وجلب لفلان كذا , يشيعون مثل هذه الحكايات والأخبار فيجتمع على الجهال أمران ؛ هذه البنايات بهذه الصفة وسدنة من حوله يكذبون لترويج الباطل والدعوة إلى الضلال وحينئذ تهدم العقيدة ويهدم الإسلام وينتشر – والعياذ بالله – الشرك في العوام والطغام , قال :

(ولهذا الأمر ثبت في الأحاديث النبوية : اللعن على من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة فإن ذلك في نفسه منهي عنه ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة)

الهامش :

النهي عن البناء على القبور ثبت في صحيح مسلم , والنهي عن الكتابة رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم عن جابر – رضي الله تعالى عنه – وفي بعضها عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وروايته عن جابر مرسلة , وفي بعضها عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر , وفي جميعها عنعنة ابن جريج و أبي الزبير , وقد صححه الحاكم و الذهبي والألباني (أنظر أحكام الجنائز) , وليس في البناء والكتابة ذكر اللعن , وأما إسراج القبور فقد ورد فيه اللعن عند أبي داود وغيره من رواية أبي الصالح باذان عن ابن عباس وأبوصالح ضعيف , ويدل لتحريمه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وقوله – صلى الله عليه وسلم – : (كل بدعة ضلالة) .

الشرح :

أي في هذا الباب نوعان من الأدلة , هناك أدلة عامة في النهي عن الابتداع في الدين , (وأن كل بدعة ضلالة) , (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) , (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) , (كل بدعة ضلالة) , فمثل هذه الأعمال ؛ الإسراج على القبور , البناء عليها , الكتابة عليها ..الخ , كل هذه الأمور ليس لها وجود في هديه – عليه الصلاة والسلام – فتكون داخلة تحت قوله : (كل بدعة ضلالة) وتحت قوله : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) , وهناك أدلة خاصة في النهي عن تشييد القبور في حديث علي قال : (لا تدع قبراً مشيداً إلا سويته) , وأحاديث أيضاً في النهي عن الكتابة , النهي عن الإسراج , ورد في ذلك أحاديث خاصة , وابن القيم – رحمه الله تعالى – تكلم بتوسع وبفائدة عظيمة وبكلام ينبغي على طالب العلم أن يقف عليه في كتابه العظيم " إغاثة الهفان " . والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين , وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين – .

قال المصنف – رحمه الله - :

(**فإن قلت** : **هذا قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد عُمِّرت عليه قبه عظيمة أنفقت فيها الأموال قلتُ** : **هذا جهل عظيم بحقيقة الحال فإن هذه القبة ليس بناؤها منه – صلى الله عليه وسلم – ولا من أصحابه ولا من تابعيهم ولا تابعي التابعين ولا من علماء أمته وأئمة ملته بل هذه القبة المعمولة على قبره – صلى الله عليه وسلم – من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قالون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمانٍ وسبعين وستمئة ذكره في**(**تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**) **فهذه أمور دولية لا دليلية يتبع فيها الآخر الأول وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه لما عمت البلوى واتُبعت الأهواء وأعرض العلماء عن النكير الذي يجب عليهم ومالوا إلى ما مالت العامة إليه وصار المنكر معروفاً والمعروف منكراً ولم نجد من الأعيان ناهياً عن ذلك ولا زاجراً**)

الشرح :

لما أنهى – رحمه الله تعالى – الإجابة على أبرز وأهم الشبهات التي يثرها من يتعلقون بالقبور دعاءً ورجاءً وذبحاً ونذراً وغير ذلك من أنواع العبادة أتى إلى ذكر هذه الشبهة التي ربما أيضاً أثارها بعض هؤلاء وهي قولهم (**هذا قبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد عُمِّرت عليه قبة عظيمة أنفقت فيها الأموال**) أي أن هذا بزعم هؤلاء دليل على جواز ومشروعية البناء على القبور ورفع القباب عليها والأبنية العالية مع تزيينها وزخرفتها قالوا : هذا دليل على المشروعية ، ومن المعلوم لدى كل مسلم أن الاستدلال لا يستقيم إلا إذا أقيم على الدليل الصحيح وهو الذي لخص لنا في قوله – جل وعلا – : " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر " .

فلا يستدل بواقع معين على مشروعية العمل أو جوازه أو إباحيته وإنما الاستدلال يكون بقال الله قال رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهذه المسألة بعينها إذا عرضناها على السنة وتأملناها في ضوء هدي النبي – عليه الصلاة والسلام – ماذا نجد ؟ هل النبي – صلى الله عليه وسلم – شرع للأمة هذا ؟ وهل أذن لهم بالأبنية العالية والقباب

الرفيعة على القبور أم الذي جاء عنه النهي عن ذلك والمنع منه ؟ وعندما نطالع سنته – عليه الصلاة والسلام – نجد أنه ورد عنه في هذا الباب أحاديث عديدة تدل دلالة واضحة وصريحة على المنع من ذلك ، ومن ذلكم حديث أبي الهياج الأسدي وهو في صحيح مسلم قال : قال لي علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – : " ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ؟ ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبر مشرفاً إلا سويته " ؛ " ولا قبراً مشرفاً " : أي عالياً مرتفعاً بارزاً ، " إلا سويته " ، وجاء في الصحيحين من حديث عائشة وابن عباس – رضي الله عنهما – قالا : (لما نُزل برسول الله – صلى الله عليه وسلم – طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمَ بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : " لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر مما صنعوا) وثبت في صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه – أنه قال : سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك " .

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " والأحاديث في هذا المعنى عنه – صلوات الله وسلامه عليه – كثيرة وهذا المنع من ذلك كله حماية لحمى التوحيد وصيانة له وسد لكل ذريعة تفضي إلى الإشراك بالله – سبحانه وتعالى – .

ولهذا يقول العلامة ابن القيم – رحمه الله – في كلام له نافع في باب سد الذرائع في كتابه " إعلام الموقعين " وضرب على ذلك أمثلة عديدة ذكر منها هذا المثال، قال: "أن النبي – عليه الصلاة والسلام – نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد وعن الصلاة إليها وعندها وعن إيقاد المصابيح عليها وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيداً وعن شد الرحال إليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً والإشراك بها وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده " إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

إذاً الاستدلال في هذا الباب لا يكون بواقع الحال وإنما يكون بما صحّ عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومن يطالع سنته وهديه – عليه الصلاة والسلام – يجد عنه الأحاديث الصحيحة والنصوص الثابتة الدالة على المنع من ذلك فلا يصح أن يستدل بواقع .

ثم هذا الواقع أمره كما قال الصنعاني – رحمه الله – هذه القبة لم تبنَ في زمانه ولا أمر بها ولا أيضاً في زمان التابعين ولا في زمان أتباع التابعين وإنما بنيت في وقت متأخر.

قال – رحمه الله – : (**بنيت في عصر بعض ملوك مصر المتأخرين وهو قالون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ثمانٍ وسبعين وستمئة**) فهل يستدل بهذا أو يستدل بحديثه – صلوات الله وسلامه عليه – ولهذا من أراد أن يبني قبة على ضريح ويقول: الدليل وجود قبة على قبره – عليه الصلاة والسلام – يقال له : ليس هذا هو الدليل ، الدليل الأحاديث الثابتة عنه هو – صلوات الله وسلامه وبركاته عليه – ، ثم بعد ذلك انتقل – رحمه الله – إلى بيان أمور أخرى أو استدلالات أخرى تتعلق بهذا الباب .

ثم قال – رحمه الله - :

(**فإن قلت قد يتفق للأحياء أو للأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الأفعال يتسمون بالمجاذيب فما حكم ما يأتون به من تلك الأمور فإنها مما جبلت القلوب إلى الاعتقاد بها قلتُ** : **أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي فهم من أجناد إبليس اللعين ومن أعظم حُمر الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين فإن إطلاق لفظ الجلالة منفرد عن إخبار عنها بقولهم** : **الله** ، **الله** . **ليس بكلام ولا توحيد وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي ثم إخلائه عن معنى من المعاني ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يسمى بزيد وصار جماعة يقولون** : **زيد** ، **زيد لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ** . **ثم انظر هل أتي في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بإنفرادها وتكريرها أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل** ؟! **وهذه أذكار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق والنعيق الذي اعتاده من هو عن الله وعن هدي رسوله – صلى الله عليه وسلم – وسمته ودله في مكان سحيق**) .

<u>الشرح :</u>

ثم قال – رحمه الله – : (**فإن قلت قد يتفق للأحياء أو للأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الأفعال يتسمون بالمجاذيب**) يشير إلى ما ينتشر عند كثير من الطرقية أن ينحل بعضهم عن الاستمساك بهدي الإسلام وفرائضه وعن سمت أهل الدين ودلهم وهديهم المبارك إلى نوع من الشعوذة والدروشة ونوع من أيضاً خفة العقل وخفة التصرف ويسمون بالمجاذيب ، يسمون عند هؤلاء " المجاذيب " ويراد بالجذب أي أن عقله جذب ولهذا لا يلومون شخصاً هذه صفته على فعل لا يليق أو تصرف لا يصح من مسلم ، لا يلومونه يقولون فلان مجذوب ، وهو عندهم لا يلام على أي تصرف يقع منه ثم هؤلاء المجاذيب يزيد المصيبة أن بعضهم قد يصدر على يديه

بعض الخوارق مما تعينهم عليه الشياطين فتؤثر تلك الخوارق فيمن يراهم من العوام والجهال ويرون أن هذا دليل على ولايته وعظيم منزلته عند الله ولهذا يتبركون به حياً وميتاً ويقبلون عليه التماساً للبركة وطلباً للشفاء وغير ذلك ، فيقول إذا سألت عن هؤلاء المجاذيب ما حكمهم ؟ (**وما حكم ما يأتون به من تلك الأمور** ؟ **فإنها مما جبلت القلوب إلى الاعتقاد بها**) ؛ قلوب الناس ولاسيما العوام عندما يرون مثل هؤلاء تصدر على أيديهم خوارق للعادات يغترون بهم ويظنون أن هذا أمارة على أنهم من أولياء الله ، والمقربين عنده – سبحانه وتعالى – ، فيقول : (**إن سألت عن هؤلاء**) والمصنف – رحمه الله – له كتاب توسع فيه في الرد على الخرافات التي يتعلق بها هؤلاء سماه " الانصاف فيما للأولياء من الكرامات والإلطاف " و رد فيه على من يغلو في باب الكرامة ويدخل تحتها مثل هذه الشعوذة والخرافة والدجل الذي يغرر به العوام والجهال .

فيقول – رحمه الله – : (**أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم ويخرجونها عن لفظها العربي**) يعني طريقتهم في ذكر الله طريقة غير مشروعة ولا دليل عليها أصلاً في كتاب الله وسنة نبيه – عليه الصلاة والسلام – ما هي الطريقة ؟ قال : (**يلوكون بألسنتهم لفظ الجلالة**) أي : الله ، لفظ الجلالة مفرداً يلوكونه بألسنتهم ، يردد هذا اللفظ مرات وكرات ربما تبلغ المئات أو الآلاف يلوكه بلسانه لوكاً وبطريقة خاصة يُعرفون بها وبعضهم لا يذكر الله بلفظ الجلالة وإنما بالضمير (هو) يردد هذا الضمير مئات أو آلاف المرات ويزعمون أنهم بهذه الطريقة يذكرون الله – عز وجل – على أتم حال ، وربما قال بعضهم : " لا إله إلا الله " للعامة ، "والله الله " للخاصة و" هو " ذكر خاصة الخاصة . وربما قال بعضهم : " لا إله إلا الله " للمؤمنين ، و" الله " للعارفين ، ، و " هو " للمحققين .

ثم يمضون في مثل هذا الذكر الذي ما شرعه الله ولا فعله رسول الله –عليه الصلاة والسلام– ولا دليل عليه في الكتاب والسنة لأن عندنا قاعدة يا إخوان في باب الذكر والدعاء ، قاعدة متقررة معروفة عند أهل العلم وهو : أنه لا يوجد ذكر شرعي إلا في جملة تامة ، أما ضمير هذا لا يوجد في الأذكار ، ضمير يردد لا يوجد في الأذكار المشروعة أصلاً أو كلمة تردد لا يوجد هذا في الأذكار المشروعة ، يعني لا تجد في الذكرالمشروع إلا جملة تامة حتى في النصوص التي فيها الأمر بذكر اسم الله ، مثل في الذبيحة قال : " ولا تأكوا مما لم يذكر اسم الله عليه " ما طريقة ذكر اسم الله على الذبيحة ؟ هل يكفي أن يقول الذابح " الله " عند الذبح أو لا بد أن يأتي بالجملة التامة " بسم الله " هذه جملة تامة ، " سبح اسم ربك الأعلى " لا يأتي بالمشروع هنا إلا في جملة تامة : سبحان ربي الأعلى، " فسبح باسم ربك العظيم " سبحان ربي العظيم. ولهذا تجد أن الأذكار المشروعة لا تأتي إلا جملة تامة سبحان الله ، الحمد لله ، الله أكبر ، حسبنا الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، أعظم الكلمات : لا إله إلا الله ، وهكذا.

الأذكار المشروعة كلها لا تأتي إلا جملة تامة وهذا هو الكلام المفيد يعطي كلاماً مفيداً له معنى لكن لو أن رجلاً ردد لفظ الجلالة "الله" مئة مرة ، ألف مرة ، أكثر من ذلك أو أقل ماذا تكون هذه ؟ لما يرددها : الله الله ؟ ماذا تكون ؟

لا يتبين اعتقاد أو ذكر صحيح إلا إذا أضاف إليها بما تكون به جملة تامة فالله وحدها لا تكفي لتكون ذكراً لأن " الله " ممكن يضيف لها رجل فيقول الله أكبر وآخر يقول الله غير موجود ، فلا يظهر التوحيد والإيمان والتعظيم من هذا الاسم إلا بما يضاف إليه .

فإذا قلت الله أكبر، هذا تكبير وتعظيم لله، إذا قلت سبحان الله هذا تنزيه لله، إذا قلت لا إله إلا الله هذا توحيد لله، إذا قلت الحمد لله هذا ثناء على الله إذا قلت حسبنا الله هذا تفويض واعتماد على الله جمل تامة تعطي معانٍ، لكن إذا قال القائل الله، ماذا ؟! وأخذ يرددها الله الله الله ماذا؟! ماذا تريد بهذه الكلمة هل تريد توحيد ؟! هل تريد تعظيم ؟ هل تريد تكبير؟ هل تريد تفويض ؟ كل ذلكم لا يستبين إلا إذا أضيف لها بما تكون به جملة مفيدة ولهذا كانت الأذكار المشروعة كلها تعطي جملة مفيدة وفي الحديث: " أحب الكلام إلى الله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " وجميعها جمل مفيدة. لا إله إلا الله جملة تدل على التوحيد ، الله أكبر جملة تدل على التعظيم ، الحمدلله جملة تدل على الثناء على الله سبحانه وتعالى، سبحان الله تدل على تنزيه الله – جل وعلا – وهكذا الأدعية المأثورة عنه – عليه الصلاة والسلام – كلها لا تأتي إلا جملة مفيدة وتجد أن هؤلاء الذين يسمون بالمجاذيب يعرضون عن الذكر المشروع المفيد بجمله المفيدة العظيمة التي هي أعظم الجمل وأجلها وأنفعها على الإطلاق ثم يقتصر على لفظ الجلالة الله يردده مئات المرات، أو يردد الضمير "هو" عشرات المرات أو مئات المرات. وربما اجتمعوا هؤلاء جماعة وبصوت واحد يذكرون الله بهذا الضمير هو بصوت واحد يبدأون يرددون الضمير بصوت واحد.

أحد هؤلاء الذي منه الله – سبحانه وتعالى – عليه بالهداية وتاب من ذلك ورجع إلى السنة القويمة والهدي المستقيم يحدثني شخصياً يقول كنا مجتمعين في الصباح الباكر في يوم ما من الأسبوع في بستان ، يقول جماعة كبيرة ونبدأ نذكر الله بالضمير الذي هو ذكر خاصة الخاصة بزعمهم ، أو ذكر المحققين بزعمهم ، يقول نأتي بالضمير بصوت واحد وأداء واحد وطريقة واحدة ، يقول لي لو كان هناك رجل وراء الجدار يسمع الصوت ولكنه لا يرى الأشخاص بدون أن يرى الأشخاص فقط يسمع الصوت يقول : والله الذي لا إله إلا هو لا يعتقد أن الذين وراء الجدار من بني آدم يقول ونحن بزعمنا أننا نذكر الله بأفضل ما يكون وعلى أفضل طريقة وعلى أحسن حال وهذا كله من تلاعب الشيطان بالإنسان يجعله يضيع في متاهة هذا النوع وهذه الخرافة وهذا الباطل وينشغل عن الأذكار المشروعة التي جاء فيها من الفضل العظيم مالا يحصيه إلا الله يشغلهم عن الذكر المشروع إلى كلام أو ألفاظ هذا شأنها ، وبعضهم يضيف إلى اسم الجلالة أسماء أخرى لله – جل وعلا مثل اسمه اللطيف ويحددونه بأرقام كبيرة

جداً يواظبون عليها كل يوم أحياناً آلاف كما أخبرني بعضهم ، يقول إن الشيخ يعطينا وظيفة اللطيف ويعطينا آلاف ، أرقام آلاف ، يقول وأجلس الصباح الباكر ومعي سبحة بألف خرزة يقول وأجلس أردد اللطيف اللطيف بالعدد الذي أعطاني الشيخ وإذا أنهيت الوظيفة أعطاني وظيفة أخرى ضياع !!

بينما النبي – عليه الصلاة والسلام – قال " ألا أدلكِ على أربع كلمات لو قلتهِنَّ لكانت بوزن ما قلته – أو كما جاء في الحديث – سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته " جمل تامة تدل على أعظم المعاني يقولها المسلم ثلاث مرات في الصباح الباكر وتكون له ذكراً مضعفاً وهذا الذي يعد اسم الله اللطيف آلاف المرات لا يؤجر على ذلك لماذا لا يؤجر ؟ لأن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " أين في القرآن أو السنة أو في فعله – عليه الصلاة والسلام – أن يُردد اسم من أسماء الله آلاف المرات أو عشرات مرات وقبل فترة أحد الأشخاص أخرج نشرة ووزعت وتناقلها عدد من العوام وأخذ بعضهم يعمل بها دون وعي أخرج نشرة فيها أسماء لله – جل وعلا – وخصائص لتلك الأسماء بزعمه ، فيقول مثلاً في تلك النشرة : من يشتكي من مرض الرمد يردد اسم الله البصير ويضع رقم مائة وعشرين مرة ، آلام الظهر يقرل يردد اسم الله الجبار ويعطي رقم ، وآلام كذا .. وكل نوع من الآلام ونوع من الأمراض يخصص له اسم ويخصص له أرقام ويبدأ هؤلاء المرضى بدل أن يشتغل " اللهم رب الناس مذهب الباس اشفِ أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً " بدل أن يدعو الله بهذه الأدعية ويقرأ القرآن ويستشفي بالقرآن يشتغل بترداد هذه الأسماء فكل يشتغل باسم معين ويردده ، فيكون جنى عليهم جنايتين الأولى : شغلهم عن الذكر المشروع والدعاء المأثور والثانية : أوقعهم في هذه الخرافة التي ما أنزل الله بها من سلطان ولا دليل عليها في هدي النبي الكريم – عليه اللاة والسلام – .

فالشاهد أن هؤلاء الذين يسمون بالمجاذيب هذه طريقتهم في الذكر كما وصف المؤلف – رحمه الله تعالى – يقول : (**يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم** – أي لفظة الجلالة - **ويخرجونها عن لفظها العربي**) الله لفظة عربية واضحة لكن يخرجها من فمه بطريقة تخرج عن لفظها العربي وخاصة عندما يستمر في ترداد هذه الكلمة يلوكها بلسانه يرددها يشبك الأولى بالثانية بالثالثة بالرابعة بطريقة تخرج عن لفظها العربي .

قال عن هؤلاء : (**فهم من أجناد إبليس اللعين**) لماذا قال المصنف – رحمه الله تعالى– هذه الكلمة ؟ لأن هذا الذي يعمله هؤلاء ليس من وحي الله ، أفي الكتاب والسنة دليل على ذلك ؟ أبداً من يطالع أدلة الكتاب والسنة في باب الأذكار والدعوات لا يجد أي شيء يدل على هذا العمل بل هناك أدلة كثيرة تدل على فساد هذا العمل كحديث : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا " وحديث " إياكم ومحدثات الأمور " وقوله " وكل بدعة ضلالة " ونحو ذلك من الأحاديث .

فإذا لم يكن من وحي الله – سبحانه وتعالى – فهو من وحي من ؟ ولهذا قال – رحمه الله – (**فهؤلاء من أجناد إبليس**) أي لأن إبليس شغلهم بمثل هذه الكلمات عن ذكر الله – سبحانه وتعالى – بما شرع – عز وجل – وأذن لعباده .

قال : (**ومن أعظم حمر الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين**) لأن مظهره عند الناس مظهر الولي مظهر صاحب الكرامات ، لكن حقيقة أمره وحقيقة حاله البعد عن دين الله – سبحانه وتعالى – وصراطه المستقيم .

قال : (**فإن إطلاق لفظ الجلالة منفرداً عن إخبار عنها بقولهم " اللّه اللّه " ليس بكلام ولا توحيد**) هذه قاعدة الآن ، هذه قاعدة مفيدة في باب الأذكار يقول : (**فإن إطلاق لفظ الجلالة منفرداً عن إخبارٍ عنها بقولهم " اللّه اللّه " ليس بكلام ولا توحيد**) إذن متى يكون لفظ الجلالة يدل على التوحيد أو يدل على التحميد أو يدل على التنزيه أو يدل على التعظيم ؟ متى يكون دالاً على ذلك ؟

إذا أخبر عنه كأن تقول الله أكبر أو تقول : سبحان الله ، أو تقول : الحمد لله ، أو تقول : لا إله إلا الله ، أو تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله وهكذا ..

فكلمة الله ، أو لفظ الجلالة " الله " لا تدخل في باب الذكر إلا إذا ضم إليه ما يعطي جملة مفيدة ..

قال : (**ليس بكلام ولا توحيد**)

قوله : (**ليس بكلام**) قوله : " الله " هذه ليست بكلام ، ماذا قالوا في كتب النحو في تعريف الكلام ؟ الكلام لا يكون إلا ما يفيد ، يعني الكلام لا يكون كلاماً إلا إذا كان في جملة مفيدة : كلامنا لفظ مفيد .

إذا أعطى الكلام لفظاً مفيداً إما بمبتدأ وخبر أو فعل وفاعل أو نحو ذلك يكون كلاماً مفيداً أما لفظ يذكر وحده أو حرف جر يذكر وحده أو ضمير يذكر وحده هذا في لغة العرب لا يسمى كلاماً مفيداً .

وفي الشرع لا يعطي معنى التوحيد ولا يعطي معنى تعظيم ولا يعطي معنى تحميد ولا يعطي معنى تكبير إلا إذا كان في جملة مفيدة ، هذا معنى قوله – رحمه الله – (**ليس بكلام ولا توحيد وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني**)

(**ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني**) أي إخلاؤه عن معنى التعظيم في قولنا : "الله أكبر" وعن معنى التوحيد في قولنا " لا إله إلا الله " ، وعن معنى التنزيه في قولنا " سبحان الله" وعن معنى التفويض والاستعانة في قولنا " لا

حول ولا قوة إلا بالله " وهكذا ، قال : (**ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني**) ثم ضرب مثالاً : (**ولو أن رجلاً عظيماً صالحاً يسمى بزيد وصار جماعة**) يعني جاء جماعة عنده وأخذوا يقولون زيد ، زيد ، زيد يرددونها يرددون اسمه عشر مرات أو مئة مرة أو ألف مرة : زيد ، زيد يرددون (**لعدّ ذلك استهزاء وإهانة وسخرية**) بل أنا أقول لكم لو أن بعض هؤلاء الذين يذكرون الله بهذا الذكر قابله شخص ووقف عنده وأخذ ينادي اسمه وليكن اسمه مثلاً سالم ، وأخذ ينادي : سالم سالم سالم ، يرددها ماذا يقول ؟ يغضب يقول أيش هذا تكرر اسمي بهذه الطريقة وماذا يفيد تكرار اسم بهذه الطريقة ؟ ماذا تريد أنت الآن تنادي اسمي ماذا تريد ؟ عشر مرات تنادي اسمي ماذا تريد ؟ مئة مرة سمعتك تنادي اسمي ماذا تريد ؟

فيقول له : ألا تستحي في ذكرك الله تنادي اسم الله : الله الله آلاف المرات ولا تضم إلى ذلك ما يدل على توحيد أو تعظيم أو تمجيد أو تكبير أو غير ذلك من المعاني العظيمة التي جاءت في شرع الله ، قال : (**ولا سيما إذا زادوا إلى ذلك تحريف اللفظ**) أي أن هؤلاء جمعوا بين إساءتين : الإساءة الأولى أنه يردد الاسم وحده والإساءة الثانية أنه يلوكه بلسانه ويخرجه عن لفظه فوقعوا في إساءتين في هذا الباب .

قال : (**ثم انظر هل أتي في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بإنفرادها وتكريرها**) يعني هل تعرف دليل في القرآن أو السنة يدل على مشروعية ذكر لفظ الجلالة الله وحدها ؟ هل هناك دليل ؟ (**أو الذي في الكتاب والسنة هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل** ؟!) – كما ذكرت – في جملة مفيدة ؟

التوحيد : لا إله إلا الله ، التسبيح : سبحان الله ، التهليل : لا إله إلا الله ، التحميد : الحمد لله ، التكبير والتعظيم : الله أكبر، كلها جمل مفيدة ، فلا يوجد في الأذكار المشروعة لفظ الجلالة يذكر مرة مفرداً أو مرات كثيرة .

بعض المتأخرين حاول أن يستدل لذلك بقول الله – سبحانه وتعالى – : " قل الله ثم ذرهم " قالوا : هذا يفيد مشروعية ذكر الاسم مفرداً وحده بدون أن يضاف له شيء ، فيقال لهم : تأملوا الآية هل هي تدل على ما تشيرون إليه أم تدل على خلاف ذلك ؟

قوله : الله في هذا السياق " قل الله " هل جاءت في موضع الدلالة على جملة مفيدة أو جاءت لفظة مفردة ليست دالة على كلام أو معنى مفيد ؟ يتضح ذلك إذا نظرت في الآية من أولها وهو قوله – سبحانه وتعالى – : " قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى " ثم في السياق قال : " قل الله " ، قوله : " قل الله " هذه جملة مفيدة مكونة من مبتدأ وخبر ، المبتدأ: الله والخبر ماهو ؟ " الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى " حذف الخبر للعلم به من السياق ، فقوله : " قل الله " أي قل الله الذي أنزل الكتاب ، إذا قالوا من الذي أنزل الكتاب : قل الله ، حذف الخبر للعلم به من السياق أي : قل الله الذي أنزل الكتاب فهذه جملة مفيدة .

فيأتي هؤلاء ويستدلون بها استدلالاً في غير بابه ولهذا خلاصة القول : هؤلاء إن استدلوا على عملهم بنص ثابت فاستدلالهم في غير بابه كما هنا ، وإن استدلوا بحديث صريح في عملهم فهو حديث لا يصح مثل الحديث الذي يزعمون فيه أن النبي – عليه الصلاة والسلام– لقن علي – رضي الله عنه – ذكر الله بلفظ الجلالة ، لقنّه أن يقول "الله ، الله" فرددها علي ، هذا الحديث مختلق ويوردونه في كتبهم كثيراً فمثل هذه الأباطيل والأكاذيب لا يصح أن يستدل وليست حجة وكتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ليس فيهما في باب الأذكار إلا جمل مفيدة تدل على تعظيم الله أو تسبيح الله أو توحيد الله أو تفويض الأمر إلى الله أو نحو ذلك مما هو معلوم من الأذكار المشروعة في كتاب الله – عز وجل – .

قال : (**وهذه أذكار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية من هذا**) يعني خالية من هذه الممارسات التي يفعلها هؤلاء .

قال – رحمه الله - :

(**ثم قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر والعيدروس بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون إلى أهل القبور من الظلم والجور كعلي رومان وعلي الأحمر وأشباههما وقد صان الله – سبحانه وتعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة الضلال فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر**)

الشرح :

قال : (**ثم قد يضيفون**) يعني في أذكارهم المحدثة المبتدعة (**قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة**) يعني إلى ترداد لفظ الجلالة مرات كثيرة (**قد يضيفون إليه أسماء جماعة من الموتى**) وهذا أيضاً يكون من جملة الوظيفة عندهم ومن جملة ما يمارسونه في باب الدعاء (**قد يضيفون إلى الجلالة الشريفة أسماء جماعة من الموتى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين وعبد القادر**- أي الجيلاني - **والعيدروس**) وهذا معروف عند هؤلاء بل إن بعض هؤلاء يجعل هذا من جملة وظيفته الراتبة كل يوم ذكر أسماء هؤلاء أو الهتف والمناداة بأسماء هؤلاء .

قال : (**بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون إلى أهل القبور**) يعني عندما يصاب الواحد منهم بكرب أو شدة يفر إلى أهل القبور (**من الظلم والجور كعلي رومان وعلي الأحمر وأشباههما**) يفرون إليهم طلباً للنجدة والإغاثة وكشف الكربة وأمور من ذلك لا تطلب إلا من الله – عز وجل – " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف

السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله " قال : (**وقد صان الله – سبحانه وتعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأهل الكساء** –يعني أهل البيت – **وأعيان الصحابة عن إدخالهم في أفواه هؤلاء الجهلة**) أي صانهم عن أن يهتفوا بأسمائهم مثل اسم النبي – عليه الصلاة والسلام – أو علي أم الحسين أو فاطمة أو مثلاً أبي بكر – رضي الله عنه – أو عمر ، وإدخال أسماء هؤلاء في أفواه أولئك لا يضر الصحابة ولا يضر آل البيت وقد يقع ، قد يقع مثل هذا قد يدخل هؤلاء أسماء هؤلاء – يعني النبي – عليه الصلاة والسلام – وآل البيت والصحابة في باب الاستغاثة التي هي ليست إلا لله فلا يضر النبي – عليه الصلاة والسلام – ذلك ، ولا يضر آل بيته ولا يضر صحابته لأنهم على إنكار ذلك وإبطاله وإنما تضر هذه الأعمال فاعليها والقائمين بها والمباشرين لها فيجمعون أنواعاً من الجهل والشرك والكفر .

قال – رحمه الله تعالى - :

(**فإن قلت أنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون لفظ الجلالة ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم بالآلات الحادة** .

وحملهم لمثل الحنش والحية والعقرب وأكلهم النار ومسهم إياها بالأيادي وتقلبهم فيها في الأجساد ، **قلت** : **هذه أحوال شيطانية وإنك لملبَّس عليك أن ظننتها كرامات للأموات أو حسنات للأحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم وجعلهم أنداداً لله – سبحانه وتعالى – في الخلق والأمر** ، **فهؤلاء الموتى أنت، تفرض أنهم أولياء الله تعالى**)

<u>الشرح :</u>

ثم قال – رحمه الله تعالى – (**فإن قلت أنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون لفظ الجلالة ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة**)

(**أهل الخلاعة**) أي الذين يمارسون بعض الفواحش ، (**وأهل البطالة**) أي العاطلين عن القيام بالفرائض والواجبات الدينية ، (**ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات**) يعني يقول : كيف تقول في مثل هؤلاء ؟! يعني نراهم فعلاً يلوكون لفظ الجلالة وأيضاً يعملون أعمالاً هي أعمال أهل الخلاعة والبطالة يقول نحن أيضاً في الوقت نفسه نرى يظهر على أيديهم خوارق للعادات تظن كرامات ، (**كطعن أنفسهم بالآلات الحادة**) يعني يكون بيده مثلاً سكين ويطعن السكين في صدره بمرأى من الناس أو يحمل بيده الحنش والحية والعقرب يأتي بحيات ملفوفة على رقبته وفي جيبه عقارب ويأتي أمام الناس ويقول أنا

ولي من أولياء الله وهذه الحيات وهذه العقارب ولا تقرصني أنا من أولياء الله المقربين ، أو يأتي بنار ويضعها في جوفه ويخرجها من جوفه ويقول هذه النار تخرج من جوفي دليل على أني من أولياء الله **(وأكلهم النار ومسهم إياها بالأيادي وتقلبهم فيها في الأجساد)** هذه الخوارق يذكرونها على أنها من خوارق العادات .

وشيخ الإسلام ابن تيمية في زمانه وقعت له مناظرة مع بعض هؤلاء في مجلس ، وأحدهم قال مبيناً بزعمه أنه من الأولياء ، قال – مستدلاً على ذلك – قال : أنا أستطيع أن أدخل النار تشعلون ناراً وأستطيع أنا أن أدخلها ، ماذا يقصد بقوله : أستطيع أن أدخل النار ؛ يعني أنه دليل على أنني ولي من أولياء الله أن النار لا تحرقني أستطيع أن أدخل النار ، يقول ابن تيمية فقلت له : أنا أوافق على ذلك وأريد أن تضع اصبعك فقط ليس جسمك كله ولكن قبل ذلك نريد أن نغسل إصبعك بمادة ذكرها – رحمه الله – ، لأنهم يضعون مواد على أجسامهم تحمي – بإذن الله – من تأثير النار على البدن فقال : نريد أن نغسل إصبعك بمادة – ذكرها شيخ الإسلام – قال : لا تضع جسمك كله فقط إصبعك تدخله في النار، فامتنع الرجل ، لأن ابن تيمية يعرف حيل هؤلاء ومكرهم وتلبيسهم على العوام ، قال : لا تدخل جسمك فقط إصبع واحد نريد أن نغسله بمادة كذا وضعه في النار توافق ؟ قال : لا ، امتنع الرجل .. فهؤلاء لهم حيل من جهة ، ومن جهة أخرى الشياطين تعينهم على ذلك ليضلوا الناس عن دين الله – تبارك وتعالى – ، الشاهد يقول : إذا قال القائل ماذا تقول في مثل هذه الأمور ، قال : **(قلت** : **هذه أحوال شيطانية وإنك لملبس عليك أن ظننتها كرامات للأموات أو حسنات للأحياء لما هتف الضال بأسمائهم وجعلهم أنداداً لله – سبحانه وتعالى – في الخلق والأمر** ، **فهؤلاء الموتى أنت** ، **تفرض أنهم أولياء الله تعالى)** يعني وهم يمارسون هذه الممارسات، **ثم يبين – رحمه الله- فيقول** : (**فهل يرضى ولي الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكاً له تعالى ونداً إن زعمت ذلك فقد جئت شيئاً إداً وصيرت هؤلاء الأموات مشركين وأخرجتهم وحاشاهم بذلك عن دائرة الإسلام والدين حيث جعلتهم أنداداً لله** ، **راضين فرحين وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين في بحار الرذائل الذين لا يسجدون لله سجدة ولا يذكرون الله وحده فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين وللمجانين وهدمت بذلك ضوابط الإسلام وقواعد الدين والشرع المتين**)

الشرح :

هذا الذي ذكره الإمام الصنعاني – رحمه الله تعالى – من أجود ما يكون في إبطال هذه الشبهة , وهو كلام متين ونافع جداً ولنتأمله أيها الإخوة جيداً .

الآن لنتصورالأمر في طريقة استدلال هؤلاء ، هم يقولون عن هؤلاء الموتى إن عندهم خوارق للعادة وكان من حالهم كذا وكذا وكذا ثم يهتفون بهم في الشدائد ويدعونهم من دون الله , فماذا يقول الصنعاني ؟، يقول: هؤلاء المقبورين الذين تزعمون لهم هذه الخوارق ، – عندهم هذه الخوارق – وتهتفون بهم في الشدائد يقول أنا أسألكم إن كانوا فعلاً أولياء لله كما تزعمون هل يرضون أن يُدعو من دون الله ؟ هل يرضون بذلك ، أن يُدعو من دون الله ؛ أن يُستغاث بهم من دون الله ؛ أن يُلتجىء إليهم من دون الله كما تفعلون ، هل يُرضون ذلك (**أن يجعله المجذوب أو السالك شريكاً لله إن زعمت ذلك فقد جئت شيئاً إداً وصيرت هؤلاء الأموات مشركين**) لماذا صيرهم مشركين ؟ لأنه زعم أنهم يرضون أن يدعو من دون الله – تبارك وتعالى – فصيرهم – هؤلاء – بذلك أنداداً لله – سبحانه وتعالى – ، وشركاء لله (**فقد صيرتهم مشركين وأخرجتهم عن دائرة الإسلام والدين حيث جعلتهم أنداداً لله راضين فرحين وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضالين المشركين التابعين لكل باطل المنغمسين في بحار الرذائل**) إلخ كلامه .

فماذا يقول ؟ إن قال نعم , هم يرضون بذلك فقد صيرهم مشركين , وإذا صيرهم مشركين يقول المؤلف (**فإن زعمت ذلك**) ؛ يعني إن زعمت أنهم يرضون ذلك ويترضون هذه الممارسات (**فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين وللمجاذيب وهدمت بذلك ضوابط الإسلام وقواعد الدين المبين والشرع المتين**) .

قال – رحمه الله - :

(**وإذا عرفت بطلان هذين الأمرين علمت أن هذه أحوال شيطانية وأفعال طاغوتية وأعمال إبليسية يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين معاونة من الفريقين على إغواء العباد**)

الشرح :

نعم إذا عرف الإنسان هذا المعنى تبين له أن هذه ليست من باب الكرامات , وإنما هي أحوال شيطانية وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – له كتاب سماه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " وذكر علامات هؤلاء وعلامات هؤلاء ، وأوصاف هؤلاء وأوصاف هؤلاء حتى يميز المسلم بين أهل الحق وأهل الباطل .

قال – رحمه الله - :

(**وقد ثبت في الأحاديث أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه فهم الثعابين التي يشاهدها الإنسان في أيدي المجاذيب فقد يكون ذلك من باب السحر وهو أنواع** ، **وتعلمه ليس بالعسير بل بابه الأعظم هو الكفر بالله وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه**)

الشرح :

هذه الآن يبين هنا – رحمه الله – هؤلاء المجاذيب الذين يرون في بعض المناطق يحمل الحيات والثعابين والعقارب ويزعمون أن قدرتهم على حملها دليل على ولايتهم فيقول – رحمه الله – (**أنه قد ثبت في الأحاديث أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان**) وهذا ثبت في صحيح مسلم وفي غيره عن النبي – عليه الصلاة والسلام – أن الشياطين يتشكلون بأشكال الحية والثعبان وهذا أمر مقطوع بوقوعه ؛ يعني دلت النصوص ثبوته عن النبي – عليه الصلاة والسلام – , فإذن هذه الثعابين التي بأيدي هؤلاء ثمة احتمال كبير وغالب أنها شياطين تشكلت على هيئة حيات وثعابين وتكون كبيرة ويحملونها على أعناقهم وفي أيديهم ولا تصيبهم بشيء ليفتنوا الناس بهم عن دين الله – تبارك وتعالى – ، هذا احتمال غالب .

احتمال آخر لم يذكره المصنف – رحمه الله تعالى – وهو أن هؤلاء يمسكون الحيات بطريقة معينة ثم ينزعون أنيابها فلا تتمكن من اللدغ أو إفراغ السم في جسد الإنسان, ينزعون أنياب الحية أو الثعبان وتصبح لا تتمكن من اللدغ فلا يكون منها ضرر ، فيحمل الحية والثعبان الكبير وقد نزع منه , وتكون بيده أو معلقة على عنقه واحد أو أكثر أو عشرة ويتظاهر أن هذا من دلائل الولاية .

ثم أمر آخر ؛ أولياء الله المقربين في صدر الأمة وما أكثرهم " ثلة من الأولين وقليل من الآخرين " هلُ سمع عن واحد منهم قط يخرج إلى الناس يحمل حية أو عقرب ويقول أنا أحمل الحية والعقرب دليل على إني من أولياء الله ؟! أم أنهم في خضوع وتواضع وخشوع وإقبال على الله – سبحانه وتعالى – وإخبات إليه – جل وعلا– فهذه الأمور كلها مما يكشف بهتان هؤلاء وكذبهم وافتراءهم بمثل هذه الطرائق.

قال : (**وقد يكون ذلك من باب السحر**) ؛ هذا احتمال آخر أيضاً قد يكون من باب السحر الذي يسمى " سحر التخييل " يعني يُخيل لمن يراه أنها حيات ولا يوجد أصلاً حيات , لا يوجد حيات وإنما يراها في الخيال ، يخيل إليه

أنها حيات وهذا يسمى " سحر التخييل " فقد يكون أيضاً لا وجود أصلاً لحيات مع هؤلاء ولكن بسبب سحرهم لأعين الناس يُخيل للناس أنها حيات تسعى أمامهم .

قال : (**وهو أنواع – يعني السحر – ومنه سحر التخييل وتعلمه ليس بعسير** - يعني ليس بصعب – **بل بابه الأعظم هو الكفر بالله وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه**) وهنا ينبه المصنف – رحمه الله تعالى – أن بوابة السحر التيُ يدخل إلى السحر من خلالها هي الكفر بالله واتباع الشياطين , لا يمكن أن يكون الساحر ساحراً إلا بهذين الأمرين ؛ الكفر بالله بإهانة ما أمر الله بتعظيمه ولاسيما القرآن , واتباع الشياطين وانظر هذين الأمرين في قوله – سبحانه وتعالى – في سورة البقرة : (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين) ," أمران: " (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) فلكي يكون الإنسان ساحراً يحتاج إلى هذين الأمرين :

- نبذ الكتاب , وكلما كان نبذه للكتاب أعظم بإهانة القرآن أو وضعه في الكنيف أو وضع القاذورات عليه أو نحو ذلك كلما كان ذلك أعظم تقرباً للشياطين بهذا العمل .
- والأمر الثاني : اتباع ما تتلوه الشياطين على ملك سليمان .

وهنا أحتكم بقصة ذكرها لي أحد المهتدين شخصياً يقول : كان لي جار أعرفه لم يرث وأعرفه ليس بصاحب تجارة وأعرف حاله لكننا دائماً نرى عنده أموال , أموال باستمرار ، يقول : فقلت له يوم من الأيام أنا جارك وبيتي لصيق بيتك وأنا أرى دائماً عندك الأموال وتعرف أنا إنسان فقير أريد أن تدلني على الطريقة التي أصبح مثلك , أريد أن تدلني , يقول : وأخذت ألح , يقول : من نعم الله علي والله صانني بذلك , يقول : من نعم الله علي أنني منذ نشأتي الصلاة لا أساوم فيها مهما كان الأمر , يقول عندي محافظة على الصلاة ولله الحمد لا أساوم فيها , يقول فألححت , عليه قال : أدلك على طريقة إذا فعلتها تكون مثلي لكنني آخذ عليك العهد والميثاق الآن أنك كل شيء يُطلب منك تفعله بدون تردد , قلت له : موافق , يقول : فقال لي : تذهب في الصباح الباكر عند شط النهر – في الصباح الباكر وقت طلوع الشمس وهي تطلع بين قرني شيطان – يقول في الصباح الباكر تذهب وتقف عند شط النهر , قال : وخذ هذه الأسماء , يقول : وأعطاني أسماء غامضة – ذكرها لي الشخص– ؛ أسماء شياطين , قال : وإذا بدأت الشمس تطلع تنادي هذه الأسماء , قال : وسينشق النهر وسيأتيك شخص من وسط النهر صورته مخيفة لا تخاف وسيطلب منك أشياء أجبه , يقول : فذهبت وأنا طامع في المال , يقول : وجئت فعلاً وناديت بتلك الأسماء وإذا النهر ينشق وإذا بشيء يخرج هيئته مخيفة , قال لي : فلان ؟ قلت : نعم , قال : أنا أطالبك الآن بأمور تفعلها , قلت : أفعل – أنا يحدثني هذا الشخص مباشرة وليس بواسطة – قال : تفعل ؟ قلت : أفعل , يقول :

أول ما بدأ , قال : تترك الصلاة , أول ما بدأ قال لي تترك الصلاة , يقول : قلت له : إلا الصلاة , الأخ هذا سوداني يقول قلت له : الصلاة ما داير أتركها , يقول الصلاة أنا نشأت عليها ما يمكن أساوم في الصلاة , يقول : قلت الصلاة ما أتركها , يقول بمجرد ما قلت هذه الكلمة سمعت صوت وذهب هذا , ورجعت , لما رجعت وقابلت جاري شتمني بكل شتمة يقول : لأن الشياطين جاءت وضربته وقالوا كيف ترسل لنا شخص ما يستجيب وضربوه , يقول : وأخذ يشتمني ويقول سلطتني عليه , سلطتني عليه , فهذه القصة ولها نظائر كثيرة ما يمكن أن يدخل الإنسان في هذه الأعمال إلا بالكفر بالله – سبحانه وتعالى – واتباع الشياطين (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) فبهذين الأمرين : نبذ القرآن – والعياذ بالله – واتباع الشياطين يكون الإنسان من أصحاب مثل هذه الأمور ومثل هذه الأباطيل التي ما أنزل الله بها من سلطان , هذا معنى قول المصنف – رحمه الله – : **(بل بابه-** يعني السحر – **الأعظم هو الكفر بالله وإهانة ما عظمه الله من جعل مصحف في كنيف ونحوه)** , (الكنيف) ؛ هو موضع الخلاء – والعياذ بالله – .

****

الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، اللهم علمنا ما ينفعنا وزدنا علماً ، اللهم إنا نسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً ، ونواصل القراءة في كتاب (تطهير الاعتقاد) للإمام الصنعاني –رحمه الله تعالى– في خاتمة كتابه .

قال المصنف–رحمه الله تعالى :–

((**فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينية من أحوال المجاذيب من الأمور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيرا عظيما في الأفعال. وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها، وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام. وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم. والسحر يفعل أعظم من هذا فإنه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما توقد لهم النار العظيمة فليبسون الثياب الرقيقة ويخوضون في تلك النار ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء.**)))

<u>الشرح :</u>

كثيرٌ من الناس وبخاصةٍ العوام والجهال خدعوا وفتنوا في عقائدهم وأديانهم بمثل هذه الخوارق التي تذهل العقول لرؤيتها وتدهش بمشاهدتها فيظن الجاهل أنها دليلٌ على صحة ما عليه هؤلاء فيفتن بعقيدته ، ويتأثر بهؤلاء ، ولهذا يحذر المصنف–رحمه الله– من مثل هذه الخوارق التي تصدر على أيدي هؤلاء عن طريق الشعوذة والسحر والصلة بالشياطين ، لفتن الناس وصدهم عن الدين ، يقول –رحمه الله – ناصحاً ومحذراً : ((**فلا يغتر من يشاهد ما يعظم في عينية من أحوال المجاذيب**)) أي لا يكون ما يراه من أمورٍ تصدر على أيدي هؤلاء ومن أحوال هؤلاء المجاذيب سبباً لفتنته في دينه ، بل الواجب عليه أن يحذر من هؤلاء ومثّل –رحمه الله– بأمثلة تعين العبد على عدم الافتتان بمثل هؤلاء ، فمثّل أولاً كما سيأتي بقصة موسى –عليه السلام– وأن السحرة الذين حشدهم وجمعهم فرعون جاءوا بسحرٍ عظيم هكذا وصفهم الله – جل وعلا– في القرآن قال { وجاءوا بسحرٍ عظيم } ملأوا الوادي بحياتٍ وثعابين أمرٌ لو رآه الرائي لأذهل عقله ، امتلأ الوادي بالحيات والثعابين ، حتى إن نبي الله موسى – عليه السلام – أوجس خيفةً في نفسه { فأوجس في نفسه خيفةً موسى } من هول المنظر ، فمثل هذه الأمور لا يغتر بها المؤمن ، ولا يخدع بها المسلم الصادق الناصح العارف بالله –تبارك وتعالى– وبدينه–سبحانه– لا يخدع بمثل هذه الأمور ولا يغتر بها ، قال : ((**من الأمور التي يراها خوارق، فإن للسحر تأثيرا عظيما في الأفعال. وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها**)) مثل أن تنقلب العصا حية ، فيراها الرائي بعينه حيةً تتحرك

أمامه ، أو يؤثر مثل ما سيأتي معنا في قضية قلب الأعيان ، أن يأمر الساحر القمح أن ينبت ، أو يأمره أن يخبز فيكون خبزاً ، في أمورٍ تجري على أيدي السحرة يفتتن بها من يراهم ، والسحر منه ما هو حقيقة ، ومنه ما هو تخييل ، منه ما هو حقيقة بمعنى أن له تأثيراً في المسحور حقيقاً ،ومنه ما هو مجرد تخييل يخيل للأمر أو للمسحور الشيء وهو في حقيقته وواقعه على خلاف ما يتخيل أو يأتي في خياله وذهنه ، قال : ((**وقد ملأ سحرة فرعون الوادي بالثعابين والحيات حتى أوجس في نفسه خيفة موسى عليه السلام. وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم**)) قال { وجاءوا بسحرٍ عظيم } ((**والسحر يفعل أعظم من هذا**)) يعني من أمورٍ مهيلة ومذهلة ومدهشة ، وكبيرة ((**والسحر يفعل أعظم من هذا**)) وأخذ يسوق إلى خاتمة الكتاب بعض الأمثلة مما شوهد من أعمال السحرة المبطلين ، فذكر أولاً ما نقله ابن بطوطة الرّحالة المعروف وغيره ،((**فإنه قد ذكر ابن بطوطة وغيره أنه شاهد في بلاد الهند قوما توقد لهم النار العظيمة فيلبسون الثياب الرقيقة**)) يعني الثياب الخفيفة التي من شأنها أنها تشتعل بسرعة إذا وضعت في النار ((**فيلبسون الثياب الرقيقة ويخوضون في تلك النار**)) يعني يدخلون في تلك الثياب الرقيقة في وسط النار ((**ويخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شيء**)) فهذا من أعمال السحرة وأعمال المشعوذين مما يغرون به الناس ويخدعونهم به .

قال-رحمه الله تعالى-:

((**بل ذكر أنه رأى أناسا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا حتى لم ير أحد شيئا من تلك الأعضاء ثم صاح وبكى فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراده وانظم إلى الآخر حتى قام كل واحد منهما على عادته حيا سويا. ذكر هذا في رحلته، وهي رحلة بسيطة وقد اختصرت، طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف، وأملاها علينا العلامة مفتي الحنفية في المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله.**))

الشرح :

ثم ذكر أن ابن بطوطة أنه ((**رأى أناسا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضوا عضوا ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا**)) وهذا والله تعالى أعلم من سحر التخييل ، يعني يخيل للحاضرين بسحره أن أعضاء هؤلاء تقطعت إرباً وفرّقت هنا وهناك ، ثم يأمر باجتماعها فتجتمع ، وكل ذلكم يراه هؤلاء بأعينهم كأنهم يشاهدونه ، وهو في الحقيقة خيالٌ وليس بحقيقة ، وبهذا سيأتي عن جندب -رضي الله عنه- أن ساحراً كان يصنع ذلك فيقطع رأس الرجل ويعيده ، فذهب جندب إلى بيته وجاء بسيفه وضرب رأس الساحر ، قال إن كان صادقا فليحي نفسه ، وسجنه الوليد في قصةٍ معروفة ذكرت في بعض كتب الأخبار والتاريخ وسيأتي إشارةٌ وذكرٌ لها عند المصنف-رحمه الله تعالى- والدجال الأكبر ، أكبر الدجاجلة الذي يخرج في آخر الزمان ، والذي فتنته أعظم الفتن وأكبرها ، وكم من الناس يفتنون بما يرونه على يديه من أمور مهيلة جداً ، وأمور عظيمة جاء في الصحيح أنه يمر بالبلدة فيدعو أهلها إلى الإيمان به ، فإن آمنوا أمر السماء بأن تمطر فأمطرت ، وإن امتنعوا أمر كنوز البلدة

أن تتبعه فتتبعه كنوزها ، تمشي متحركة وراءه ، فتنة تطيش لها العقول ، ما في الفتن من أو الزمان وآخره فتنة أعظم من تلك الفتنة ، ويأتي بالرجل فيفرقه نصفين ، ثم يأمره فيعود ، فيه فتن عظيمة ومذهلة ، ولهذا يتبعه خلق ، بما يرونه على يديه من الفتن ، ولهذا حذّر النبي- صلى الله عليه وسلم- من القرب إلى المكان الذي هو فيه ، لأن الإنسان قد يطيش عقله بما يرى ويُذهل فيفتن في دينه ، ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام- في الحديث الصحيح [من سمع بالدّجال فلينأ عنه] وأهل العلم-رحمهم الله تعالى- أخذوا فائدة من هذا الحديث وهي أن الدجال هنا وإن كان المراد به الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان ، فإن أل في الحديث قد تكون للجنس ، بمعنى أن المطلوب من المسلم أن ينأ ويبتعد عن كل دجال ، سواءً الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان أو الدجاجلة الذين يظهرون بين وقتٍ وآخر بالمخرقات والشعوذات والدجل ونحو ذلك مما يفتنون به الناس ، الواجب عن المسلم أن ينأ عن هؤلاء وأن يبتعد عنهم ، وأن يحذر من مشاهدة أعمالهم ؛ لأن هذه أمورٌ مذهلة قد تكون سبباً في فتنة الإنسان في دينه ، فمثل هذه الخوارق والأعمال المذهلة والسحر العظيم الذي يقع على أيدي هؤلاء ليس مقياساً توزن به الحقائق ، ويكون سبباً في الاعتقاد بهؤلاء بل العقيدة الصحيحة في هؤلاء أنهم دجاجلة ، وأنهم من جند إبليس وأعوانه ، وأنهم أهل صدٍ عن دين الله –تبارك وتعالى- فوجب على كل مسلم أن يكون من هؤلاء وأمثالهم على حذر ، وأن ينأ بنفسه عن الذهاب إليهم ، أو السماع لهم ، أو مشاهدة أعمالهم أفعالهم .

قال-رحمه الله – :

((**وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني بسنده أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبه فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج، فرآه جندب رضي الله عنه فذهب إلى بيته فاشتمل على سيفه فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب (أتأتون السحر وأنتم تبصرون) ثم ضرب وسط البقرة فقطعها وقطع الساحر معها، فانذعر الناس، فحبسه الوليد وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه، كان على السجن رجل نصراني، فلما رأى جندبا يقوم الليل ويصبح صائما، قال النصراني والله إن قوما هذا شرهم لقوم صدق. فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة فسأل عن أفضل أهلها فقالوا: الأشعث بن قيس، فاستضافه فرأى أبا محمد يعني الأشعث ينام الليل ويصبح فيدعو بغدائه، فخرج من عنده وسأل: أي أهل الكوفة أفضل؟ فقالوا: جرير بن عبد الله، فوجده ينام الله ثم يصبح فيدعو بغدائه. فاستقبل القبلة فقال ربي رب جندب وديني دين جندب، وأسلم.**))

<u>الشرح</u> :

هذه كما نقل المصنف-رحمه الله- القصة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب الأغاني كتابٌ محشود بالأخبار التي لا زمام لها ولا خطام ، ليست مبنية على الأسانيد الثابتة ،وإنما يأتي فيه كثير من الأخبار المرسلة التي لا زمام لها ولا خطام ، ولهذا ليس الكتاب عمدة ، ليس عمدةً ولا يوثق بالنقول التي بهذا الكتاب ولا يطمئن إليها ، ولهذا تكثر فيه النقول والأخبار التي فيها من النكارة ما فيها وفيها من الشذوذ ما فيها ، وفيها أيضاً من

الباطل ما فيها بكثرة ، ولهذا أيضا ما في الكتاب ليس عمدةٌ ولا يصلح أن يعول عليه ، والقصة معروفة ورويت في كتب أخرى كما يأتي نقل المصنف-رحمه الله- للقصة من كتاب السنن الكبرى للبيهقي-رحمه الله- وهي مذكورة أيضاً في كتب أخرى ، لكن في كتاب الأغاني جاءت القصة بزيادات لا يوثق بها ولا يطمئن إليها ، لأن الكتاب ليس عمدة ولا يصلح أن يعول عليه ، ولهذا يظهر من صنيع المصنف-رحمه الله- عدم الاطمئنان لهذا الكتاب ، ولهذا روى بعد ذلك القصة بسياقٍ آخر من كتاب السنن الكبرى للبيهقي-رحمه الله تعالى- والقصة في أصلها معروفة ، وقد قال الإمام أحمد-رحمه الله-: [صح قتل الساحر عن ثلاثةٍ من الصحابة ، عمر وحفصة وجندب] لكن مثل هذه التفاصيل التي ذكرت ، وأوردها صاحب كتاب الأغاني تفاصيل بعيدة ، وكتاب الأغاني مشحون بالأخبار الكثيرة في باب أيام الناس ، والشعر والغناء وغرائب وأشياء ، لكنه عند أهل العلم ليس عمدةٌ ولا يصلح أن يعول عليه .

قال-رحمه الله-

((**وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى بمغايرة في القصة، فذكر بسنده إلى الأسود أن الوليد بن عقبة كان في العراق يلعب بين يديه ساحر فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به، فيقوم صارخا فيرد إليه رأسه. فقال الناس: سبحان الله! يحي الموتى! ورآه رجل من صالحي المهاجرين فما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال: إن كان صادقا فليحي نفسه! فأمر به الوليد دينارا صاحب السجن فسجنه.**))

<u>الشرح</u> :

هذا المشهور في القصة خلاف ما رواه صاحب كتاب الأغاني ، صاحب كتاب الأغاني روى القصة بسياقٍ آخر وهي أن الساحر يدخل في جوف البقرة وأن جندباً ضرب البقرة من وسطها فقطعها نصفين والساحر معها ، لكن المشهور في القصة أن الساحر كان يقطع رأس الرجل في ما يخيله للناس هذا هو المشهور في القصة ، وأن جندباً-رضي الله عنه- ذهب واستلّ سيفه وضرب عنقه لأن الناس طاشت عقولهم بهذا التخييل الذي يرونه ، قالوا : سبحان الله يحي الموتى ، فلما رأى جندب هذا المنظر ذهب واستلّ سيفه وضرب به الساحر ، قال :(**إن كان صادقا فليحي نفسه! فأمر به الوليد دينارا صاحب السجن فسجنه.**)) وذلك لأن تنفيذ الحدود إنما يكون لولي الأمر ، أو لمن ينيبه ولي الأمر ليقوم بذلك ، ولا تكون إقامة الحدود وتنفيذها لأفراد الناس إنما إقامة الحدود تكون لولي الأمر أو لمن ينيبه ولي الأمر في ذلك وإلا فإن أمور الناس تصبح فوضى في هذا الباب .

ثم قال -رحمه الله- :

((**بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت، وأنها آخذات قمحا فقالت له بعد أن ألقته في الأرض: اطلع، فطلع،**

فقالت: أحقل، فأحقل، ثم تركته، ثم قالت إيبس، فيبسن ثم قالت له: اطحن، فاطحن، ثم قالت له: اختبز فاختبز. وكانت لا تريد شيئا إلا كان.))

هذه القصة كما قال المصنف-رحمه الله- قصة عجيبة قال أخرجها ((**الحافظ البيهقي بإسناده في قصة طويلة))** وكذلك أوردها الإمام ابن كثير-رحمه الله تعالى- بطولها في كتابه التفسير -رحمه الله تعالى- وقال عقب روايته لهذه القصة ، فهذا إسناد جيد إلى عائشة-رضي اله عنها- والقصة حاصلها أن امرأة جاءت إلى عائشة-رضي الله عنها- بعد وفاة النبي-صلى الله عليه وسلم- بوقتٍ يسير ، وكانت تريد النبي-عليه الصلاة والسلام- لتعرض عليه أمرها ، فوجدت أنه قد مات ، وبكت وتألمت ، وعرضت أمرها على الصحابة تريد حلاً ، وكان كل واحدٍ منهم يحيلها على الآخر ، ما استطاع أحد أن يقول شيء في أمرها ، فكانت كلما ذهبت إلى واحد أحالها على الآخر ، وذكرت قصتها أنها لها زوج وهي من دومة الجندل ، وكان لها زوج ، وكانت تحبه حباً شديداً وفقدت زوجها ولا تدري أين هو ، وطالت غيبته ، وتألمت لذلك ألماً شديداً ، وفي قلبها حبٌ عظيمٌ لذلك الزوج ، فذهبت إلى امرأةٍ عجوز مسنة ، وعرضت عليها مشكلتها ، قالت : أدلك على شيء تأتين بزوجك ولكن لا تعترضين افعلي كل ما يطلب منك ، وهذه طريقة هؤلاء السحرة وأعوانهم ، من يريد أن يدخل في هذا الطريق يطلب منه في بداية الأمر ألا يعترض وأن يسلم وأن يفعل كل ما يؤمر به ، حتى إنهم يقولون إن رأيت أمورا تعتقد أنها محرمة وفيها مخالفة لا تمتنع ، يروضون نفسه على ذلك ، فوافقت المرأة ، قالت : فواعدتني وقتاً وجاءت بكلبين أسودين ، قالت : اركبي أحدهما وركبت الآخر ، قالت : فما كان شيٌ من الوقت إلا وإذا نحن في بابل ، في لحظة ، وقتٌ يسير ليس وقتٌ كبير ، قالت : فإذا نحن في بابل ، وإذا برجلين معلقين ، قالوا ما تريدين ؟ قالت : أريد أن أتعلم السحر -لقنتها هذه العجوز – قال: إنما نحن فتنة فلا تكفري ، وابن كثير -رحمه الله- ساق القصة بطولها عند قوله -جل وعلا- { واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه } إلخ الآيات ، ساق القصة -رحمه الله تعالى- إلى هذا الموضع من تفسيره ، فقال لها : إنما نحن فتنة فلا تكفري ، قالت : فأبيت وقلت أريد أن أتعلم السحر ، فقالا : اذهبي إلى ذاك التنور وبولي فيه ، فذهبت ، ورأت فيه أمراً مهيلاً لم تذكره ، فرجعت إليهما ، قالوا لها : بلتي فيه ؟ قالت : نعم وهي لم تفعل ، قال لها : رأيتِ شيئاً ؟ قالت : لم أرَ شيئاً ، قالوا : أنتي لم تفعلي ، ارجعي إلى بلدك إنما نحن فتنة فلا تكفري ، قالت : لا أريد أن أتعلم ، قالوا : اذهبي إلى التنور أمراها بالذهاب إليه لتبول ، فذهبت وأيضاً رأت أمراً مهيلاً فرجعت ، قالوا : فعلتِ ؟ قالت : نعم ، قالوا : رأيتِ شيئا ؟ قالت : لا لم أرَ شيئاً ، قالوا : لم تفعلي ، اذهبي إلى بلدك ولا تكفري ، إنما نحن فتنة فلا تكفري ، قالت : فأبيت وقلت إلا أن أتعلم ، في المرة في الثالثة ، ذهبت وبالت ، فلما بالت رأت كأنّ جندياً على فرس خرج منها وطار في السماء حتى ما أصبحت تراه ، فرجعت إليهما ، قالا : فعلتِ ؟ قالت : نعم ، قالا: هل رأيتِ شيئاً ؟ قالت : نعم ، قالا : ماذا رأيتِ ؟ قالت : رأيت فارساً مقنعاً خرج مني وطار في السماء حتى لم أعد أراه ، قالوا : نعم ذلك إيمانك .

يعني خرج الإيمان ، وهذا فيه أن الساحر لا يكون ساحراً إلا بخروج الإيمان ، أولاً يخرج الإيمان ، ثم يدخل مكانه السحر ، ولهذا لا يكون الساحر ساحراً إلا بالكفر بالله ، لا يكون الساحر ساحراً ولا يتمكن من السحر إلا بالكفر { إنما نحن فتنة فلا تكفر } فلا يكون ساحراً ولا يتحقق له أن يكون من أهل السحر حتى يكفر بالله –تعالى– .

قالا: نعم ذاك إيمانك فأسقط في يدها ، لما رأت إيمانها ذهب وخرج وتألمت لذلك ، وقالت للعجوز التي معها ، قالت لها : ما صنعتُ شيئاً ؟ فقالت لها : افعلي ما شئتِ ، أو اطلبي ما شئتِ يكون ، فكان معها بذر ، بذور في يدها ، رمته في الأرض وقالت : أنبت ، فخرج ، قالت : مثل ما ساق هنا ، ((**فقالت**: **أحقل**، **فأحقل**، **ثم تركته**، **ثم قالت إيبس**، **فيبسن ثم قالت له**: **اطحن**، **فاطحن**، **ثم قالت له**: **اختبز فاختبز**)) فكان في لحظة صار خبزاً .

((**وكانت لا تريد شيئا إلا كان**.)) فلما رأت ذلك وأن إيمانها ذهب لم تفعل شيئاً من هذه الأمور ، ولهذا جاءت عند عائشة–رضي الله عنها– جاءت إلى النبي– عليه الصلاة والسلام– لتعرض عليه الأمر ، فوجدته قد مات وبكت بكاءً عظيماً وحزن لها من رآها ، وأخذت تعرض أمرها على الصحابة ، وكل واحد يحيلها على الآخر ، حتى جاءت ابن عباس–رضي الله عنها– فجاء في القصة أنه قال لها : ألكِ أبوان ؟ إن كان لكِ أبوان يكفيانك ، سبحان الله ! أراد مداواة هذا الأمر ببر الوالدين ، وأنه من أعظم الأعمال المقربة إلى الله– سبحانه وتعالى– وكان كلٌ من الصحابة يعتذر من القول بشيء ، حتى قال هشام وهو من التابعين ، قال : [هذا يدل على ورع الصحابة ، ولو جاءت في زماننا لوجدت نوكة كل واحدٍ منهم يسارع إلى إجابتها] والصحابة كلٌ منهم يتورع ويتخوف أن يقول شيئاً في شأن هذه المرأة ، وابن كثير–رحمه الله– لما ساق القصة مطولة ، وهي عند ابن جرير وابن أبي حاتم ، قال : [فهذا إسناد جيد إلى عائشة –رضي الله عنها–] هذه مجرد أمثلة ساقها مما وجد مثل هذه الأعمال السحرية والشعوذة والدجل التي يفتن بها الناس ويصدون بها عن دين الله–تبارك وتعالى– ، فلما أنهى –رحمه الله– ذكر هذه الأمثلة ، قال : ((**والأحوال الشيطانية لا تنحصر**، **وكفى بما يأتي به الدجال**)) أي من أمور وخوارق تطيش لها العقول ، وأشرت إلى بعض الأمثلة على ذلك مما صحت به السنة عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ولهذا يتبعه خلق يفتنون بما يرونه على يديه من خوارق، فإذن تلك الخوارق ليست مقياساً ولا ميزناً ، وإنما الميزان الكتاب والسنة ، كما قال بعض السلف : [إذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء ، فلا تقبل منه حتى يأتيك بشاهدين الكتاب والسنة] أما إذا كان بمعزل عن الكتاب والسنة حتى وإن طار في الهواء أو مشى على الماء ، أو فعل غير ذلك من الخوارق لا يقبل منه شيء ما لم يكن عنده شاهدان ، كتاب الله ، وسنة نبيه– صلى الله عليه وسلم– ليس المقياس أن يُرى الشخص طائراً في الهواء أو يُرى يمشي على الماء ، ومرةً ثانية وثالثة كثير من الناس يخدعون بهذا المنظر ، يرى الشخص يطير في الهواء فيقول هذا من أولياء الله وإلا كيف يطير في الهواء أو يمشي على الماء ، وما علم أن الشياطين وممارسة الأعمال الشيطانية والسحرية ينشأ عنها مثل هذا وما هو أعظم منه مما مرّ معنا من الأمثلة التي ساقها المصنف وفي غيرها ، في أمورٍ مذهلة ومدهشة ، فمثل هذه الأمر لا تعدّ مقياساً ولا عبرة بها ، وذكر شيخ الإسلام كما نقلت بالأمس ، أن آية الكرسي إذا قرأت على هذه الأحوال تبطلها ، قال : [وقد جربنا قراءة آية الكرسي على هؤلاء الذين يطيرون في الهواء فسقطوا] لأن الشياطين التي تحملهم تفر فيسقطون بقراءة هذه الآية العظيمة آية التوحيد ، أعظم آية في كتاب الله–جل وعلا– ،

وتأمل هذه الخاتمة التي توج -رحمه الله- وختم بها كتابه ، قال :((**والأحوال الشيطانية لا تنحصر، وكفى بما يأتي به الدجال**)) أي أن المتبع للكتاب والسنة هو صاحب الحق ، والمخالف لهما هو صاحب الباطل ، حتى وإن طار في الهواء صاحب باطل ، حتى وإن مشى على الماء صاحب باطل ، حتى وإن فعل من الخوارق صاحب باطل ، طالما أنه مخالف للكتاب والسنة ، فالمعيار هو لزوم كتاب الله ، وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- ، ليست المعيار هذه الخوارق ، ليست المعيار الأمور والخوارق وهذه الأحوال التي يمارسها هؤلاء ، المعيار كتاب الله وسنة نبيه-عليه الصلاة والسلام- بهما توزن الأمور ، فما كان موافقاً للكتاب والسنة أُخذ ب وقبل ، وما كان مخالفاً ومناقضاً لهما رُدّ على صاحبه أيًّا كان ، حتى وإن طار في الهواء ومشى على الماء .

<u>الهامش :</u>

((هذه كلمةٌ جميلة ، ختم بها المصنف كلامه وهي مسك الختام))((هذه كلمةٌ جميلة)) أي قول المؤلف ((**والمعيار إتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما**.)) هذه كلمةٌ عظيمةٌ جداً .

<u>الهامش</u>

((فالحق والهدى في الكتاب والسنة ، والباطل والضلال ما كان بخلافهما ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين : [وقال غير واحدٍ من الشيوخ والعلماء لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي))

((الأمر)) أي بالصلاة بالتوحيد بالصيام ، وغير ذلك من الطاعات ، هل هو يفعل الأوامر أو لا .

((النهي)) هل هو متجنب المحرمات وأعظمها الشرك والفواحش وغير ذلك من المحرمات ، حتى تنظر وقوفه عند الأمر والنهي ، ولهذا كثير من هؤلاء المشعوذين الدجاجلة أصحاب هذه الخوارق ، لا يعرفون بصلاة ولا بحضور جمعة ولا جماعات ولا تنزه عن الفواحش والمحرمات ، لا يعرفون ذلك ، كما نصّ على ذلك المصنف-رحمه الله- في أوائل كتابه ، لا يعرفون بذلك ، فإذن ليس المقياس الخوارق التي تكون على أيدي أمثال هؤلاء ، وإنما المقياس هو الوقوف عند الأمر والنهي ولزوم الكتاب والسنة .

((وقال ابن كثيرٍ في تفسيره عند سورة البقرة "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم " وقد قال يونس بن أبي الأعلى الصدفي ، قلت للشافعي ، كان الليث بن سعد يقول : [إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة] فقال الشافعي [قصر الليث -رحمه الله- بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة]))

هذه قاعدة عظيمة ، وأصل جليل قرره السلف-رحمهم الله تعالى- حتى لا يفتن الإنسان بمثل هذا الباب ، وبمثل هذه الخوارق ، قال قاعدة يحفظها المسلم ويزن بها الأمور ، وهي قول الإمام الشافعي-رحمه الله- وغيره من أئمة

السلف ، وهذا المعنى نقل عن غير واحد من الشيوخ ، مثل ما مرّ معنا من كلام شيخ الإسلام بن تيمية ، قال : [قال غير واحد من الشيوخ والعلماء] فهي كلمة مشهورة عند أهل العلم ومتداولة بينهم وحقيقة ينبغي أن تشهر وأن تتداول وأن تشاع بين الناس وخاصةً العوام حتى لا يفتنوا بمثل هذه الأمور ، تكون معهم بمثابة الأصل حتى لا يفتنوا بمثل هذه الخوارق ، قال –رحمه الله– [إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة] .

قال المصنف–رحمه الله– :

((**انتهى ما أوردناه ولله الحمد أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.**))

الشرح :

ثم أنهى –رحمه الله– كتابه بالحمد على الله ، والصلاة والسلام على رسوله–صلى الله عليه وسلم ، كما استهله بذلك ، رحم الله الإمام الصنعاني وغفر له ، ولجميع علماء المسلمين وفقهائهم على ما قاموا به من جهودٍ عظيمة مباركة في نصرة الدين ، والذب عن المعتقد ، وردِّ باطل المبطلين ، وجعل ذلك في موازين حسناتهم إنه سميعٌ مجيب ، ونفعنا جميعاً بما علمنا وجعل –سبحانه– هذا الذي نتعلمه حجةً لنا لا علينا ، وهدانا إليه صراطاً مستقيما، وأصلح لنا شأننا كله وغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

****